

الحمد لله الذي هدانا لهذا

تَأْمَلَاتُ فِي خُطْبَةِ الرَّهْزَاءِ
وَبَعْضِ شُؤْنِهَا

فَوْزِيَّ السَّيْفِ

لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُودُ عَلَيْهِمْ

تَأْمَلَاتُ فِي خُطْبَةِ الرَّهْرَاءِ
وَبَعْضُ شُؤْنِهَا

فَوَزَيْتُ السَّيْفَ

محفوظ
جميع الحقوق

الطبعة الثالثة

٢٠٢٢-١٤٤٣

خط الغلاف: الأستاذ حسن الزاهر



مقدمة

الطبعة الثالثة

بحمد الله فقد تمت طباعة هذا الكتاب قبل نحو سنة من كتابة هذه السطور، وبفضله تعالى لقي الكتاب قبولا ممن قرأه وعلى أثر ذلك تكفل بعض الإخوة المؤمنين الفضلاء في استراليا جزاهم الله خيرا بطباعة طبعة ثانية منه، وعندما اقتربت أيام الفاطمية، الرواية الثانية (جمادى الأول ١٤٤٣) فكرت في أنني ما دمت سألقي فيها على المؤمنين بعض المحاضرات (٥ ليال) فليكن ذلك في صلب سيرتها الشريفة، من ما قبل الميلاد إلى الاستشهاد.. وهذا ما حصل فقد كتبت نصف تلك السيرة قبل البدء في هذه المحاضرات، وأكملت الباقي بعد ذلك، وأضفت إليها موضوعين يكثر النقاش فيهما أحدهما يرتبط بكلمات الزهراء لأmir المؤمنين بعد الخطبة، والثاني يرتبط بالجواب عن ما قيل من موقف الإمام عليّ في عدم دفع المهاجمين على بيته وأهله.

وحرصت ألا يكون مفصلاً وكبيراً، ويخرج الكتاب عن
وضعه وحجمه ضمن سلسلة السيرة، فجاء بهذا النحو. أسأل
الله سبحانه أن يرزقنا - والقارئ الكريم - شفاعة الزهراء وأبيها
وبعلها وبنيتها عليهم السلام جميعاً.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

تاروت القطيف

١٤٤٣/٥/٢٣ هـ

مقدمة

كانت هذه الصفحات راقدة منذ العام الماضي أيام الفاطمية ١٤٤١ هـ، وكنت قد جمعتها حينذاك لإعادة صياغتها فحالت حوائل وشغلت شواغل وتحقق ما في المثل «في التأخير آفات» واستمر الحال هكذا إلى ما قبل نحو شهر من الزمان حين أرسلت إلى أحد السادة من العلماء الفضلاء رابط مقطع صوتي عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، فاتصل بي بعد ذلك وقال: لماذا لا تجمع هذه المحاضرات وتعيد صياغتها حتى تكون الفائدة عامة وأثنى - بمقدار حسن ظنه وطيبة نفسه - على تلك المحاضرة وحرّض ما استطاع على الموضوع، فكان أن قدح زناد العزم عندي من جديد على إعادة النظر فيها وهو ما حصل حتى صارت هذه الصفحات بين يديك.

أورد هذه الحادثة للتأكيد على ملاحظتين: الأولى الدور السيء للتأخير في إتلاف عمل الخير، وأدعو من خلالها إخواني وأخواتي إلى عدم الإصغاء للتبريرات التي تساق لتأخير العمل ولو

بعناوين ظاهرها مقبول فقد يكون تأخير عمل الخير يعني تضييعه أحيانا كثيرة وقد وردت أحاديث في هذا المعنى؛ منها قول أمير المؤمنين عليه السلام «بادروا بعمل الخير قبل أن تشغلوا عنه بغيره» وقول الإمام الباقر عليه السلام «من همَّ بشيء من الخير فليعجله فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة» واشتهر قول الشاعر:

قدم جميلا إذا ما شئت تفعله ولا تؤخر ففي التأخير آفات

و الثانية: الدور البناء والرائع لكلمة التشجيع والتحريض، بعكس الدور الهدام لكلمات التثييط حتى لو كانت على صورة (لكن) فكم قتلت هذه الـ (لكن) من موهبة! وهدمت من طموح! وعطلت من فائدة! ودفنت من مشروع! إنني في الوقت الذي أشكر فيه هذا السيد الجليل الذي ربما لولا تحريضه وتشجيعه لكانت هذه الصفحات كما كانت قبل سنة راقدة في ملف، أدعو نفسي ومن يقرأ هذه الكلمات إلى تشجيع من حولنا في مشاريعهم الصالحة حتى نشاركهم في ثواب أعمالهم وثواب قائل الكلمة الطيبة.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

تاروت القطيف

٣/٤/١٤٤٢ هـ

الزهراء ما قبل الميلاد إلى الاستشهاد

ليس في العنوان التباس أو اشتباه! فمن الناس من تبدأ حياته الحقيقية وأثارها بمولده ومنهم من تبدأ ببلوغه وهكذا.. وهناك من تبدأ آثار بركاته قبل وجوده وخلقته! وهذا ما نعتقده في رسول الله ﷺ، ونعتقده في أهل بيته لا سيما في الصديقة الزهراء عليها السلام. وللعلم فإن صاحب المقام والمنزلة لا يتضرر بجهل الآخرين بمنزلته وإنما المتضرر هو جاهل تلك المنزلة والغائب عن إدراكها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفسير السبب أو الأسباب التي تجعل البعض لا يستطيع تحمل هذه المنازل والمقامات فيرميها بالغلو تارة وبالكذب والوضع أخرى!

وعلى أي حال فالذي يعتقده الإمامية هو ما جاء في أحاديث رسول الله وأئمتهم عليهم السلام، وهي كثيرة يكفي منها أن نشير إلى ما رواه الشيخ الصدوق بسند معتبر^(١) عن الإمام الصادق عن أبيه، عن

(١) عن الصدوق (ت ٣٨١هـ) في معاني الأخبار: حدثنا محمد بن موسى بن

جده ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: خُلق نور فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قبل أن تخلق الارض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال ﷺ: فاطمة حوراء إنسية، قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الارواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم..»^(١).

وعندما أراد الله سبحانه إظهار هذا النور لعالم الوجود، فالمروري في روايات أهل البيت ﷺ، وكان ذلك بعد بعثة النبي ﷺ، بنحو أربع سنوات وأشهر^(٢)، أنه أمر أن يعتزل خديجة وأن يكون صائم النهار قائم الليل، حتى يأتيه الأمر الإلهي بمقاربة زوجته لتلد تلك المرأة التي سيقدر لها ان تكون سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. فولدت في جمادى الثاني بعد خمس سنوات^(٣) من بعثة أبيها المصطفى ﷺ.

المتوكل رضي الله عنه قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن الصادق

(١) ابن بابويه الصدوق؛ محمد بن علي: معاني الأخبار ٤٩٠ وموضوع وجودهم النوري صلوات الله عليهم، قبل الخلق الخارجي هو مفاد أحداث كثيرة، يراجع في ذلك كتاب الشيخ مسلم الداوري؛ النبي في وجوده النوري وكتاب الموسوعة الكبرى للشيخ إسماعيل الأنصاري الخوئي.

(٢) هو مفاد الروايات القائلة بأن ولادتها كانت لسنوات خمس بعد البعثة، وقد أثبتتها بتفاصيلها الزنجاني الخوئي في كتابه الموسوعة الكبرى.

(٣) الزنجاني الخوئي؛ إسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ٦٥/٢: ولادتها بعد خمس سنين من بعثة النبي ﷺ، عن ١٠٦

وهنا نشير إلى نقطتين هامتين؛ احداهما عقدية، والأخرى أخلاقية تربوية:-

العقدية منهما هي أننا نلاحظ إصرارا من قبل بعض علماء مدرسة الخلفاء^(١) على أن ولادتها كانت قبل البعثة بخمس سنوات، وسيترتب على هذا - ولعله مقصود - ألا تكون روايات نزول جبرئيل بطعام من الجنة على رسول الله صحيحة! فلا معنى لنزول

مصدرا. منها ما عن الكافي بسند حسن عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر (الباقر) عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد ﷺ بعد مبعث رسول الله بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما.. وفي هذه الرواية كلا الأمرين: تاريخ الولادة والعمر الشريف.

(١) كذب الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) حديث المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٦٩ لأبي عبد الله الحاكم النيشابوري (ت ٤٠٥)، والمعجم الكبير - الذي سيأتي نصه بعد قليل - وقال: «هذا كذب جلي؛ لأن فاطمة ولدت قبل النبوة، فضلا عن الإسراء..» ومثله وأعجب منه قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) في إتحاف المهرة ٥/ ١٣٤ رقم ٥٠٦٦ بقوله: «الوضع عليه ظاهر، فإن فاطمة وُلدت قبل ليلة الإسراء بالإجماع». قال! بالإجماع مع أن روايات أهل البيت صريحة في أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين! وهذا يبين لك سر اصرارهم على أن يشتموا أن ولادة الزهراء كانت قبل البعثة!

وتجد التعليق عليه على طريق النسخ واللصق، قد نشط في ما بعد سنة ٧٠٠ هـ وهي فترة اشتداد الجدل المذهبي والتعصب، فهذا برهان الدين سبط ابن العجمي (ت ٨٤١) ينقل في كتابه الكشف الحثيث ١/ ١٥١ هذه الكلمات: «وقد علم الصبيان أن جبرئيل لم يهبط على نبينا إلا بعد مولد فاطمة بمدة فهذا كله يقتضي أنه وضع والله أعلم» وهي حرفيا نفس العبارة التي قالها الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٦ «وقد علم الصبيان أن جبرائيل لم يهبط على نبينا إلا بعد مولد فاطمة بمدة»!

جبرئيل عليه قبل بعثته خاصة وأن بعضهم يعتقد -خاطئاً- أنه كان على دين قومه! فنحن نؤكد هنا على أن هذا الإصرار ليس بعيداً عن الموضوع العقائدي وهو أن ولادة فاطمة هي كولدادة أي امرأة أخرى لا تزيد عليها في شيء! والحال أننا ذكرنا أن هذه الصديقة تختلف تماماً فهي حوراء إنسية، ومعنى الحوراء أنها تخلقت بنحو من الأنحاء مما هو مرتبط بالجنة^(١)، وهو هنا الطعام الذي تناوله النبي لكي تتكون منه تلك النسلة الطاهرة الميمونة^(٢). وربما يكون هدف

(١) الطبراني؛ أبو القاسم (ت ٣٦٠): المعجم الكبير ٢٢/ ٤٠٠ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ تَفْعُلُ شَيْئًا مَا كُنْتُ أَرَاكَ تَفْعَلُهُ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ لِي: «يَا مُحِبُّرَاءُ، إِنَّهُ لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ أَذْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَوَقَفْتُ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ لَمْ أَرِ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا حُسْنًا، وَلَا أَبْيَضُ مِنْهَا وَرَقَةً، وَلَا أَطْيَبُ مِنْهَا ثَمَرَةً فَتَنَاوَلْتُ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَتِهَا فَأَكَلْتُهَا فَصَارَتْ نُطْفَةً فِي صُلْبِي، فَلَمَّا هَبَطْتُ الْأَرْضَ وَاقَعْتُ خَدِيجَةَ فَحَمَلْتُ بِفَاطِمَةَ، فَإِذَا أَنَا اسْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمَمْتُ رِيحَ فَاطِمَةَ، يَا مُحِبُّرَاءُ، إِنَّ فَاطِمَةَ لَيْسَتْ كِنِسَاءِ الْأَدَمِيِّينَ وَلَا تَعْتَلُّ كَمَا يَعْتَلُونَ»

(٢) ابن بابويه الشيخ الصدوق: الأمالي ٦٩١، في رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جزعا وغمها حذرا عليه ﷺ. فلما حملت بفاطمة كانت عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يوما فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وإن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من

بعض هؤلاء أيضا أن يثبتوا أنها حين توفيت كانت في نحو التاسعة والعشرين^(١) من العمر وربما يكون من يموت في هذا العمر يكون بشكل طبيعي! فيتم التشكيك في أمر شهادتها مما ارتكب منها نظام الخلافة ورموزه!

وأما الجهة الأخلاقية؛ فينبغي أن نشير هنا إلى ما أكدته الأحاديث والروايات من تأثير الطعام الحلال إيجابيا في النشأة

نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

(١) ذكروا ذلك في كثير من المصادر ككتاب محمد بن جرير الطبري؛ المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ص ٩١ والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم ٤/ ٩٥ لابن الجوزي (ت ٥٩٧). بل إن الكلبي النسابة زعم أنه حين ماتت كان عمرها خمسا وثلاثين سنة! كما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٥/ ٢٥٣ - لجمال الدين المزي،.. والغريب أنهم ينقلون عن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط: تارة أن عمرها كان خمسا وعشرين سنة وأخرى ثلاثين كما في شرح مشكل الآثار ١/ ١٣٦ - الطحاوي (ت ٣٢١) والحق وهو ما عن أهل البيت وهم أدرى بذلك أنها ولدت بعد البعثة بسنوات خمس واستشهدت وهي في الثامنة عشر من العمر..

بل أشار بعضهم إلى مشكلة أخرى لم يقدموا لها جوابا، فقد قال في موجز دائرة المعارف الإسلامية ٢٥/ ٧٧١١ / مجموعة من المؤلفين: «التاريخ الأقرب احتمالا هو أنها ولدت في عام إعادة بناء الكعبة المشرفة أي قبل بداية البعثة النبوية بخمس سنوات، وهذا يعني أنها تزوجت عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها، ولم يكن من المألوف أن يتأخر زواج الفتاة العربية حتى هذا السن!» فهل مرادهم أن فاطمة كانت بائنة إلى هذا الحد وأنها غير مرغوب فيها من أحد؟ بينما يتفاخرون بأن غيرها قد خطبت وعمرها ست سنوات وتزوجت وعمرها تسع؟

الحسنة وقبول الهدى وحرص المشرع الإسلامي في التأكيد على آثاره تلك كأحد الآثار الوضعية المطلوبة بالإضافة إلى كون تناوله يعبر عن طاعة الله سبحانه.

وفي المقابل فإن تأثير أكل الحرام في سلوكيات آكله واضح^(١)، وإن كان هذا وذلك بمعنى اقتضاء الشيء لهذه النتيجة لا بمعنى العلة التامة والسبب الكامل حتى لا يقول أحد أن فلانا يأكل الحلال ومع ذلك يسرق، وأن فلانا يأكل الحرام وهو أمين!

فإذا كان أكل الحلال والطيبات من الرزق يقتضي تلك الآثار الإيجابية في الأخلاق والدين، فكيف إذا كان ذلك الطعام من الجنة كما أسلفنا في خبر أكل النبي طعام الجنة ليتكون منه بدن فاطمة؟ وإذا كان بدن فاطمة قد تكون من طعام الجنة فكيف ستكون روحها ونفسها؟

وعلى هذا الأساس فقط يمكن فهم ما ورد في روايات الفريقين من أن النبي ﷺ كان يقبل فاطمة ويشم منها ريح الجنة^(٢)! فإذا

(١) المجلسي؛ المولى محمد باقر (١١١١ هـ): بحار الأنوار ٤٥/ ١٠ خا ط ب الإمام الحسين عليه السلام الجيش الأموي بقوله: وكلكم عاص لأمرى غير مستمع قولى فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟

(٢) لما أسرى بي أتاني جبرئيل بتفاحة فأكلتها فواقعت خديجة فعليقت بفاطمة، فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شملت رقبة ابنتي فاطمة / نقل أصل الحديث الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، والمحب الطبري في ذخائر العقبى وعلق عليه الذهبي بالقول: هو موضوع.

كانت قد ولدت قبل البعثة بخمس سنوات فما ميزتها في هذه الجهة على سائر بنات الرسول أو أبنائه؟ وإذا لم تتكون من طعام الجنة فمن أين جاءت هذه الرائحة التي يستروحها رسول الله فيها؟

لا غرابة بعد هذه المقدمات أن نرى في روايات المعصومين عليهم السلام عن أمهم الزهراء أنها كانت تحدث أمها خديجة وهي في بطنها^(١).

ولأنها كذلك فقد كان برنامج مجيئها لهذه الدنيا والغرض المتعلق به مختلفا عن سائر بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيأتي بيان ذلك في موضوع مقاماتها عليها السلام.

٢ / فاطمة في طفولتها المبكرة: ستكون فاطمة مؤنسة أمها بعد خروجها إلى عالم الدنيا كما كانت مؤنستها قبل ذلك في بطنها، وستكون إلى جانب أمها خديجة الكبرى معينة لأبيها ومدافعة عنه - بقدر ما يتيسر لها ذلك - وسوف تعاني في الدفاع عن شخصية أبيها النبي المصطفى وتخفيف حملة أعدائه عليه، كما ستفعل ذلك مستقبلا بالنسبة لزوجها الوصي المرتضى. فهذا هي تميظ الأذى وسلا البعير الذي وضعه القرشيون على كتف النبي وهو يصلي؛ قال الراوي: «فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ قَالَ فَاسْتَضَحُّكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم سَاجِدًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى

وقال المحقق النستري في قاموس الرجال ٢٥٨/٩: إنما يحكمون بوضع مثله، لأنهم جعلوا ولادتها قبل البعثة، مع أن روايات الإمامية متفقة على أنها كانت بعد البعثة (١) الأُمالي ٦٩١ / مصدر سابق.

انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جَوِيرِيَّةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَقْرِيش). ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ»^(١).

وبالرغم من أنها كانت صغيرة السن في مقاييس الأرقام إلا أنها سجلت وشاهدت تفاصيل أذى قريش وتآمر زعمائها على الرسول أبيها وعلى الرسالة الإلهية، ولذلك لم يكن نقدها في خطبتها المشهورة لواقع قريش المتآمر ناشئاً عن عاطفة أو بعد عن الواقع، فراجع خطبتها وكيف تحدثت عن قريش مشيرة إلى أن الخط القرشي استمر في التآمر على الخط الرسالي العلوي المحمدي.

ولم تقف أمام ذلك في موقف التسجيل وإنما حاولت مساعدة أبيها وتخفيف آلامه بالمقدار الذي تستطيعه امرأة صغيرة أمام عتاة الرجال وسفهائهم. كما كابدت مع أبيها وأمها صلوات الله عليهما وباقي المسلمين آثار حصار قريش لبني هاشم ومن تبعهم من المؤمنين في شعب أبي طالب. وصبرت كما صبروا على طول المحنة التي استمرت نحو ألف يوم من الزمان.

كما شاهدت عمر أمها السيدة خديجة وهو يتصرّم، و ثروتها

(١) الإشبيلي؛ عبد الحق بن عبد الرحمن (ت ٥٨٢ هـ): الجمع بين الصحيحين ٣/ ٨٣، وهذا يقدم لأولئك الذين يدبجون الأحاديث في فضل قريش وأنها تقدم ولا يتقدم عليها، مع دعاء النبي عليها بهذه الصورة.

وهي تتناقص لجهة الانفاق على الرسالة وأتباعها، حين حرمة الناس وتعلمت منها أن الدين والشريعة تستحق التضحية بكل شيء يملكه الانسان المسلم.

٣/ نحتمل أنه في الفترة التي تلت وفاة أمها الصديقة خديجة في السنة العاشرة لبعثة النبي وإلى وقت هجرة أبيها من المدينة أن تكون الزهراء فاطمة في أجواء بيت عمها أبي طالب الذي توفي في نفس سنة وفاة أمها على ما هو المعروف، وأن تكون في رعاية زوجته فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام. وكان عمرها في ذلك الوقت نحو خمس سنين، وبالرغم من أن النبي قد تزوج في تلك السنة سودة بنت زمعة إلا أننا لا نعثر على شيء مميز في علاقتها مع السيدة فاطمة عليها السلام. بل ربما حسبت سودة كما في صحيح البخاري على غير الخط المنسجم مع فاطمة في المدينة ولا نعلم كيف كانت في مكة!

إلا ما يذكر في بعض مصادر مدرسة الخلفاء من أن سودة كانت من ضمن الركب المهاجر إلى المدينة^(١).

(١) المباركفوري؛ صفى الرحمن: الرحيق المختوم مع زيادات ١/ ١٢١: قال في باب: من قدم من أهل النبي ﷺ إلى المدينة.. بعد أيام وصلت زوجته سودة بنت زمعة وبنتاه فاطمة وأم كلثوم، وخادمه أسامة بن زيد، وحاضنته أم أيمن، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، وبقي في مكة من أبنائه ﷺ زينب عند أبي العاص، منعها من الخروج، وقد هاجرت بعد غزوة بدر.. وفي أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩) ١/ ٤١٤ البلاذري عن عائشة: وجه رسول الله ﷺ من المدينة، حين هاجر إليها، زيد بن حارثة، وأبا رافع موكبيه.

وبالرغم من الاختلاف بين مؤرخي مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ^(١) في قائد الركب وكيفية الخروج من مكة إلا أنهم يتفقون على هجرة السيدة الزهراء عليها السلام بعد أن أرسل رسول الله من يأتيه بها.

٤ / جاءت الزهراء إلى المدينة المنورة، وقد بنى النبي صلوات الله عليه وآله له

فَحَمَلَا سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، وَفَاطِمَةَ، وَأُمَّ كُلْثُومَ. وَحَمَلَ زَيْدٌ أُمَّ أَيْمَنَ امْرَأَتَهُ، وَأُسَامَةَ ابْنَهُ.. أقول من الملاحظ في هذا الحديث التنكر لاسم الإمام علي عليه السلام في أنه هو صاحب الهجرة بالركب النبوي من مكة إلى المدينة.. وقد أخذوه وغيرهم من سيرة ابن إسحاق.

(١) فبينما تذكر مصادر أهل البيت كما في الأمالي/ ٥٠٠ للشيخ الطوسي والمناقب لابن شهر آشوب ما خلاصته أن النبي قبل هجرته من مكة أوصى علياً أن يكون على أهبة الاستعداد ليأتي بالفواطم ونساء بني هاشم متى جاء الخبر من النبي، وينبغي أن يؤدي في هذه الفترة أمانات رسول الله وودائعهم ويقضي دينه إن كان لأحد على النبي دين، ثم يخرج من مكة وسيكون في حفظ الله فلا داعي لأن يخرج سرا! وبالفعل فلما وصل النبي إلى المدينة أرسل إليه أبا واقد الليثي ليستحثه على المجيء وعدم التأخر، فخرج علي عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله عليه السلام، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب - وقيل: هي ضباعة - وتبعهم أئمن بن أم أئمن مولى رسول الله وأبو واقد رسول رسول الله، وخرج علي عليه السلام جهرا، وعندما حاولت قريش اعتراضه ورده كان في سيفه شفاء وجواب، فواصل سيره حتى وصل إلى المدينة وكان النبي قد انتظر ولم يدخلها بل أقام في طرفها حتى وصل علي عليه السلام والفواطم.

أما كتب مدرسة الخلفاء فلا تذكر علياً في هذه الهجرة ولا في غيرها! فلا هو هاجر مع النبي ولا هاجر سرا ولا هاجر جهرا ولا مع الفواطم ولا من دونها! وكأن اسمه قد مسح وألغي في هذا الحدث! وتحقيق الأمر أكثر من هذا قد يأتي في ذكر سيرة النبي المصطفى إن شاء الله تعالى.

بيتا، يفترض أنه قد أسكن فيه زوجته القادمة من مكة سودة بنت زمعة، وأسكن فيه ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم يكن حتى ذلك الحين قد تزوج باقي نسائه فعائشة مثلاً تزوجها النبي كما في روايتها هي في شوال من نفس السنة وباقي النساء دخل بهن فيما بعد.

ولم يتبين لي بحسب مراجعة مصادر المدرستين كيف كانت مواقف زوجة النبي سودة مع فاطمة عليها السلام وهما بحسب الفرض في بيت واحد، وإجمالاً فإن القليل من المعلومات هو الموجود عن سودة.

٥/ تزويجها السماوي: لجهاتها الخاصة من الفضائل التي عرفت عنها، ولكونها بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان من الطبيعي أن تكون محط الاهتمام للاقتران بها، ويمكن أن نلاحظ هنا أن البعض كان يفكر في الزواج بفاطمة لأجل أن ذلك سيجعل له موقعية خاصة عند النبي، فإن المصاهرة في تلك الأزمنة بل غيرها كانت أحد أهم وسائل التقرب من الشخص.

لهذا أو لذلك فقد رغب بعض أصحاب النبي في الزواج من فاطمة، التي ستتم سنتها التاسعة مع نهاية جمادى الثانية من السنة الثانية لهجرة النبي، بناء على الرواية المعتبرة عند شيعة أهل البيت، ولنترك مصادر الفريقين تتحدث:

فعن أنس بن مالك قال: «جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقعد بين يديه فقال يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال: (وما ذاك) قال: تزوجني فاطمة قال فسكت عنه!

فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكَتَ!

فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ قَالَ خَطَبْتُ فَاطِمَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْرَضَ عَنِّي!
فَقَالَ: مَكَانَكَ حَتَّى آتَى النَّبِيُّ ﷺ فَأَطْلُبُ مِثْلَ الَّذِي طَلَبْتَ
فَأَتَى عُمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ
مُنَاصِحَتِي وَقِدَمِي فِي الْإِسْلَامِ وَإِنِّي وَإِنِّي قَالَ: (وَمَا ذَاكَ)؟

قَالَ: تُزَوِّجُنِي فَاطِمَةَ فَسَكَتَ عَنْهُ! فَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللَّهِ فِيهَا قُمْ بِنَا إِلَى عَلِيٍّ حَتَّى نَأْمُرَهُ يَطْلُبُ مِثْلَ
الَّذِي طَلَبْنَا!

قَالَ عَلِيٌّ: فَاتَيَانِي وَأَنَا أَعَالِجُ فَيْسِلًا لِي فَقَالَا: إِنَّا جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ
ابْنِ عَمِّكَ بِخِطْبَةٍ قَالَ فَبَهَّانِي لِأَمْرِ فَقُمْتُ أَجْرُ رِدَائِي حَتَّى أَتَيْتُ
النَّبِيَّ ﷺ فَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ قِدَمِي
فِي الْإِسْلَامِ وَمُنَاصِحَتِي وَإِنِّي وَإِنِّي قَالَ: (وَمَا ذَاكَ)؟ قَالَ: تُزَوِّجُنِي
فَاطِمَةَ؟

قَالَ: (وَعِنْدَكَ شَيْءٌ) قُلْتُ فَرَسِي وَبُذْنِي قَالَ: (أَمَّا فَرَسُكَ
فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ وَأَمَّا وَبُذْنُكَ فَبِعَهَا) ^(١) قَالَ فَبِعْتُهَا بِأَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ
فَجِئْتُ بِهَا حَتَّى وَضَعْتُهَا فِي حِجْرِهِ فَقَبَضَ مِنْهَا قَبْضَةً فَقَالَ: (أَيُّ
بِلَالٍ ابْعَثْ ابْتِغِ بِهَا طَيِّبًا) وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْهَزُوهَا فَجَعَلَ سَرِيرًا مُشْرَطًا

(١) في روايات أخر ذكر الدرع، وقد يكون كلا الأمرين من البدن والدرع، وفي بعضها ذكر هذا والآخر ذكر ذاك.

بِالشَّرْطِ وَوِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ»^(١) إلى آخر الخبر.

وقد حاول بعض الكتاب من أتباع مدرسة الخلفاء تخفيف رفض رسول الله تزويج بعض الأصحاب، بتضعيف الأخبار الصريحة وتقوية الأخبار المخففة، كما تلاحظ في الهامش لكن الصحيح هو ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي لقد عاتبتني رجال قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت

(١) وقد ذكره ابن حبان البستي (ت ٣٥٤) في صحيح ابن حبان - ٣٩٤/١٥ والطبراني في المعجم الكبير ٤٠٨/٢٢ وابن المغازلي (ت ٤٨٣) في مناقب علي ١/٤١٣ والسيوطي (ت ٩١١) في جامع الأحاديث ٩١/٣٣ والمتقي الهندي (ت ٩٧٥) في كنز العمال ٦/١٣... وقد علق عليه ناصر الدين الألباني في كتاب ضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ١/١٧١ بأنه منكر المتن - ضعيف الإسناد!

أقول: هل كان يتوقع منه غير ذلك فإن تصحيحه يهدم كثيرا من الأسس التي يبنى عليها مثل الالباني.. لكن لو كان بصياغة أخرى أخف فلا مانع عند الالباني وغيره من قبوله، مثل حديث: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّهَا صَغِيرَةٌ) فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَرَوَّجَهَا مِنْهُ!! وتعليقه هنا على الحديث أنه صحيح. لأن صياغته أخف كثيرا من السابق! ونسأل كيف صارت صغيرة والحال أنها بناء على رواياتهم ولدت قبل البعثة بخمس سنوات ويعني هذا أن عمرها الآن قريبا من ٢٠ سنة؟ فهل هذه صغيرة؟ وكيف قبلنا من النبي عذر أنها صغيرة والحال ان النبي تزوج ابنة أبي بكر (خاطب فاطمة) وهي بنت تسع سنين كما يذكر في صحاحهم؟ والنبي حينها بحدود ٥٣ سنة! وكيف كانت صغيرة على الزواج منها وليست صغيرة على الزواج من علي؟ أسئلة لا تجد لها إجابات!

عليًّا فقلت لهم: والله ما انا منعتكم وزوجته بل الله تعالى منعكم وزوجه فهبط عليَّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ان الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليًّا عليه السلام لما كان لفاطمة ابتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه^(١).

لقد كان هذا التزويج سماويًّا^(٢) قبل أن يكون أرضيًّا، فقد ورد في مصادر المسلمين قول النبي: «إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من عليٍّ»^(٣).

٦ / هل فاطمة صغيرة بالنسبة للزواج؟

الوارد تاريخيا وروائيا^(٤) أن عليا عليه السلام عندما تزوج فاطمة

(١) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا ١/ ٢٠٣

(٢) في روايات أهل البيت عليهم السلام الكثير يحمل هذا المعنى منها ما روي عن الامام الرضا عليه السلام في عيون أخبار الرضا ١/ ١٧٣ في حواره مع علي بن الجهم حيث قال له «وأن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوا من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله ﷺ بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُمَا﴾ وفاطمة من علي عليه السلام»

(٣) الطبراني: المعجم الكبير ١٠/ ١٥٦، وجلال الدين السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٥٨ وقال الصنعاني في التنوير شرح الكتاب: «إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي» ذكر المصنف الحديث في الكبير ولفظه عن أنس قال: كنت قاعدًا عند النبي ﷺ فغشيه الوحي فلما سري عنه قال: يا أنس أتدري ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش قلت: بأبي أنت وأمي ما جاءك به جبريل من عند صاحب العرش قال: «إن الله أمرني أن أزوج...» الحديث. وبالطبع لن يقبل هذا الحديث أتباع الخط الأموي كالذهبي الذي نقل عن ابن الجوزي وقال فيه: وهذا موضوع فيه من الركة أشياء.

(٤) عطاردي: مسند الإمام الرضا ١/ ٣٣٥ وفيه أورد رواية نصر بن علي الجهضمي

كان له من العمر ٢٥ سنة وكانت في بداية العاشرة من العمر، وقد يستبعد البعض هذا، فكيف تتزوج فتاة صبية عمرها ١٠ سنوات؟ وهذا ما يُلجئ البعض للتمسك بالروايات القائلة بأن ولادتها كانت قبل خمس سنوات من البعثة لرفع استبعاد تزويجها في هذا العمر (المبكر) كما يقول. وبالطبع لن ينتبه إلى مشكلتين؛ مخالفة هذا الكلام للروايات المعتمدة والتواريخ الموثقة، وأهم من ذلك أنه لا تبرير لتأخير زواجها إلى سن التاسعة عشر وهو أمر مستنكر جدا وشنيع في تلك الأزمنة في المجتمع العربي، فإما أن يكون تأخر زواجها لأنها غير مرغوبة ولا مطلوبة وهذا كذب بلا ريب أو أنها كانت مرغوبة ومطلوبة لكن النبي منع من ذلك وهذا أشنع من سابقه! وهذا ينفيه ما عليه روايات مدرسة الخلفاء من ردّ النبي من تقدم إليها وقال إنها صغيرة! فهل تكون صغيرة وهي بنت ١٩ عاما، على هذا القول؟

الصحيح هو ما ذكرنا من أنها تزوجها علي أمير المؤمنين بأمر سماوي لرسول الله ورد كل من تقدم إليه قبلها، وبمجرد أن جاء علي عليه السلام، فقد أجابه ورتب الأمر عملياً بعد مشاورته لها! وهنا

قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن عمر فاطمة عليها السلام، قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوته بخمس سنين وقريش تبني البيت، وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما وكان عمرها مع النبي صلى الله عليه وآله بمكة ثمانى سنين وهاجرت مع النبي إلى المدينة وأقامت بالمدينة عشر سنين، وأقامت مع أمير المؤمنين من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما، وولدت الحسن بن علي عليه السلام ولها إحدى عشرة سنة بعد الهجرة..

نشير إلى نقطة مهمة وهي:

أن قضية العمر في الزواج هي قضية اجتماعية، ولكن ينظمها الدين فمن نظام الدين فيها أنه لا يجوز الدخول بالمرأة قبل بلوغها الشرعي وهو إكمال تسع سنين، وأما هل يكون ذلك وهي في سن العاشرة أو الخامسة عشر أو العشرين أو أكثر فهذه تدخل ضمن الأعراف الاجتماعية وضمن الاستعداد البدني العام والذي يختلف من منطقة لأخرى، فابنة الثانية عشر في مجتمع الجزيرة العربية أو في أفريقيا يختلف استعدادها البدني غالباً عن مثيلتها في الدول الاسكندنافية في أن هذه الأخيرة قد لا تكون مهياً للزواج، بخلاف الأوليين، ويشير إلى ذلك علامة البلوغ هنا فالدورة الشهرية في كثير من نساء هاتين المنطقتين وأمثالهما تكون غالباً مع إكمال التاسعة بخلافها في تلك المناطق.

وهذا لا ينحصر بالمنطقة الجغرافية، بل حتى التاريخ هو مؤثر؛ فما هو في عصرنا الآن - لأسباب مختلفة - من أنه يعتبر زواج الفتاة قبل الثامنة عشر، زواج الأطفال ويعاقب عليه القانون! هو نفسه في عصور سابقة كان يعتبر الوقت المثالي لزواج الفتاة، وأن من تتأخر إلى ما بعد الثامنة عشر أو العشرين تُحسب كأنها بائرة! أو يكون الأمر غريباً ولا بد فيه من تقديم سبب!

والناظر إلى زيجات الكثير ممن أسلمن تشير إلى هذا العمر الذي يعتبر في زماننا مبكراً جداً. بل أكثر من هذا نجد في حياة آبائنا

وأجدادنا في هذه المناطق التي نعيش فيها، مع بعد الفاصلة الزمنية مع عصر الإسلام الأول، فإن زواج البنت وهي في الثانية عشر من العمر كان أمراً شائعاً وكثيراً.

٧/ كم كان مهر فاطمة: تفيد الروايات بأن مهر فاطمة الزهراء عليها السلام (الدينوي) وإلا فمهرها الأخرى^(١) شيء لا يحيط به الإدراك، كان نحو خمسمائة درهم. وما ورد فيها من أنه كان ثمن درع عليّ وبُذنه عليه السلام أو أنه اثنتا عشرة أوقية ونش أو أربعمئة وثمانين، أو غير ذلك فمرجعه إلى هذا، وبناء على هذا فإنه يمكن حسابه بطريقتين:

◀ الأولى حسابه بالعدد وقياسه بما يعادله اليوم: فنقول درهم الفضة كم يساوي الآن؟ والجواب أنه لما كان الدرهم يساوي غرامين ونصف، والغرام يساوي ريالين (سعوديين بحسب قيمة هذه الأيام)، فإذا ضربنا أربعمئة درهم في ريالين ونصف فإنه يساوي ألفين وخمسمئة ريال فيكون هكذا ٢٠٠ × ٢,٥ = ٥٠٠ وهو يساوي ٢٥٠٠ ريال. وهذا المبلغ بحسب مقاييس هذا الزمان يعتبر قليلاً جداً، فإن مهر متوسط النساء في هذه المنطقة التي نحن فيها هو ٢٥٠٠٠ ريال، خمسة وعشرين ألف ريال، وهذا يعني عشرة أضعاف مهر فاطمة الزهراء.

(١) فقد ورد في بعض الروايات أنه «جعل الله مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمة أبيها» وفي بعضها الآخر أنه خمس الأرض..

وأما في بعض المناطق كما نقل عن البادية فإن المهور ترتفع لتصل إلى مائة ألف وهذا يعني أربعين ضعفاً، ولذلك يمكن الاستفادة بسهولة من هذه الطريقة في الحساب للاستدلال على استحباب قلة المهر وهو مفاد كثير من الروايات والأحاديث.

◀ وأما الطريقة الثانية: فهي أن يحسب لا بعدده وإنما بقيمته الشرائية آنذاك، فإن النقد في كل زمان له قيمة شرائية تتحدد من خلال ما تستطيع تلك العملة أن تأتي به وتعادل به. وقد شهدنا في عصرنا أن الدينار مثلاً والليرة في زمن يكون له قيمة معينة فتأتي ظروف تؤثر في نزول قيمته أحياناً إلى ١٪ من قيمته الأصلية وقدرته الشرائية.

فبناءً على هذه الطريقة ينبغي حساب الدراهم الخمسمائة تلك بقيمتها الشرائية، وبالتالي نتساءل إن الدرهم أو الدينار في ذلك الزمان (حيث كان كل عشرة دراهم يساوي ديناراً) كم كانت قيمته الشرائية؟ ماذا كان يصنع الدينار أو الدرهم في زمان الرسول ﷺ؟ وماذا كان يشتري به؟

وبالنظر إلى كتاب الزكاة نجد أن الروايات عن النبي قد حددت أن ثمن الشاة يعادل عشرة دراهم^(١). وورد في حديث آخر ما ينسجم مع هذا حين أعطى النبي ﷺ أحد المسلمين ديناراً (وهو

(١) الحميدي؛ ابن أبي نصر (ت ٤٨٨): الجمع بين الصحيحين ١/ ٩٣.. ويُعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين.

يساوي عشرة دراهم) ليشتري بذلك شاة، فقام بشراء شاتين بهذا المبلغ بذكائه وشطارته^(١). فإن تقدير النبي أن سعر الشاة يساوي هذا المقدار قرينة أخرى على ما نحن بصده، من أن سعر الشاة قد يكون عشرة دراهم أو ديناراً.

فإذا تم هذا الكلام فيكون خمسمائة درهم هي سعر خمسين شاة، وإذا حسبنا سعر الشاة اليوم وضررنا قيمتها في خمسين يكون ذلك معادلاً للمهر الذي أعطي للسيدة الزهراء عليها السلام. وهو بحسب نفس المنطقة التي حسبناه بالريال فصار ٢٥٠٠ سيتغير الحال بهذه الطريقة الثانية ويكون (لو فرضنا أن الشاة المتوسطة سعرها ما بين ٥٠٠ إلى ٧٥٠ ريالاً) فسيعادل ذلك مبلغ (٢٥٠٠٠ إلى ٣٧٥٠٠ ريال - أي حوالي ١٠ آلاف دولار).

٨/ بيت علي وفاطمة عليهما السلام:

يكفي عن كل وصفٍ لذلك البيت، وصفُ الله تعالى في القرآن حيث أشار إليه في الآية المباركة ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾^(٢).

(١) المزني؛ اسماعيل (ت ٢٦٤): السنن المأثورة للشافعي ١/ ٤٠٨.. إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى عُرْوَةَ بِنْتُ أَبِي الْجَعْدِ الْبَارِقِيَّ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً أَوْ أَضْحِيَّةً قَالَ: فَاشْتَرَيْتُ لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ وَدِينَارٍ قَالَ: فَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ فِي الْبَيْعِ، فَكَانَ لَوْ اشْتَرَى ثَرَابًا لَرَبِحَ فِيهِ.

(٢) النور: ٣٦

هذا البيت المجاور لبيت رسول الله (والمواقع الآن في ضمن سياج قبره الشريف) شهد الكثير من الوقائع والحوادث الجديرة بالتسجيل فهو أول بيت ضم زوجين معصومين في تاريخ البشر، الزوج عليّ والزوجة فاطمة، وهو أمر لم يحصل في تاريخ البشر قبله ولا بعده.

وبالتالي فإن ما كان فيه من قوانين وآداب وممارسات يصلح لأن يكون منهاجاً يستهدي به المؤمنون، فمنه يتعلمون كيفية الحياة الزوجية السعيدة التي تنتج أن يقول الإمام عليّ عليه السلام عن تلك العلاقة «فوالله ما أغضبته ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت انظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها»^(١).

وفيه تم وضع أساس في تحمل المسؤولية بين الزوجين، وإن كان لا يعني ذلك ألا يعين أحدهما الآخر فيما هو خارج مسؤوليته الأصلية^(٢)، وإنما هو في التقسيم الأساس للمسؤوليات ففي

(١) الموفق الخوارزمي؛ المناقب ص ٣٥٤

(٢) فإننا نجد أن الزهراء ربما أعانت علياً عليه السلام في تحصيل القوات من خلال غزوها الصوف كما في رواية جامع أحاديث الشيعة، ١٧/ ٧٤ من أن الإمام عليّ عليه السلام ذهب إلى جار يهودي يقال له شمعون بن حارث فقال له يا شمعون أعطني ثلاثة أصوع من شعير وجزة من صوف تغزله لك ابنة محمد ﷺ فأعطاه اليهودي الشعير والصوف فانطلق إلى منزل فاطمة فقال لها يا بنت رسول الله ﷺ كلي هذا واغزلي هذا.. ومثلما كان يعين هو فاطمة عليه السلام في أعمال البيت؛ ففي نفس الكتاب ١٣٩ عن علي عليه السلام قال دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس! قال: يا أبا

الرواية عن الامام الباقر عليه السلام أنه: «تقاضى علي وفاطمة عليهما إلى رسول الله ﷺ في الخدمة، ففضى علي فاطمة عليهما بخدمة ما دون الباب وقضى علي عليه السلام بما خلفه. قال: فقالت فاطمة عليه السلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله ﷺ تحمّل رقاب الرجال»^(١).

وبناء على ذلك فـ «إن فاطمة عليهما ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت (كنسه) وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام..»^(٢).

وقد شهد هذا البيت الشريف تنزل الآيات وتطبيق الأحاديث النبوية، فإنه شهد حديث الكساء وهو المعروف بين الفريقين، فإن سياق الحديث المروي عنها والذي يبدأ بقولها: دخل علي رسول الله ذات يوم.. إلى آخر الحديث يفيد أن الأمر كان في بيتها عليهما.

وحديث الكساء يتضمن شرح آية التطهير^(٣) وفيمن نزلت،

الحسن! قلت: لبيك يا رسول الله! قال اسمع وما أقول الا ما أمر ربي ما من رجل يعين امرأته في بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها..

(١) الزنجاني الخوئي؛ اسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ١٢٩/١٧ وقد ذكر لذلك نحو عشرة مصادر. وبالطبع لا بد أن نفهم كلمة تقاضى في ضمن إطار بعيد عن التنازع بقرينة فما أغضبته ولا أغضبته حتى قبضها الله. (٢) البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ٢٠/٢٣٤ ناقلا عن تفسير العياشي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٣) ولا يمتنع ذلك أن الآية نفسها قد نزلت في بيت أم سلمة كما هو مفاد حديث

وهي من أهم الآيات التي تشير إلى مرجعية أهل البيت عليهم السلام وطهارتهم وعصمتهم.

ونشهد لهذا البيت شأنًا لا يماثله شأن، لا في بيوت الأنبياء ولا غيرهم، وهو أن سيد الخلق محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم كان يقف على بابه لمدة ستة أشهر كل يوم يعني ما يصل إلى ١٨٠ مرة، ليكرر على الأسماع أن أهل البيت هم هؤلاء، وأنهم مطهرون، ف «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَقُولُ: الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، ^(١) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ^(٢) وبينما أغلقت أبواب البيوت المطلة على المسجد، وسُدت بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بقي باب هذا البيت مُشْرَعًا على مسجد رسول الله، وعندما سأل بعض الناس النبي عن ذلك، وكان منهم من هو

عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في بيت أم سلمة.

(١) بن حنبل؛ أحمد (ت ٢٤١): مسند أحمد مخرجا ٢١ / ٤٣٤، والترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩): سنن الترمذي ت ٥ / ٢٠٥.. وفي نص آخر يستفاد أن المدة كانت أطول من هذا وأنها كانت تسعة أشهر وهو ما نقله السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦ / ٦٠٦ فيقول: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الصلوة رحمكم الله كل يوم خمس مرات..

قراءة النبي فضلاً عن غيرهم أخبرهم بأن الأمر ليس من عنده وإنما هو أمر إلهي! ^(١).

كما أنه ارتبط ببعض القصص التي خلدها القرآن الكريم أو السنة النبوية؛ مثل قصة الإيثار في سورة الإنسان التي ذكر فيها سبحانه إطعام علي وفاطمة المسكين واليتيم والأسير فقال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ^(٨) **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ^(٩) ^(٢). هذا البيت شهد ولادة امتداد النبوة، والكوثر النبوي المستمر، وبقاء ذريته وعدم انقطاع نسله عليه السلام، ولا بد من الإشارة إلى أننا نعتقد أن الأمر تدخلت فيه يد الغيب بشكل واضح، لكي ينحصر نسله وذريته من علي وفاطمة؛ فمع أنه أنجب من خديجة ابنين وأربع بنات ^(٣)، إلا أن إرادة الله تقتضي أن يتوفى الذكور في وقت مبكر وأن لا يبقى من الإناث نسل، ثم تقتضي إرادة الله وحكمته أن لا يحصل إنجاب من تسع نساء تزوجهن النبي بعد خديجة

(١) النسائي: أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣): خصائص علي ١/ ٦٢، عقد فيه بابا بعنوان «ذكر قول النبي ما أنا أدخلته وأخرجتكم بل الله أدخله وأخرجكم» أورد فيه أربعة أحاديث بأسانيد وعبارات مختلفة منها أن العباس أتى النبي عليه السلام فقال: سددت أبوابنا إلا باب علي؟ فقال ما أنا فتحتها ولا سددتها! (٢) الإنسان: ٨-٩

(٣) المشهور في المدرستين بين المسلمين هو ذلك، وهناك رأي آخر يرى كونهن - باستثناء فاطمة - ربيبات للنبي عليه السلام، وقد ذكرنا في كتاب أعلام من الأسرة النبوية أدلة الفريقين ورجحنا رأي المشهور.

وفيهن المنجبة والبكر والمتوسطة مع أنه بقي مع بعضهن نحو تسع سنوات! فهل ترى هذا أمراً عادياً؟ لا ريب أنه ليس عادياً! هو ما قاله رسول الله ﷺ في وقت مبكر وهو من دلائل نبوته وعلمه بالمستقبل «ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب عليّ وابنتي فاطمة»^(١).

أنجبت الزهراء عليها السلام في السنة الثالثة ابنها الحسن، وفي السنة الرابعة الحسين وبعدهما زينب وأم كلثوم، وكان خامس الأولاد المحسن^(٢) الذي أسقط في قضية الهجوم على الدار.

٩ / علاقة زوجات النبي بفاطمة عليها السلام :

لم تكن علاقة زوجات النبي ﷺ بابنته فاطمة على نسق واحد وهذا أمر طبيعي، فإن لذلك ارتباطاً بعوامل متعددة، منها الموقف من أمها خديجة، ومنها قضية الغيرة من محبة النبي لفاطمة محبة استثنائية، بل وما هو مهم موقف تلك النساء من موضوع خلافة

(١) الصدوق: الأما لي ٤٥٠ عن رسول الله ﷺ: «يا علي، إن الله تبارك وتعالى جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلبك». وفي المعجم الكبير للطبراني ٤٣/٣ عَنْ جَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

(٢) المجلسي: مرآة العقول ٣٢٢/٥ .. وأسقطت لذلك جنيثا كان سماء رسول الله ﷺ محسناً.. وهو أمر استثنائي فالتسمية عادة ما تكون للطفل بعد ولادته حياً لكن النبي ﷺ أثر أن يسميه في وقت مبكر.. فهل لذلك دلالات خاصة؟ الغريب أن الكثير من مصادر مدرسة الخلفاء أشاروا إليه على أنه مات صغيراً!

النبي ﷺ ومنها غير ذلك.. وكان من الطبيعي حتى لو تم التغاضي والمجاملة في الجانبين الأولين ألا يتم ذلك في الجانب الأخير.

بل يستفاد من الروايات وتشير إليه الوقائع التاريخية «أن نساء رسول الله كُنَّ حَزْبَيْنِ، فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةٌ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ»^(١).

والذي تفيد الروايات أن علاقة أم سلمة^(٢) التي تزوجها

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦): صحيح البخاري ٣/ ١٣٢ روى ذلك عن أم المؤمنين عائشة كما نقله عبد الحق الأشبيلي (ت ٥٨١) في الجمع بين الصحيحين ٣/ ٥٧٢. أقول: نعتقد أن صفية لم تكن في هذا الحزب الأول وأن علاقتها به لم تكن بشكل تحسب عليهن، فقد روي كما في المعجم الكبير للطبراني ٧٥/ ٢٤ وشرح سنن أبي داود لابن رسلان ١٨/ ٩١ أن رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت: بلغني أن عائشة وحفصة ينالان مني ويقولان: نحن خير من صفية، نحن بنات عم النبي ﷺ وأزواجه. فقال: «ألا قلت لهن: كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ». وهذا الحديث منقول في مصادر أخرى بصيغة أشد «ان النساء يعيرنني ويقولون يهودية بنت يهوديين» ومثل هذه الحادثة لا تنم عن وجود علاقة إيجابية، وفي مصادر الامامية ما يشير إلى أن النبي أوصى بأن ترجع بعده إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ففي الأمالي للشيخ المفيد ٢٧١، وأمالى الشيخ الطوسي ص ٦٤ في حديث.. قال: فجاءت صفية بنت حيي بن أخطب إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني لست كأحد من نسائك، قتلت الأب والأخ والعم، فإن حدث بك شيء فإلى من؟ فقال لها رسول الله ﷺ: إلى هذا - وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام -.

(٢) وعموماً فإن مواقف أم سلمة من خط أهل البيت ومن الإمام علي عليه السلام وأبنائه كانت إيجابية جداً ويظهر ذلك من الكثير من رواياتها في فضائلهم

الرسول ﷺ في شوال سنة ٣ للهجرة، مع فاطمة كانت علاقة إيجابية متميزة، فنحن نجد أنها كانت تتحدث عن أن النبي قد دفع لها فاطمة حتى «تؤدبها وتعلمها»^(١) فإذا بها تراها أعلم منها بالأمور وأكثر أدباً!

ومناقبتهم وممارساتها العملية، ولتفصيل المطلب يمكن مراجعة فصل أم سلمة في كتابنا اعلام من الاسرة النبوية.

(١) الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة / ٨١؛ فيه عن ابن عباس... فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله ﷺ وفوض أمر ابنته إلي؛ فكنت أؤدبها وأدبها. وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها..

وبغض النظر عن سند الرواية فإنه ربما يستشكل فيها بأن النبي مع معرفته بأن فاطمة هي سيدة نساء العالمين كيف يفوض أمر تهذيبها وتأديبها إلى من هي دونها في المنزلة؟ وقد يجاب عن ذلك بأن أمر الآداب يختلف عن الأخلاق بأن الآداب ترتبط غالباً بالأعراف الاجتماعية بخلاف الأخلاق التي لها نحو ثبات واستقرار، فالآداب في المدينة قد تكون مختلفة عنها في مكة، بينما لا يختلف صدق الحديث في حسنة بين منطقة وأخرى! وإذا لم يقبل هذا الجواب فقد يجاب بنحو آخر وهو أن ذلك من أجل إظهار فضل فاطمة على لسان أم سلمة! فلولا أن النبي فعل ذلك ورأته أم سلمة لما تكلمت وشهدت لها بأن فاطمة «والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها» على طريقة ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾. وهناك ملاحظة أخرى في الحديث وهي أن أم سلمة لم تصبح زوجة للنبي إلا في السنة الثالثة من الهجرة (كما في تاريخ الطبري أو الرابعة كما هو المشهور) بينما تزوجت فاطمة قبلها في السنة الثانية للهجرة.. وحينها كانت فاطمة قد ولدت الإمام الحسن عليه السلام (سنة ٣ هـ) بل الإمام الحسين عليه السلام سنة ٤ هـ.. فكيف دفعها إليها لتؤدبها؟ إذ من الطبيعي أن تدفع الفتاة للمربية قبل الزواج لتتعلم شؤونها دون ما إذا كان الأمر بعد زواجها بسنة وبعد إنجاب طفلها.. إلا أنه يمكن تجاوز الموضوع التاريخي (زواج النبي بأم سلمة بعد زواج فاطمة بستين) بأن يقال بأن أم سلمة لما كانت ابنة عمه النبي (لأن أمها عاتكة بنت عبد المطلب على القول المشهور وزوجها السابق هو ابن عمه رسول الله

كما أنه قد نقل عن ابن عباس في حديث طويل في زواج فاطمة الزهراء عليها السلام؛ أنه قد «اجتمعت نساء رسول الله ﷺ وكان يومئذ في بيت عائشة ليسألته أن يدخل الزهراء على علي عليه السلام فاحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينها.

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ﷺ ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذّبتني الناس ووازرني على دين الله وأعانتني عليه بهاها..»^(١).

أما علاقة زوجة النبي عائشة وهي رأس أحد حزبي نساء النبي كما تقدم عن البخاري، فيختلف الفريقان (مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت) فيها اختلافا واضحا فبينما تذهب مصادر

ورضيعه وأمه برة بنت عبد المطلب كما في تاريخ الطبري، ج ٢ / ٤١٤) فإن علقتها بالأسرة النبوية كانت قبل تاريخ زواجها بالنبي.. والله العالم.

(١) الموفق الخوارزمي: المناقب ٣٥١، في حديث.. قالت أم سلمة: فلما ذكرنا (خديجة) بكى رسول الله ﷺ ثم قال: «خديجة وأين مثل خديجة! صدقتني حين كذبتني الناس وآزرني على دين الله وأعانتني عليه بهاها، ان الله عز وجل أمرني ان أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فيه ولا نصب قالت أم سلمة: فقلنا فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهناها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورحمته ورضوانه يا رسول الله ﷺ هذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام يجب ان تدخل زوجته فاطمة وتجمع بها شمله..» إلى آخر الحديث.

مدرسة الخلفاء إلى أنها كانت منسجمة تماما إلى الدرجة التي يخبر النبي فيها ابنته أنه يحب عائشة وأن عليها تصنع مثل صنيعه بل أمرها بحبها في بعض مصادرهم، بعدما أرسلت نساء النبي فاطمة لكي (يعدل) معهن ولا يفضل عائشة عليهن! كما ورد ذلك في المصادر الأصلية عندهم.

«فدعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلنها إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إن نساءك يشدنك العدل في بنت أبي بكر، فكلمته، فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى. قال: (فَأَحْبَبِي هَذِهِ)^(١).. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه فأبت أن ترجع».

وأيضاً فإن مصادر مدرسة الخلفاء تشير إلى أن لعائشة أحاديث في مناقب فاطمة وهو يدل على علاقة إيجابية بينهما مثل قولها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا - وَفِي رِوَايَةٍ - حَدِيثًا وَكَلَامًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهَا وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا».

بل لقد ألفت بعضهم في هذا المبحث وأشار في فصل منه إلى حسن علاقة زوجة النبي عائشة على وجه الخصوص بفاطمة لثبت فيه «أنَّ علاقة عائشة بفاطمة هي علاقة ود وحب ووئام واحترام

(١) الأشيبلي عبد الحق (ت ٥٨١): الجمع بين الصحيحين ٣/ ٥٧٢

وتقدير، ولم يُثبت في الأحاديث الصحيحة أن واحدة منهما قد حملت شيئاً من البغض أو الكراهية تجاه الأخرى، بل أجمع أصحاب السير ورواة الأحاديث على أن الصلة بين عائشة وفاطمة كانت على أحسن ألفه، وأكمل مودة، كأسمى ما يكون من العلاقات بين الأحباء..»^(١).

وفي المقابل فإن مصادر الإمامية ترى أن تلك العلاقة بين زوجة النبي عائشة وابنته فاطمة كانت مضطربة وأقرب إلى التشنج منها إلى الانسجام، فإنهم ينقلون كما عن الصدوق في الخصال أن عائشة كانت تزدرى خديجة ولا ترى لها فضلاً عليها وتنتقصها أمام ابنتها فاطمة مما أبكى ذلك فاطمة ودخل النبي في هذه الحال فانتصر لابنته فاطمة ولزوجته الراحلة خديجة وانتقد عائشة بحسب هذه المصادر^(٢).

بل تلاحظ هذه المصادر أن فاطمة أوصت ألا يدخل عليها أحد، ولما جاءت عائشة لتدخل منعها (أساء بنت عميس

(١) إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة ١٠٢ / ياسين الخليفة الطيب المحجوب.
 (٢) الصدوق: الخصال ٤١٨ في رواية عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً وأني فضل كان لها علينا ما هي إلا كبعضنا، فسمع مقالتها فاطمة فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ بكت فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أمي فتنتقصها فبكيت، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حمير! فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب.. إلى آخر الحديث.

الختنمية) زوجة والدها أبي بكر، وأخبرتها كما أخبرته بأن هذه هي وصية فاطمة عليها السلام ^(١).

وكأن الأمر كان واضحاً حتى أن غير الإمامية قد نقلوه في كتبهم ذلك، فبالإضافة إلى وصيتها السابقة التي نفذتها أسماء بنت عميس (بالرغم من تدخل الخليفة وهو زوجها أيضاً) بمنعها من الدخول، ولولا أن الأمر كان جازماً وواضحاً لما منعت بهذه الصورة، ولعله لهذا السبب لم تحضر عائشة عزاء فاطمة الزهراء، مع حضور باقي نساء النبي كما أورد ذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد، فقد «قال: ثم ماتت فاطمة فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة فإنها لم تأت وأظهرت مرضاً» ^(٢).

وبالنسبة للباقي من نساء النبي فيظهر أنهن كنّ متأثرات بالانتفاء إلى حزين!

١٠ / فاطمة من بعد الرسول إلى الرحيل:

كان فقد النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عظيم الوطأة وعميق الحزن،

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢٩/٢ قالت فاطمة: ... إذا مت فغسليني أنت وعليّ، ولا يدخلن أحد عليّ. فلما توفيت، جاءت عائشة لتدخل، فقالت أسماء: لا تدخلني. فشكت إلى أبي بكر. فجاء، فوقف على الباب، فكلّم أسماء. فقالت: هي أمرتني. قال: فاصنعي ما أمرك، ثم انصرف وكذلك نقله السيوطي في جامع الأحاديث ٤٥٠/٢٤.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٩٨/٩ قال ابن الحديد: هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب - ره - ولم يكن يتشيع.

ولعل تعبيرها ^{عليها} عنه في الشعر المشهور لها:

ماذا علي من شم تربة أحمد
ألا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها
صبت على الأيام صرن لياليا^(١)

(١) ابن الجوزي (ت ٥٩٧) مثير الغرام الساكن ط دار الحديث ١/ ٤٨٩ راويا عن: علي، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: «لَمَّا رُمِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَوَقَّفَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَأَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ فَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَبَكَتْ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

ماذا علي من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عند لياليا
لكن الذهبي (ت ٧٤٨) في سير أعلام النبلاء ط الحديث ٣/ ٤٢٦ وبعد حوالي قرن من الزمان، وكعادته في النفي قال «وَمَا يُنْسَبُ إِلَى فَاطِمَةَ وَلَا يَصُحُّ» ثم ذكر الأبيات السابقة. ولعل إنكاره إياه لما تحمل تلك الأبيات من إشارة إلى ظلماتها. مع أنه قد أشار إلى الأبيات كاملة أو خصوص البيتين جمع غفير من المؤلفين منهم ابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣) في كتابه: الدرة الثمينة في أخبار المدينة وعبد الرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢) في الشرح الكبير ٢/ ٤٣٠.

بل لقد دخلت الحادثة والأبيات ضمن الاستدلال الفقهي على جواز النياحة على الميت، نرا وشعرا، وأصبح يستدل بالأبيات ولا يستدل عليها!

وأما العلامة الأميني رحمه الله في الغدير ٥/ ١٥٦ فقد تتبع عددا غير قليل من المصادر التي ذكرته من كتب مدرسة الخلفاء، فقال: رواه ابن الجوزي في (الوفاء) وابن سيد الناس في السيرة النبوية ٢ ص ٣٤٠. والقسطلاني في (المواهب) مختصرا. والقاري في شرح (الشامل) ٢ ص ٢١٠. والشبراوي في (الإتحاف) ص ٩. والسمهودي في وفاء الوفاء ٢ ص ٤٤٤. والخالدي في صلح الأخوان ص ٥٧. والحمزاوي في (مشارك الأنوار) ٦٣. والسيد

وإلى هذا المعنى يشير ما ورد في رواية الكافي عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: «لما قبض رسول الله ﷺ بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلمهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله ﷺ وتر الأقربين والأبعدين في الله..»^(١).

وزادها ألماً وحزناً ما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام، من تنحيته من موقعه في القيادة الإسلامية وهو ما أشارت إليه في خطبتها (سيأتي شرحها والإشارة له)، ولا سيما الطريقة التي تعامل معها جهاز الخلافة الجديد مع أمير المؤمنين عليه السلام ومع زوجته فاطمة.

وفي هذا الثاني تختلف مصادر المدرستين اختلافا واضحا؛ إن في أصل الأحداث أو في تفاصيلها..

ففي مصادر مدرسة الخلفاء جاء وصف الحدث ضمن النقاط التالية:

أ/ أن فاطمة والعباس جاءا يطالبان أبا بكر بميراثها من رسول الله ﷺ، وأنه أخبرهما بأنه سمع الرسول يقول بأنه لا يورث، وأن ما تركه فهو صدقة!

ب/ أن فاطمة على أثر ذلك تأثرت وهجرت! فلم تكلمه

أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية ٣ ص ٣٩١. وعمر رضا كحالة في (أعلام النساء) ٣ ص ١٢٠٥. وذكر البيتين لها سلام الله عليها ابن حجر في الفتاوى الفقهية ٢ ص ١٨. والخطيب الشربيني في تفسيره ١ ص ٣٤٩. والقسطلاني في (إرشاد الساري) ٢ ص ٣٩٠.

(١) الكليني: الكافي ١/ ٤٩٣

حتى ماتت وعندما ماتت جهزها زوجها عليٌّ ولم يخبر أبا بكر حتى دفنها! وربما زادت بعض المصادر أن أبا بكر استرضى فاطمة قبل موتها فرضيت عنه، وانتهت المشكلة.

ج/ أن فاطمة لما ماتت انفضّ الناس عن علي بن أبي طالب ولم يكن له بينهم وجاهة فاضطر إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة!

فمثلاً يتحدث الطبري عن الحدث باختصار شديد ويضمنه النقاط المتقدمة في تاريخه والطريف أنه ينقل الخبر عن عائشة أم المؤمنين فيقول: «إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حيثنذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير. فقال لهما أبو بكر: أما إني سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته! قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وكان لعليّ وجه من الناس حياة فاطمة فلما توفيت انصرف وجوه الناس عن عليّ فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ثم توفيت قال معمر قال رجل للزهري أفلم يبايعه علي ستة أشهر قال لا ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي فلما رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر»^(١).

ومثل هذا النص جاء في البداية والنهاية لابن كثير، فإنه مع عدم المناسبة لذلك، أشار إلى ما اعتبره أحاديث موضوعية في

(١) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٨

تزويجها (ولعله يقصد رد النبي الاصحاب ومنعهم وتزويجه علياً إياها وقد مرت آفا) وقال إنه لا يريد ذكرها رغبة عنها! لكنه لم يرغب ولم يعرض عن حديث مكذوب في أن علياً أراد أن يتزوج بنت أبي جهل، ولا أعلم ما الذي يدعوه للرغبة فيها وعنده سيدة نساء العالمين! وهو الذي يقول فيها ما أغضبني ولا أغضبتهما كما تقدم في فقرة الحديث عن زواجهما، وأراد ابن كثير أن يقول إن إغضاب فاطمة وإيذاءها لا يرتبط بما وقع بعد وفاة النبي وإنما هو بسبب علي بن أبي طالب الذي أراد أن يتزوج عليها! ونقل الحديث الذي زعمه عن رسول الله وأن فاطمة تفتن عن دينها! وأن النبي خيره بين أن يطلقها وبين أن يتزوج ابنة أبي جهل! ولم يلتفت في غمرة موقفه السيء من علي بن أبي طالب أنه بحديثه ذاك يذم فاطمة التي صورها بأهون صورة، فلم تعادل أي امرأة عادية تزوج عليها زوجها وتقبلت الأمر بصورة طبيعية! لكن (دين فاطمة) في رأي ابن كثير والمسور بن مخرمة^(١) واضع الحديث هو من الضعف والهوان بحيث يتبخر هذا الدين لمجرد أن الزوج قد تزوج عليها! ولم يلتفت إلى أنه يذم رسول الله بذلك حيث أنه لم يلتزم بشريعته التي يباح فيها التعدد والزواج ولم يلتزم بسيرته الشخصية حيث

(١) ذكر العلامة السيد مهدي الخرساني كتابه عليّ إمام البررة: أن أسانيد هذا الحديث تنتهي إلى ثلاثة كلهم من المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهم: أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن الزبير، والمسور بن مخرمة. وهذا الأخير يكفي في «فضائله!!» ما قاله قال عروة بن الزبير أنه «لم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه» كما في تاريخ دمشق.

تزوج على زوجاته باستثناء خديجة عليها السلام.

ثم بعد ذلك ذكر هذا النص مركزا فيه على النقاط التي ذكرناها أعلاه فقال:

«وَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله سَأَلْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الْمِيرَاثَ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: (لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ). فَسَأَلْتُ أَنْ يَكُونَ زَوْجُهَا نَازِلًا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَةِ^(١)، فَأَبَى ذَلِكَ وَقَالَ: إِنِّي أَعُولُ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَعُولُ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكَتُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَفْعَلُهُ أَنْ أَضِلَّ، وَوَاللَّهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي. فَكَأَنَّمَا وَجَدْتُ فِي نَفْسِهَا مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ تَزَلْ مُغْضَبَةً مَدَّةَ حَيَاتِهَا، فَلَمَّا مَرَضَتْ جَاءَهَا الصَّدِيقُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَجَعَلَ يَتَرَضَّاهَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا تَرَكَتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ، إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ. فَرَضِيَتْ...».

وَقَدْ ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحِ) أَنَّ عَلِيًّا كَانَ لَهُ وَجْهٌ مِنَ النَّاسِ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا مَاتَ التَّمَسَّ مُبَايَعَةَ الصَّدِيقِ فَبَايَعَهُ^(٢).

وفي المقابل فإن مصادر الإمامية تذكر أحداثا كثيرة، وفي كل

(١) وكان القضية نزاع على مال أو على ولاية الأرض وعاندها!

(٢) ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية ٩ / ٤٨٧ - ٤٩٠ وللقرائ أن يتساءل ما هو الارتباط بين تأخر بيعة علي كما قال وبين موت فاطمة ما دام الخليفة قد ترضاها فرضيت؟

حدث منها تفاصيل كثيرة، نشير إلى بعضها بالنحو التالي:

أولاً: تفصل هذه المصادر بين قضية ميراث الزهراء في فدك وبين منصب الخلافة والإمامة لعلي بن أبي طالب والذي نصبه فيه رسول الله بأحاديث كثيرة كان آخرها وأشهرها حديث الغدير وترى أن اختصار القضية في موضوع فدك أو الولاية عليها كما في بعض نصوص مدرسة الخلفاء هو تزوير للقضية.

نعم موضوع فدك كان تطبيقاً عملياً واضحاً للتعدي على حق عتره النبي وعنواناً بارزاً لذلك، وإلا فإن الزهراء التي لم تذكر فدكا بالاسم في خطبتها (كما سيأتي) بل ذكرت «وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه...».

ثانياً: تصر هذه المصادر على أن علياً عليه السلام وهو الأولي بموقع الخلافة والإمامة سواء لكفاءاته الشخصية من العلم والشجاعة وسائر ميزاته أو - وهو الأهم - لجهة تنصيبه من قبل النبي رفض البيعة ولم يقبلها وصرح في احتجاجات متعددة على أنهم: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، ونسب له الشعر المعروف:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

فلم يبايع - مثلما أنه لم يسارع لأخذ بيعة الناس وترك جثمان

النبي لم يجهز - فمضت الأمور في سقيفة بني ساعدة بالنحو المعروف! وسكت عنهم بينما لم يسكتوا عنه بل كان هناك تصميم عند جهاز الخلافة على إلزام كل شخصية مهمة بالبيعة لهم، وإن حدث ما حدث!^(١).

ثالثاً: على أثر ذلك فقد حشدت سلطة الخلافة - وهو المنطق الطبيعي للدول - أنصارها ولا سيما وقد تصوروا بأن عليّ بن أبي طالب سيتحصن في بيته ويجمع الجموع لمعارضتهم، فهددوه أولاً بأن يخرج وإلا سيحرقون الدار بمن فيها وإن كان فيها فاطمة!

وعندما لم تتم الاستجابة للتهديد بخروج عليّ للبيعة، فقد تم اقتحام الدار بالقوة، وتقول روايات الإمامية هنا أنه ولأجل ألا يهتك ستر فاطمة الزهراء عليها السلام التي فوجئت بالهجوم فقد عملت كما هو شأن كل امرأة عفيفة ستيرة إلى أن تختبئ وراء الباب لكيلا تنكشف على الرجال المهاجمين، فتم عصرها بين الحائط والباب وأجهضت على أثر ذلك جنينها المحسن.

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٩.. قال سعد بن عباد للقرشين الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة: لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسبي! فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع! فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد! فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم!

وبالإضافة إلى المصادر في الدائرة الإمامية فإنهم يحشدون عددا من المصادر التابعة لمدرسة الخلفاء والتي نقل كل منهما جانبا مفصلا أو مختصرا عن الحدث وبجمعها تكتمل الصورة^(١).

رابعاً: كان الغرض الأساس هو إلزام عليٍّ عليه السلام بالخلافة ولذلك فقد أخذ من قبل ما نسميه اليوم بالشرطة العسكرية إلى مركز الحكومة ليبيع، مع تهديد أنه إن لم يبيع فسيقتل! وحيث أن مصادر الإمامية تتحدث عن توصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لعليٍّ عليه السلام بعدم المواجهة والقتال لكيلا تحدث الحرب الأهلية بين المسلمين بعد النبي، فقد تحمل الإمام كل تلك الآلام وعض على كل الجروح وباع «وفي العين قذى وفي الحلق شجى» حيث يرى تراثه نهبا^(٢).

خامساً: تتحدث مصادر الإمامية عن أن فاطمة عليها السلام وبعنوان الاحتجاج العلني ذهبت إلى المسجد وخطبت خطبتها المشهورة - ستأتي في الصفحات القادمة - مسمعة الرجال وهي الخفرة المحجوبة! واتهمت الاتجاه القرشي بتخطيطه القديم لإقصاء أهل

(١) فراجع كتاب: الموسوعة الكبرى للشيخ اسماعيل الأنصاري الزنجاني وكتاب مأساة الزهراء للمرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي، وكتاب فاطمة من المهد إلى اللحد للمرحوم السيد محمد كاظم القزويني، وكتاب الحجة الغراء على شهادة الزهراء صلوات الله عليها للشيخ جعفر السبحاني، وكتاب مظلومية الزهراء صلوات الله عليها للسيد علي الميلاني، وكتاب الهجوم على بيت فاطمة لعبد الزهراء مهدي، وغيرها من الكتب.

(٢) عبر عليه السلام عن ذلك فيما بعد في الخطبة المعروفة بالشقشقية. راجع نهج البلاغة.

البيت عليه السلام، مع أن عليا ومن معه كانوا الأكثر إخلاصا وجهادا وتفانيا في سبيل الدعوة الإسلامية، كما اتهمتهم بمخالفة القرآن في قضية ميراثها من أبيها، مهددة إياهم بأن عملهم هذا سيفتح أبواب البلاء على الأمة «ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا وذعافا ممضا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا بعد ذلك عن أنفسكم نفسا، ثم اطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لهم وقد عميت عليهم الأنباء ﴿أَنْذَرْتُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾»^(١).

كما أنها خطبت في نساء الأنصار بحرارة تشبه خطبتها في وسط الرجال ويظهر أن هذا لم يكن بعيدا عن توجيه أمير المؤمنين عليّ زوجها، فإنه عندما عيره معاوية بذلك رد عليه بأنك أردت أن تدم فمدحت!^(٢).

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٤٠٦

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤٧/٢..ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي ع: وأعهذك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار، ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم يبيع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله.. إلى آخر كلامه.

وفي رده عليه في كتاب قال الإمام عليه السلام كما في الاحتجاج ١/ ٢٧٢: وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه، ولا مرتابا في يقينه..

سادسًا: ترى هذه المصادر اعتمادا على روايات عن أهل البيت عليهم السلام أن وفاة الزهراء عليها السلام لم تكن طبيعية لا سيما ولها من العمر ثمانية عشر عاما (كما مر بيانه في فصل ولادتها) وإنما كانت على أثر مضاعفات الإجهاض الحاصل لها، واسقاط جنينها، بل يذكرون أنه قد رضت أضلاعها من عصرها، وهو أمر لا يحتاج إلى كثير من الجهد لإثباته إذا ثبت أمر إسقاطها الجنين على أثر عصرها بالباب!

وأنها لهذا ولغيره ماتت وهي غير راضية على أبي بكر وعمر، وهذا التعبير وإن تم التغيير فيه والتبديل فتارة يقال هي واجدة وأخرى في نفسها شيء وثالثة أنه تم استرضاؤها فرضيت إلا أن الحقيقة هي أنها ماتت وهي غاضبة وأنها لذلك أوصت عليًا ألا يؤذن أحدا من جهاز الخلافة بموتها، وأوصت أسماء بنت عميس ألا تشارك النساء المنسجمات مع الخلافة في غسلها أو تجهيزها، بل ولا يعلم أولئك بموعد تشييعها ودفنها ولا الصلاة عليها، بل وأن يبقى قبرها مجهولا!، وهذا ما حصل بالفعل.

الزهراء للإمام علي: اشتملت شملة الجنين

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: لما انصرفت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر، أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: يا بن أبي طالب، اشتملت مشيمة الجنين^(١)، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل،

(١) في شرح الكلمات اشتملت شملة الجنين (أو مشيمة الجنين) كلاهما يدل على معنى الاختفاء في شيء كالجنين عندما يشتمل عليه الشيء من ثوب أو غطاء، أو المشيمة عندما تخفي الجنين في البطن، وقعدت حجرة الظنين يعني كأنك متهم مختبئ في حجرة نائية عن النظر، وبعدها كنت تقتل الأبطال وتنزع عن الصقور المحلقة قوادمها وريش قوتها وطيرانها، فإذا بالطير الأعزل غير القادر على الطيران يفوتك ولا تقدر عليه؟ وقد ابتزني وأخذ مني الخليفة نحلة والذي وما يتبلغ به ابنائي، وكان ذلك بخصام شديد وعناد كبير ومنعتني قيله نصرها والمهاجرة وصلها، أي لم ينصروني الأنصار وهم الذين جدتهم (قبيلة) فنسبوا إليها، وتقاعس عن الوصول إلى حقي المهاجرون، وكنت قد خرجت كاظمة غيظي ورجعت مرغمة من دون نتيجة! هذا وقد مات النبي المعتمد عليه، وعلى أثر ذلك فقد وهن عضدي وساعدي، وإلى الله أشتكى وإلى أبي أتظلم..

هذا ابن أبي فلان قد ابتزني نُحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد أجد في ظلامي، وألد في خصامي، حتى منعني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت والله كاظمة، وعدت راغمة، فليتنى ولا خيار لي مِتُّ قبل ذلتي، وتوفيت قبل منيتي، عذيري فيك الله حاميا، ومنك عاديا، ويلاه في كل شارق، ويلاه مات المعتمد ووهن العضد، شكواي إلى ربي، وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد قوة^(١).

أثارت هذه القطعة من كلام الزهراء - ولا تزال تثير - أسئلة تصل إلى حد إنكار صدورها من فاطمة عليها السلام لأمر المؤمنين صلوات الله عليهما، بزعم أن فيها من التعنيف للإمام والتهجم ما لا يتفق مع طريقة خطابها عليها السلام له، ويخالف الحدود المفترضة في هذا المجال! فإذا لا مجال لتصديق صدورها عنها عليها السلام.

والجواب عن ذلك بأن الأمر قد تم التوجه إليه مبكرا، فإن العلامة المجلسي رحمه الله في البحار، أشار إلى هذا الإشكال وحاول الإجابة عليه مثلما صنع غيره، ويمكن لنا أن نشير إلى هذه الجهات في تبين الرأي الأقرب للصواب كما نعتقد:

الأولى: انه بغض النظر عن الجانب الروائي والذي سيأتي الحديث عنه، فإنه بالنظر إلى النقد المتني الذي يراه بعض العلماء أقرب إلى انتساب الكلام لصاحبه من النقد السندي، فإننا سنلاحظ

(١) الطوسي؛ شيخ الطائفة: الأمالي ص ٧١٣

أن هذه القطعة من الكلام لا تختلف في متانتها وقوة معناها وبلاغة كلماتها عن الخطبة التي سبقتها، بل تراها إذا وضعتها معها نسيجا واحدا لا يختلف في شيء! فإن حرارة الخطاب واحدة، وقوة الكلمات واحدة.

وبيان ذلك إن قسما من علمائنا يقولون إن بعض النصوص الواصلة إلينا، سندُها هو مُتْنُها، ومتنها هو سندُها، وذلك مثل دعاء الصباح أو دعاء كميل أو أدعية الصحيفة السجادية، فإن غير المعصوم لا يتيسر له أن ينشئ نصًّا من هذا القبيل في معانيه ولا في ألفاظه!

وبنفس هذه الطريقة أجاب الكثير من العلماء على تشكيك البعض في نسبة خطب نهج البلاغة أو كتبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال في الرد عليهم: «إن من أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك، والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أو لاثنتين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام نفسه وطريقته ومذهبه في القريض... إلى أن يقول وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا، ونفسا واحدا، وأسلوبا واحدا، كالجسم البسيط الذي

ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المآخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور...»^(١).

وما ذكره هنا ينطبق تماما على هذه المقطوعة من كلام الزهراء عليها السلام.

الثانية: إنه قد روى هذه القطعة من الكلام شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله في كتابه الأمالي، بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كما نقله أيضا ابن شهر آشوب في المناقب^(٢)، في سياق نهاية الخطبة الشيخ الطبرسي في كتابه الاحتجاج^(٣) كما نقلها أيضا يوسف بن حاتم الشامي في كتابه الدر النظيم^(٤) ويظهر منه الإشارة إلى أن ذلك جزء من الخطبة التي رواها ابن عباس عن زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام.

كما أنه تنقل عن «هامش نسخة كشف الغمّة في البحار: ٢٩: ٣١١ حيث قال: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمّة منقولة من خطّ المصنّف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها صلوات الله عليها ما هذا لفظه: وجد بخط السيّد المرتضى علّم الهدى الموسوي

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٩ / ١

(٢) ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨): المناقب ٢ / ٢٠٨

(٣) الطبرسي؛ أحمد بن علي (ت حدود ٦٢٠ هـ): الاحتجاج ١ / ١٥٥

(٤) الشامي؛ يوسف بن حاتم (ت ٦٦٤): الدر النظيم ٤٦٥

قدّس الله روحه، أنّه لما خرجت...، ثمّ شرح غريبها^(١).

الثالثة: إن تشكيك البعض فيها إنما هو عائد إلى أنهم فهموا أنها تهجم على الإمام عليّ عليه السلام، وتعنيف لفظي له، وإساءة أدب في محضره، ولا يمكن أن يكون هذا صادرا من الصديقة الطاهرة، فإذا كان كذلك فلا بد أن نرد هذه الكلمات ولا نقبلها حتى لو كانت مسندة بأعلى الأسانيد وأصحها!

والجواب على ذلك؛ أنه يصح فيما إذا كان التفسير الوحيد لهذه الكلمات ينتهي إلى ما ذكر، وأما لو احتملت فهما آخر لهذه الكلمات، فقد لا يكون ردها هو الأمر السليم، لا سيما إذا كانت تلك التفسير على خلاف ما ذكر قبل قليل. فلننظر بم فُسرَت تلك الكلمات.

التفسير الأول: ما ذكره العلامة المجلسي وهو: أنه «يمكن أن يجاب عنه بأن هذه الكلمات صدرت منها عليّا لبعض المصالح، ولم تكن واقعا منكرا لما فعله بل كانت راضية، وإنما كان غرضها أن يتبين للناس قبح أفعالهم وشناعة أفعالهم، وأن سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به.

ومثل هذا كثيرا ما يقع في العاديات والمحاورات، كما أن ملكا يعاتب بعض خواصه في أمر بعض الرعايا، مع علمه ببراءته من جنائتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنه مما استوجب به أخصّ الناس بالملك منه المعاتبة.

(١) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح (ت ٦٩٣): كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢ / ٢٤٠

ونظير ذلك ما فعله موسى لما رجع إلى قومه غضبان أسفا، من إلقاءه الألواح وأخذه برأس أخيه يجره إليه، ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرّف القوم عظم جنايتهم وشدة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه^(١).

أقول: هذا شبيهه بطريقة «إياك أعني واسمعي يا جارة». فقد وجدنا خطاب ربنا في القرآن الكريم للنبي العظيم ﷺ بمثل ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) ومثل ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾^(٣) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۖ﴾^(٤) وقد أشارت الرواية المعتبرة عن الامام الصادق التي نقلها الكليني في الكافي إلى أن هذه الطريقة شائعة في القرآن: «فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة».

وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: معناه ما عاتب الله عز وجل به على نبيه ﷺ. فهو يعني به ما قد مضى في القرآن مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ عني بذلك غيره^(٥).

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٣٧٢ / ٢٩

(٢) الزمر: ٦٥

(٣) الاسراء: ٧٤ - ٧٥

(٤) الكليني: الكافي ٢ / ٦٣١

وما نحن فيه من كلام العلامة المجلسي هو من هذا القبيل .

التفسير الثاني: ما ذكره المرجع الديني الروحاني في جواب له على سؤال عن هذه الفقرة وأنها هل يصح صدورها من الصديقة الزهراء عليها السلام فقد قال: «بالتأمل في تلك الجملة يظهر أنّها مدح عظيم من سيّدة النساء العارفة بمقام الإمام عليه السلام لبطولته وثباته وشرفه فإنّها قد رجعت بعد أداء الوظيفة، وهي تحمل كلّ الإجلال والإكبار لأمر المؤمنين عليهم السلام مخاطبة إيّاه لتخفّف عنه من أثقال الإمامة، فقالت: (اشْتَمَلَتْ شِمْلَةَ الْجَنِينِ) أي تحمّلت الأذى لمرضاة الله تعالى، ف (اشْتَمَلَتْ شِمْلَةَ الْجَنِينِ) لتكون عين الفناء في ذات الله، وتعبيرها ب (اشْتَمَلَتْ) للإشارة إلى أنّه اشتمل بهذا الثوب وهو ثوب الوقاية عن الدنيا وزخارفها، بما في ذلك حبّ الزعامة والسلطة بإرادة واختيار منه، لا لقصور وتقصير، نظراً لقدرته على المجابهة والمواجهة، ولكنّه عليه السلام في مقابل ذلك اشتمل شملة الجنين، ولم يحرك ساكناً؛ لأنّ وظيفته كانت هي السكوت والصبر، وكأتمّها عليها السلام تقول له: لقد أدّيت وظيفتك أحسن الأداء، فأنت كما كنت مقدماً حينما كانت وظيفتك هي الجهاد والمواجهة، كذلك كنت الصابر المحتسب حينما كانت وظيفتك هي الصبر على الأذى في جنب الله تعالى..»^(١).

(١) الروحاني؛ السيد محمد صادق: السيدة الزهراء (س) بين الفضائل

وربما نناقش هذا الجواب؛ بأنها لم تكن في مقام الإقرار بل ظاهر الالفاظ ولا سيما بعد شرح ذلك بقولها «هذا ابن أبي فلان يبتزني نحلة أبي..» وقولها فيما بعد «ويلاي في كل شارق ويلاي في كل غارب! مات العمد ووهن العضد شكواي إلى ربي..» أنها كانت في مقام الاستنكار والتشكي والتألم! فلا نفهم معنى قوله حفظه الله: وكأئها عليّ السلام تقول له: لقد أدّيت وظيفتك أحسن الأداء، فأنت كما كنت مقداماً حينما كانت وظيفتك هي الجهاد والمواجهة، كذلك كنت الصابر المحتسب حينما كانت وظيفتك هي الصبر على الأذى في جنب الله تعالى!

التفسير الثالث: ما قاله بعضهم من أن هذا الكلام كان على سبيل التقية، وكان حماية للإمام عليّ عليه السلام فإنها لأجل أن تنفي عن الإمام تهمة أنه هو الذي حركها لتخرج وتخطب بين الناس وتفضح أنظمة الخلافة وقراراتها، كان عليها أن تتخاطب الامام بهذه الكلمات، ولم تكن لتخفي عليهم لا سيما مع كون الخطاب في بيت الزهراء المطل على المسجد النبوي! فكأنها تقول له لكي يسمع أولئك -فتزول عنه التهمة - ما رددت عائلا ولا أغنيت طائلا! ولم تقم بحقي وقد كان باستطاعتك ذلك لكنك افترشت التراب! فهو إذن كلام محمول على التقية! والغرض منه حماية الإمام عليه السلام، ورفع التهمة عنه في أنه يجرّض على نقض النظام العام أو إثارة الفوضى في وجه الدولة.

والتعليق على هذا التفسير؛ أنه حتى لو قبلناه.. هل هناك

حاجة إلى هذا المقدار من الحرارة في الكلام؟ والمبالغة في التوجع والتفجع إلى حد: ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! شكواي إلى ربي! عدواي إلى أبي! فهل تتطلب التقية هذا المقدار من الكلمات وهذا الحجم من الحزن والتظلم؟

التفسير الرابع: ونعتقد أنه أولى الأجوبة بالقبول، ولا ينفي بالضرورة ما سبق، وهو أن الزهراء عليها السلام ومن خلال هذا الكلام الساخن والعنيف تريد أن تعلن وثيقة للتاريخ وصوتا صارخا يقتحم الزمان والمكان بأنها صاحبة حق قد اغتصب علانية أمام الملأ وجمهور الناس سواء أبناء قيلة الأنصار أو المهاجرة! وقد صرحت لهم بذلك وخرجت إليهم - وهي التي لا تخرج - بخطبة عاصفة وطويلة وأقامت الحجة عليهم، فلم يتحرك أحد من الناس الذين كان يتوقع منهم أن يخلفوا النبي في ابنته بحسن الخلف! لكنهم ضيعوه وضيعوها فلم ينصروها في أول تظلم وخذلوها في أول قضية!

فهي بهذا تريد أن تعلن للتاريخ غضبتها! لكي تقطع على مزوريه والكذبة فيه - كما قالوا فيما بعد - أنها كانت قد اشتبهت في مطالباتها فلما عرفها الخليفة أمام الناس اشتباهها عرفت الحقيقة! أو أنها رضيت بعد ذلك!

ستقول كلا.. ياليتني مت قبل ساعتني هذه! لا تزال الحرقه في قلبي والغصة في حلقي! وإني لم أرض ولن أرضى على هضمي

وظلمي وأخذ نحلة أبي وبلغه ابني! بل وتنحية إمام الأمة فما الذي
نقومه منه؟

ستواصل الاحتجاج بكل الوسائل! فإذا سألتها نساء الأنصار
عن علتها ستقول لهن: أصبحت قالية (مبغضة) لرجالكن.. أولئك
أصحاب المواقف الخاذلة! وإذا أراد زعماء الخلافة استرضاءها
سترفض ذلك وتخبر الجميع أنها ما رضيت وستموت وهي
غاضبة! وكان هذا الكلام للإمام عليٍّ عليه السلام في ضمن هذا السياق،
فهو شهادة ووثيقة! وإعلان صريح ونهائي لموقفها من الخلافة
وخطواتها!

عدم دفع الإمام الهجوم ... ألا يعد جبناً؟

من الأمور التي ركز عليها الطائفيون في الجدل المذهبي لنفي موضوع الهجوم على بيت الزهراء، الضرب على وتر أن ذلك يقتضي كون الامام عليٍّ عليه السلام جباناً وليس بصاحب غيرة على أهله، فإن الرجل الغيور - يقولون - لا يجلس ينظر إلى رجل يقتحم عليه داره ويعصر زوجته ويلطم وجهها وهو جالس يتفرج عليه فلا يحرك ساكناً!

وإذا نقل الإمامية رواية أو روايات الهجوم وعصرها وإسقاطها، فإما أن يقولوا إن الإمام عليّاً عديم الغيرة أو ليس بشجاع أو لا بد أن يكذبوا هذه الروايات ولا يقبلوها!

ونقول قبل الجواب عليه، نحن نعتقد أن هؤلاء الطائفيين لا يهمهم كثيراً أن يوصف الامام عليٌّ عليه السلام بغير الشجاعة بل بعدم الغيرة، فهم لا يعتقدون فيه إلا ما يعتقد في أقل الصحابة، فإنهم ينقلون (ويؤمنون أيضاً) بما ذكر عن بعض مبغضي الإمام أنه لا

يفضل غيره من الناس بشيء^(١) بل ربما زاد بعضهم في طنبور التنكر للإمام نغمات^(٢) ومن قال بأن الإمام كان مخذولا - خذل الله قائلها - أينما توجه! أو أنه أخطأ في سبعة عشر موردا وأنه خالف القرآن! يقول هذا مع قول النبي علي مع القرآن والقرآن مع علي، ويدل على عدم افتراقهما حديث الثقلين.

وعلى كل حال فإن هؤلاء لا ننظر إليهم ولا إلى الحديث معهم، إذ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(٣). وإنما نتحدث مع من تصل إليهم هذه الشبهات، وقد تفسد عليهم اطمئنان قلوبهم وهدوء أنفسهم، وتثير فيهم غبار الشك. فنقول:

١/ إننا لا نستغرب من تركيزهم على هذه النقطة (موضوع الهجوم)، وذلك لأنها ستنتقل القضية من كونها حادثة تاريخية إلى قضية عقدية، فإن ثبت موضوع الهجوم بأي درجة من درجاته فإنه

(١) العسقلاني؛ ابن حجر فتح الباري ٧/ ١٤؛ في رواية عبيد الله بن عمر «كنا لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم..»

(٢) الميلاني؛ السيد علي؛ محاضرات في الاعتقادات ٢/ ٣٥٢ في مناقشته لابن تيمية نقل عنه أن عليا عليه السلام: «أخطأ في سبعة عشر شيئا - ولقوله: إنه - أي علي - كان مخذولا حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة، ولقوله: إنه كان يجب الرئاسة، ولقوله: أسلم أبو بكر شيخا يدري ما يقول، وعلي أسلم صبيا، والصبي لا يصح إسلامه، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وأن عليا مات وما نسيها».

(٣) النمل: ٨٠

سيكون حجة قوية ضد خط الخلافة ومدرسة الخلفاء، إذ دشت عهدها بالهجوم على بيت هو كبيت الرسول، ومدح في القرآن بما مدح، وكان فيه سادة الجنة؛ سبطا النبي وهما سيدا شباب أهل الجنة وفيه فاطمة وهي سيدة نساء الجنة، وهذا عند المسلمين جميعاً وفيه علي (وهو سيد المسلمين بعد رسول الله عند الإمامية) فكيف يكون هذا البيت عرضة للهجوم والكبس «والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر!». »

لذلك جهدوا وجاهدوا من أجل إنكار الحادثة من رأسها، وحاربوا من أجل إلغائها من التاريخ والكتب! لكنهم كانوا كمن يغطي الشمس بغربال أو يحجبها بخيمة!

فالتريق الأسلم أن تنفى من داخلها، بجعلها شنيعة غير ممكنة، وهنا ركزوا على موضوع شجاعة عليّ مع أنهم لا يرونه أشجع الأصحاب ويقدمون عليه من يقدمون! وركزوا على غير الإمام عليه السلام! وسيأتي الجواب عليها في النقاط التالية.

٢/ يقدم الإمامية جوابين: نقضياً ويهدف إلى إلزام الخصم، وحلياً وهو يحل العقدة التي طرحها السؤال.

أما الجواب النقضي: فإننا نسأل هؤلاء هل أن الله قادر وغيور أو ليس كذلك؟ فإذا كان الله على كل شيء قدير، وهو خالق الغيرة في البشر فإذا كان كذلك فلماذا لم ينتصر لأنبيائه ورسله وأوصيائهم والمؤمنين المخلصين به؟ لقد نشر بعض الأنبياء بالمناشير وألقي

بعضهم وبعض الأوصياء في حمم النيران، وعذب المؤمنون بالله العذاب الأشد، من قبل الطغاة.. وكل ذلك بعين الله لحظة بلحظة.. فلماذا لم تتحرك قوة الله وقدرته لتدمر على الظالمين وتغل أيديهم عن فعل ذلك العذاب؟

ثم نزل إلى العباد.. أليس رسول الله ﷺ هو القائل: «كان أبي إبراهيم غيورًا وأنا أغيرُ منه وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين»^(١). فلماذا ترك النبي آل ياسر وهم يعانون أَمْرَ العذاب حتى لقد طعن أبو جهل سمية (أم عمار) بالحربة في قلبها (وقيل تحت بطنها) ولم يجرد السيف في وجه جلادها ومعذبيها؟ واكتفى بالقول: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة؟

إننا نعتقد أن رسول الله أقوى وأشجع من علي بن أبي طالب ومن سائر الناس، وكان بإمكانه من الناحية الذاتية في ذلك الوقت أن يلحق هؤلاء درسا لا ينسونه.. فلماذا لم يفعل؟

بل لماذا لم يفعل ذلك معهم وهو القوي الشديد والشجاع المنصلت عندما كانوا يرمون عليه سلا البعير ويؤذونه؟ بل لقد رجحوا منزله بالحجارة؟ ألم يكن غيورًا على أصحابه والمؤمنين به؟ أليس غيورًا على حرمة بيته؟ ألم يكن شجاعًا يرد الأذى عن نفسه؟

كل هذه الأسئلة التي توجه إلى الخالق تارة، وإلى النبي أخرى هي نفسها توجه للإمام أمير المؤمنين، والجواب عليها في الجميع

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة (الإسلامية) ١٤/ ١٠٩

واحد، وهو أنه ليس الأمر أمر وجود القوة أو الغيرة وإنما كل الأمر في استخدام تلك القوة والشجاعة وعاطفة الغيرة والاندفاع.. وأنه لا بد أن يكون منبعثاً من الأمر الشرعي وبحسب مقتضيات الحكمة ولخدمة الهدف الذي يعتني به هذا الشجاع الغيور، فإذا كان استعمال الشجاعة مخالفاً لأحكامه الشرعية، أو لا يتناسب مع خدمة أهدافه، فإنه يعتبر خرقاً وحمقاً!

٣/ وأما الجواب الحليّ: فإن الإمامية يعتقدون أن أمير المؤمنين عليه السلام، كان أشجع الكل وأغبر الكل، ولكن شجاعته وغيـرته لم تكن منفصلة ودون ضوابط وإنما هي محكومة بالحكم الشرعي وبالحكمة العملية.

وذلك أننا قد نجد أناساً لديهم قوة وشجاعة، ولكنهم يستعملونها ضمن الروح الجاهلية ذات منطق:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فإذا اعتدى عليهم شخص وقتل منهم واحداً، ردوا عليه بقتل عشرة من عشيرته، وإذا سبهم بكلمة شتموه بمئات من الكلمات، وإذا جر الأمر إلى القتال فلا مانع لديهم.. وهذه هي الروح الجاهلية التي كانت تحكم الناس سابقاً، وآثارها إلى اليوم مركوزة في نفوس البعض.

وهناك شجعان وفرسان لا يقوم لهم أحد في ميدان القوة

والمواجهة، ولكنهم مع ذلك لا يحركونها إلا ضمن إطار الجائز شرعا بل الواجب، ولا يرسلونها انتقاما لأنفسهم أو تحقيقا لغضبهم! ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام. فهو صاحب «لا فتى إلا عليٌّ لا سيف إلا ذو الفقار» و«برز الإيمان كله إلى الشرك كله». ولكنه في الموارد التي ليس مأمورا فيها بسل السيف بل هو مأمور شرعا بإغماده، لا يستطيع أن يتخذ قرارا بحظ النفس وإنما هو يقرر ضمن أمر الشرع، والحكمة.

إننا نعتقد أن بطولة عليٍّ عليه السلام كانت هي البطولة المنضبطة ضمن إطار أهدافه، بل قوته هي في انضباط قوته، ولذلك لما رأى أن مصلحة الدين تقتضي ألا يقاوم تيار الخلافة، فعل ذلك وقعد.

بل لا مانع لديه أن يكون مظلوما كما أجاب معاوية بن أبي سفيان «.. وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه، ولا مرتابا في يقينه..»^(١).

لم يكن صلوات الله عليه عاجزا، وإنما كان حكمه الشرعي ألا يفجر الحرب الأهلية بين المسلمين، مع تربص الأعداء بدولة النبي وتحينهم الفرصة للقضاء على إنجازاته صلوات الله عليه وآله.

(١) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية ١٦٦/٧، والطبرسي في الاحتجاج: مصدر

تماماً مثلما كان النبي ﷺ مقيداً في الفترة المكية ألا يقاتل وألا يدفع المسلمين إلى القتال والمقاومة، وإنما إلى الصبر مهما ارتكب منهم، ثم إلى الهرب بدينهم والهجرة من وطنهم، بل هو صلوات الله عليه وآله، كان من أوائل المهاجرين بعد أن أمر المؤمنين به بذلك.

فلماذا لم يقاوم النبي ويقاوم الكفار في مكة، والله قادر على نصره؟ السبب أنه لم تأت أحكام القتال ولم يحصل تحقق في الظروف الخارجية إلى أن جاءت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (١).

٤ / إن بعض الباحثين يعتقد أن طرف الخلافة كان مستعداً للذهاب في أمر السيطرة إلى آخر المشوار فلا مانع عنده أن يقتل المعارضين إن لم يبايعوا (!!) مهما تكلف الأمر وكان القضية قضية موت أو حياة! ويظهر هذا من الطريقة التي تعاملوا بها مع سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار في المدينة والشخصية الأكبر فيهم حينئذ، فقد أمروا أنصارهم بأن «اقتلوه قتله الله ثم قام بعضهم على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تنذر عضوك!» وبعد فترة قصيرة «قتلته الجن» (٢)!!

(١) الحج: ٣٩

(٢) زعموا أن سعد بن عبادة قد قتلته الجن وأنشدوا على لسانها أبياتاً في هذا المعنى، ولأن الأمر أشبه بالنكته، فقد قال مؤمن الطاق (عبد الله بن جندب)

وقد تم تهديد الإمام أكثر من مرة بأنه سيقتل! فإذا كان على الإمام أن يذهب معهم في المشوار إلى آخره مهما حصل وعلى طريقة (عليّ وعلى أعدائي)، فإذا قاتل أو مقتول! وهو ما حذر منه سعد بن بشير جهاز الخلافة في شأن قتل سعد بن عبادَةَ علانية، كما مر في الصفحات السابقة، فإنه لولا إشعارهم بأن مقتله سيؤدي إلى مقتل من معه، لربما لم يتوقفوا عن قتله علانية.

٥/ إن هناك من الروايات ما يفيد بأن الإمام عليّ عليه السلام قد واجه القوم^(١) لكن لا إلى الحد الذي يصنع معركة عسكرية ويسال فيه الدماء، وأن عدم تصعيده ومواجهته التامة لهم كانت على أثر «كتاب سبق» وعهد وتوجيه حصل من الرسول ﷺ، تماماً مثلما كان هناك توجيه لرسول الله من ربه بأن لا يواجه قوم قريش في مكة إلى حد القتال.

وعلى كل تقدير فإن علياً عليه السلام كان يعمل ويتحرك من خلال

وكان ممن يناظر في الإمامة وشؤونها، لسائل سأله: ما منع علياً أن يخاصم أبا بكر في الخلافة؟ فقال: يا بن أخي، خاف أن تقتله الجن!! كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٧/ ٢٢٣.. وقد عقب عليه ابن أبي الحديد بقول: أما أنا فلا أعتقد أن الجن قتلت سعداً، ولا أن هذا شعر الجن، ولا أرتاب أن البشر قتلوه، وأن هذا الشعر شعر البشر.. إلى آخر كلامه.

(١) الهلالي؛ سليم بن قيس: كتاب سليم بن قيس ٢/ ٣٨ فَوُتِبَ عَلِيٌّ ع فَأَخَذَ بِتَلَابِيهِ ثُمَّ نَزَرَهُ فَصَرَعَهُ وَوَجَّأَ أَنْفَهُ وَرَقَبَتَهُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ فَذَكَرَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَمَا أَوْصَاهُ بِهِ فَقَالَ وَالَّذِي كَرَّمَ مُحَمَّدًا بِالنُّبُوَّةِ لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ وَعَهْدٌ عِدهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ لَا تَدْخُلُ بَيْتِي..

الحكمة التي تقتضي ألا يستسلم لنداء القوة المجردة وأن يقلبها على رأسها مهما حصل! حتى لو قتل وإنما أن يحسبها بشكل دقيق. ولا ريب أن الذي صنعه أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان مؤلماً للغاية، وهو ما عبرت عنه الصديقة الزهراء، إلا أنه كان في نفس الوقت له أبلغ الأثر في بقاء الدين والشرعية المحمدية.

مناقب الزهراء وتنكر الاتجاه الأموي

ينكر البعض مقامات الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمعصومين، ولكن بدرجات متفاوتة فقد يقبل منزلة للنبي ولكنه لا يقبلها في الوصي، وهكذا.

والنبي أو الوصي الذي يستكثر عليه هذه المرتبة أو تلك لا يتضرر بجهل الآخرين منزلته وإنما المتضرر هو جاهل تلك المنزلة والغائب عن إدراكها، فإنه بمقدار ما (يعرف) الشخص النبي أو الوصي فإنه بنفس المقدار سيزداد اعتقاده به وإيمانه، وربما اقتداؤه وتأسيه به. تماما مثلما أن الشخص كلما ازداد معرفة بالله تعالى، ازداد خوفه منه ورجاؤه إياه، وتعظيمه في نفسه وطاعته. فقد ورد في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبْدُوهُ»^(١) وفي حديث آخر يبين الجهة السلبية لعدم المعرفة، فقد قال قوم للإمام الصادق عليه السلام: ندعو فلا

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع ٤٧/١

يُستجاب لنا؟ قال: لا تُكلم تدعون من لا تعرفونه»^(١) وبالطبع ليس المقصود هنا من لا تعرفونه أصلاً، وإنما من لا تعرفونه كما ينبغي.

ولهذا السبب كانت درجات العباد تتفاوت بأمور؛ منها بدرجة معرفتهم لله تعالى ثم للنبي وبعده للوصي!

وإنكار المراتب العالية والمقامات السامية للذوات المقدسة تارة يتخذ شعار العقلنة، وأخرى التجديد في الثقافة، وتارة ثالثة الانعتاق من الموروث الديني.. وهكذا! وسيأتي ذكر بعض الأسباب الداعية إليه.

والأمر أوضح حين يتعلق بمراتب ومقامات الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام. فإننا رأينا التنكر من قبل أتباع النهج الأموي لهذه المقامات والفضائل بشكل واضح.. حتى أن رواياتها ترمى بالغلو تارة وبالكذب والوضع أخرى!

ويهمنا هنا أن نشير إلى بعض أسباب ذلك التنكر والرفض:

(١) فمن الأسباب اختلاف مصادر المرجعية الدينية في المدرسة:

وذلك أن كل فئة لها مدرسة خاصة ومصادر فكرية ومرجعية دينية، تعتمد عليها فتثبت ما تثبته وترفض ما لا تثبته، فمثلاً عندما نتحدث عن عظمة النبي صلوات الله عليه وآله وعصمته وأنه أول الخلائق منزلة وعظمة، وأن اصطفاؤه واختياره للنبوّة كان وآدم منجلد في

(١) الصدوق: التوحيد ٢٨٩

طينته.. فإن كل ذلك مما لا يتعقله المسيحي واليهودي، فإنهما حتى لو كانا - فرضاً - يعتقدان بأنه من رسل الله، إلا أنها لا يعتقدان فيه هذه المراتب والدرجات!

وبنفس الصورة يكون غير الشيعي الذي مصادره لا تحتوي على منازل ومقامات المعصومين الأربعة عشر، إلا بالنحو اليسير، بل هو يتعامل معهم باعتبارهم أناساً عاديين! وفي أحسن الفروض على أنهم علماء متقنون ورواة صادقون! ولكنهم في باقي القضايا كسائر الناس لا يمتازون عنهم بشيء!

وقد التفت لهذه الجهة شيعة أهل البيت عليهم السلام، فحاولوا إثبات المقامات والفضائل للمعصومين وخصوصاً السيدة الزهراء من كتب خصومهم، ومن مصادر مدرسة الخلفاء.

وقد ظن بعض من لا دراية له، أن هذا دليل على أن الشيعة لا يعتقدون بكتب مدرستهم الخاصة، ولا يثقون بها وإنما يثقون بمصادقية كتب مدرسة الخلفاء ولذلك يستدلون بها! وهذا توهمٌ وقلة معرفة فإن من أصول النقاش المذهبي والجدل وقواعد الالتزام هو أن تستدل على الخصم بما يقبله هو، لا بما لا يقبله! ومن المعلوم أن أتباع مدرسة الخلفاء لا يقبلون أحاديث الأئمة كحجة شرعية. فكان المناسب أن يُحتج عليهم بما هو ثابت عندهم.

(٢) ومن الأسباب محدودية البشر في مقاييسهم:

فإنه لما كانت هذه المناقب والدرجات تنتمي إلى عالم الغيب،

وكان الانسان في هذه الحياة محدودا بحدود الحواس الخمس وأقصى آفاقه لا تصل إلا إلى حاجاته عادة؛ حيث تم تزويده ليعيش في هذه الدنيا ضمن هذه الحواس وبمقدارها! فكانت آفاق الغيب وعوالمه بعيدة عن هذه المقاييس وأكبر منها.

بل إنه حتى في حدود دائرة الشهود والواقع الخارجي لم يعط من الإمكانيات إلا بمقدار ما يحتاج إليه، فبصره لا يستطيع أن يكتشف ما كان على بعد عشرات الكيلومترات، وأذنه لا تستطيع أن تسمع دبيب النمل أو خطاب الحشرات فيما بينها ولا يسمع صوت الأرض وهي تتحرك أو الأجرام وهي تدور! هذا في الواقع الخارجي المشاهد والمعاين! فكيف يستطيع أن يتعامل مع قضايا الغيب والتي لا يمكن تناولها بهذه الحواس أصلاً؟

نعم وضع الله سبحانه طريقاً للإيمان بذلك هو طريق السمع من الأنبياء والأوصياء الصادقين، وهو جزء من الإيمان به سبحانه وبهم. فإذا قال النبي محمد ﷺ: إن فاطمة سيدة نساء العالمين، أو أن نورها خلق قبل خلق السماوات والأرض أو أن مهرها هو خمس الأرض! فسواء كان هذا متوافقاً مع استيعاب البشر أو لم يكن، ينبغي تصديقه ما دام قد ورد بطرق معتبرة عن النبي محمد ﷺ، وعن أهل البيت فيما يعتقدونه الشيعة حيث لا يفرقون بين قولهم وقوله.

(٣) ومنها اختلاط الصحيح من المناقب بالسقيم:

فقد عمل الأعداء لتشويه صورة الدين ورموزه على وضع

أخبار غير صحيحة فيما يرتبط بالمناقب، وسربوها إلى المصادر الحديثية في الطائفتين، وهذا أدى إلى اختلاطها بالصحيح من الروايات، على نحو يعسر فيه الفرز بينهما من قبل عامة الناس؛ فأثر هذا على المناقب الصحيحة والروايات السليمة بحيث أصبح كل حديث يأتي فيه احتمال أن يكون موضوعاً أو كذباً.

وهكذا فعل الغلاة في تاريخ المسلمين، فقد كان تيار الغلو موجوداً بل لا يزال كذلك. وقد قام هذا التيار بدور سيء في وضع الروايات الباطلة أو تفسير الروايات الصحيحة بنحو غير صحيح. وقد أثر الفعل القبيح لهذين الفريقين في رد روايات المناقب والمراتب العالية لرموز الدين، وشخصياته العظيمة.

٤) ومن الأسباب القياس على الذات:

قسم من الناس يعرفون الآخرين بمقاساتهم هم، ويظنون أن ما عند الآخرين لا يزيد عليهم، وأن ما يخضع له هؤلاء يخضع له الآخرون، ولأنه لا يرى فاصلة كبيرة بينه وبين الذوات المقدسة، لذلك لا يستطيع أن يتعقل مراتب تلك الذوات! فكيف يستطيع أن يتصور أن فاطمة قد خلقت من طعام الجنة؟ وأنها حوراء إنسية؟ وأنها معصومة من كل زلل؟ وأنها يشرق نورها كما تشرق الكواكب الدرية لأهل الأرض؟

وهي في الواقع نفس عقلية ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهِذَا فِي آبَائِنَا

الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾. فإذا كان الشخص يعرف نفسه، ويعرف خضوعه لهواه، ومعصيته ربه، وتقصيره وقصوره.. فإنه غالبا لا يتوقع تصديقه بأن هذا المعصوم أو ذاك قد وهب الله من القدرة والولاية ما يحير العقول!

◀ الاتجاه الأموي المتكرر لفضائل المعصومين:

بالإضافة إلى ما سبق ذكره وهو - بشكل كامل أو جزئي - قد يحصل بشكل طبيعي، فإننا نشهد أن هناك اتجاهاً (في التاريخ الإسلامي بين المحدثين والرجاليين، أطلقنا عليه عنوان الاتجاه الأموي (مع أنه لا يتوقف في حدود أيام الدولة الأموية) كان يعتمد بشكل واضح في محو وإنكار فضائل ومناقب المعصومين الثلاثة عشر (باستثناء الرسول ﷺ) منطلقاً في ذلك من خلفيات عقائدية، واتجاهات مذهبية، فهم في البداية رفضوا أن ينقلوا هذه الأخبار والمناقب في كتبهم حتى تُنسب بتقادم الأيام، وما بقي على رغمهم تعاملوا معه بشكل خاص فإذا رأى فضيلة في أحدهم قد تمس الموضوع العقائدي أو تشير إلى الإمامة أو إلى اختصاص الله لأسرة النبي وعترته، أو إلى وصايته لهم، أو لتخطئة مخالفينهم، أو تعلي منازلهم فإنه يصيهم ما يشبه الجنون في السعي لنفيها وتكذيبها بشتى الوسائل والطرق.

وقد تعرضت مناقب الزهراء وفضائلها لهذا الأمر مجتمعة:

١/ فقد تم إخفاء أحاديثها عن النبي وأحاديثه في فضلها! فإنك لتعجب أن فاطمة التي عاشت مع النبي لصيقة به، إذ هي ابنته وبضعته ومهجة قلبه، بل روحه التي بين جنبيه، مدة هي عند أتباع مدرسة الخلفاء تصل إلى ثمانين وعشرين سنة (حيث قالوا إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات) ومع ذلك فكل الذي نقلته عن رسول الله من الأحاديث في صحاحهم هو حديث واحد لا غير! ونحن لو فرضنا أنها سمعت من أبيها من حين أصبحت بعمر السادسة إلى نهاية حياتها في كل يوم حديثاً واحداً لبلغت أحاديثها عنه قرابة ثمانية آلاف! كيف؟ وقد رأينا بعض روايتهم لم يصاحبوه غير سنة ونصف فإذا بهم يروون عنهم نحو خمسة آلاف حديث! والصديقة الزهراء الملازمة له مذ كان في مكة يروون عنها حديثاً واحداً^(١).

وأما الأحاديث التي جاءت عنه عليه السلام، فإما أنهم ضعفوها أو وهنوها أو صرفوها عن معانيها الحقيقية أو غيروا مناسباتها.

(١) وأعجب من الفعل نفسه تبريره وتعليله! فقد جاء في جواب أحدهم على سؤال سائلة بأن: الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم من كتب الأحاديث الصحيحة لا أعرف غير حديث واحد لفاطمة بنت الرسول عليه السلام؟ فأجاب: بأن السبب في قلة أحاديث فاطمة رضي الله عنها هو أنها لم تعيش طويلاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تتمكن من رواية ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم كغيرها من الصحابة المعمرين؟؟ ونقول للمجيب: هل كان ضرورياً أن يتوفى النبي حتى تروي عنه فاطمة؟ لماذا لم ترو أحاديثه وهو على قيد الحياة؟ لماذا لم تعلم النساء ما كان يعلمها أبوها؟

<https://www.islamweb.net> › fatwa

ومن أمثلة الحذف ما صنعوه في حديث النبي ﷺ «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد..»^(١) لكن هذا الحديث عندما صار في صحيح البخاري اختفت منه خديجة وفاطمة!!

وجاء ابن كثير في تفسيره ليجعل الكاملات ثلاث نساء مستكثرا على فاطمة أن تكون بينهن فقد نقل الحديث هكذا «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد!!».

٢/ وفي مقابل ذلك نظرنا أنهم نقلوا عن رسول الله ﷺ ما قد يستفيد منه السامع أو القارئ شيئا من الذم لفاطمة! وذلك مثل زعمهم أن رسول الله قال لها: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) الزيلعي، جمال الدين (ت ٧٦٢) تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٦٧ وقال: قلت رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ وَهَذَا السَّنَدُ وَالْمَتْنُ رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَرَوَى ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ ... فَذَكَرَهُنَّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَوَاهُ الْبَاقُونَ إِلَّا مُسْلِمًا فَالْتَرَمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْأَطْعِمَةِ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ وَالحديث رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كَيْسَ فِيهِ خَدِيجَةٌ وَلَا فَاطِمَةٌ رَوَاهُ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ ... مِنْ حَدِيثِ مَرَّةٍ لَهْمَدَانِي عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَإِنْ فَضَّلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَّلَ الثَّرِيدُ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ أَنْتَهَى..

الْأَقْرَبِينَ»^(١) «يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا فاطمةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»^(٢). وفي نص آخر: يَا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار!

ومثل هذا الحديث في ظلاله الملتبسة، والتي تشير إلى أنها وهي سيدة نساء العالمين وكأنها على وشك الوقوع في النار ولا بد أن تنقذ نفسها وأن عليها ألا تعتمد على أبيها وقرابتها منه.. إلى آخر هذه المعزوفة السيئة التي قالها بعضهم على أنها (استفادات) من الحديث!!

مثل هذا الحديث أحاديث أخرى؛ تشير إلى أن فاطمة عملت أعمالاً كادت تمنعها من الجنة؛ مثل ما نقل عن عبد الله بن عمرو بن العاص ناسباً إياه إلى النبي حيث قال: «بينما نحن نمشي مع النبي ﷺ إذ بصر بامرأة لا نظن أنه عرفها، فلما توجهنا إلى الطريق

(١) الشعراء: ٢١٤

(٢) الطبري، أبو جعفر (ت ٣١٠) تفسير الطبري ١٧/ ٦٥٤ ولنا أن نسأل الطبري الناقل: كيف يقول النبي لفاطمة لا أملك لك من الله شيئاً، والحال أن ولادتها كانت بعد بداية البعثة بنحو خمس سنوات على رأي الإمامية وقد تقدم ذكره. وحديث الإنذار والآية المباركة كانت في بداية البعثة، فكيف يخاطبها بأن تنقذ نفسها من النار وهي لم تولد بعد؟ بل حتى لو صدقنا ما قاله مؤرخو مدرسة الخلفاء من أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات سيكون عمرها حين آية الإنذار ست سنوات.. وهي غير مكلفة ولا مخاطبة بالخطابات فماذا يعني أن يقول لها أنقذي نفسك من النار؟

وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة رضي الله عنها فقال: ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم، فقال: لعلك بلغت معهم الكُدى (المقبرة)، قالت: معاذ الله أن أكون قد بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر. قال: لو بلغتها ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك»^(١).

ولم يجدوا لتدريس الناشئة في صفوف الابتدائية والمتوسطة من حديث يناسب فاطمة إلا أنها لو سرت (!) لقطع محمد يدها فترى هذا الحديث الذي زعموه عن رسول الله ﷺ من أنه قال: «أيُّها النَّاسُ، إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ

(١) بن حنبل؛ أحمد (ت ٢٤١) مسند أحمد مخرجا ١٣٧/١١ وفي هذا الحديث من الملاحظات ما يطول الكلام بذكره بكامله ولكن نشير لبعضها، فمنها ما يتنزه عنه النبي (جل مقامه) من الأسلوب في آخر الكلام، أنه لا ترى فاطمة الجنة حتى يراها جد أبيها، وهذا في العرف العام نوع من الشتم والتهجم يجل عنه ويتنزه عنه مقام رسول الله. بالإضافة إلى أنه يستتبع الإقرار بأن عبد المطلب ﷺ لا يدخل الجنة (وهذا على ما يراه أتباع النهج الأموي واقع) بينما يرى الإمامية وأكثر المسلمين غير ذلك، وللتفصيل يراجع كتابنا: أعلام من الأسرة النبوية. ومن الملاحظات أن المسلمين لا يتصورون أن يحرم مسلم من الجنة لأنه قام بالذهاب إلى المقبرة، فإن غاية ذلك أن يكون قد أتى بمكروه أو محرم، وهو لا يستوجب الحرمان من الجنة! وثالثا فإن فاطمة عليها السلام كانت تذهب لزيارة قبر أبيها، ولزيارة قبر عمها حمزة كما هو الثابت عند الفريقين فهل يعني ذلك أنها لا تدخل الجنة والحال أنها سيدة نساء الجنة؟ إن من يقرأ هذا الحديث ثم يجد أنها عليها السلام كانت تزور مقبرة شهداء أحد لزيارة عمها حمزة وقد بلغت (الكُدى) ماذا يقول عنها؟

أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ عليه السلام سَرَقَتْ لَقَطْعَتْ يَدَهَا»^(١) منهجا دراسيا مقررا، ودرسا محفوظا.

٣/ وأما تكذيب الأحاديث الواردة في فضائلها فيحتاج إلى تخصيص كتاب حول هذا الموضوع لكننا نورد بعض الأمثلة على ذلك:

فمنها تكذيبهم الحديث المروي عن أمير المؤمنين ع عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام لِفَاطِمَةَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لِعُصْبِكَ، وَيَرْضَى لِرِضَاكِ»^(٢). لكن ابن تيمية الذي رأى أن مدلول هذا الحديث خطر على عقيدته المذهبية وكذا الذهبي^(٣)، لا سيما مع ما ثبت في صحاحهم من أنها ماتت غاضبة على رموزهم وأئمتهم وهذا يقتضي أن يكون الله كذلك غاضبا، فلا سبيل لهم إلا تضعيف

(١) السنن الصغير للبيهقي ٣/ ٣٢٠ - أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨) ويهش له بعضهم ويغتنط بأن النبي لا يجامل في الحق أحدا وأنه يجري الحدود حتى على أقرب الناس إليه!

(٢) الطبراني؛ أبو القاسم (ت ٣٦٠) المعجم الكبير ١/ ١٠٨ ومعجم أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ١/ ١٩٠ والحاكم النيسابوري، في المستدرک ٣/ ١٥٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) (فقال ابن تيمية (٧٢٨هـ) في كتابه منهاج السنة ٤/ ٢٤٩ تعليقا عليه: هذا كذب منه (العلامة الحلي)! ما رووا هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة ولا له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيح ولا حسن!!).

وأما شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) فقال بعد أن نقل كلام النيسابوري في أنه حديث صحيح، قُلْتُ (الذهبي): بَلْ غَيَّرَ صَحِيحٌ، وَحُسَيْنٌ تَالِفٌ.

الحديث وجعله موضوعاً وكذباً إلى غير ذلك..

بل الأسوأ من هذا أنهم غيروا اتجاهه وصنعوا له مناسبة^(١) فجعلوا عليّاً هو الذي آذى فاطمة وأغضبها وآذى رسول الله بالتالي!! فانظر إلى تنمر الاتجاه الأموي على آل بيت النبي.

ومنها تكذيب خبر تزويجها عليّاً: حيث قال رسول الله «إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي»، وقد نقلنا تفصيله في الحديث عن تزويجها سلام الله عليها، وأن ذلك كان عن أمر الله «وهذه فضيلة اختص بها علي وفاطمة وقد كان خطبها جماعة من أعيان الصحابة ويجب عليهم الرسول ﷺ بأنه منتظر للوحي فيها»^(٢).

(١) ابن تيمية: المصدر السابق ٢٥٠ / ٤ وأما قوله: رَوَوْا جَمِيعًا «أَنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا أَذَانِي، وَمَنْ أَذَانِي آذَى اللَّهِ» فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَمْ يَرَوْهُ هَذَا اللَّفْظُ، بَلْ [رُوي] بغيره، كما رُوي في سياق حديث خطبة عليٍّ لابنة أبي جهل، لما قام النبي ﷺ خطيباً فقال: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يَنْكَحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَإِنِّي لَا أَذْنُ، ثُمَّ لَا أَذْنُ، ثُمَّ لَا أَذْنُ، إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيدُونِي مَا رَأَوْا، وَيُؤْذِنُونِي مَا آذَاهَا، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلَّقَ ابْنَتِي وَيَنْكَحَ ابْنَتَهُمْ».

أقول: قد ذكر المحدثون والمصنفون الكثير عن فرية هذه الحادثة وكذبها! بل والتأجج الخطيرة المترتبة على نسبة عدم رضا النبي بتشريع جاء به من عنده، لو فرض جدلاً صحة الحديث وهو غير صحيح.

(٢) الصنعاني (ت ١١٨٢): التنوير شرح الجامع الصغير ٢٧٧ / ٣. والحديث قد نقله - بصور متعددة - المحدثون وقال فيه نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩ / ٢٠٤: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وذكره الحاكم في المستدرک ٢ / ١٨١ بعد جعله خفيف الدسم، وحذف ما يخالف

ولأن للحديث دلالاته المهمة التي تحدثنا عنها سابقاً، لذلك أعلن الخط الأموي قديماً وحديثاً حالة الاستنفار لرفضه وتضعيفه، وفي أسوأ الأحوال تقصيصه واختصاره إلى الحد الذي يبقى بلا لون ولا طعم ولا رائحة.. فيصبح الحديث حكاية أن فلانا وفلانا خطباها فقال النبي: إنها صغيرة!^(١) وانتهى الأمر..

وبناء على ذلك فقد حكم ابن الجوزي (ت ٥٩٧) عليه بالوضع وقال: هذا حديث موضوع^(٢) وزاد عليه الذهبي نعمة، فقال: وهذا موضوع فيه من الركة أشياء^(٣).

وهذه الأحاديث غيض من فيض وقطرة من بحر فيما يفعله الاتجاه الأموي في التكرار لأحاديث مناقب أهل البيت عليه السلام سواء

عقائد مذهبهم، «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».. ولعلك تعلم أيها القارئ لماذا لم يخرجاه!

(١) نذكر بالعودة إلى العنوان الخاص بزواجها، قلنا فيه: إنهم نسوا هنا (!) قولهم هناك أن ولادتها كانت قبل البعثة بخمس سنين فيكون عمرها الآن نحو ١٩ سنة! فكيف تكون صغيرة؟ فهل كان النبي لا يعرف سن ابنته؟ أو كان - نعوذ بالله - غير صادق في ذلك وكيف سمح لنفسه أن يتزوج عاتشة وهي بنت التسع كما قالوا ولم يقبل ذلك في حق بنته؟ إلى آخر الأسئلة التي وجهناها في موضعها.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٤١٨

(٣) الذهبي، شمس الدين: تلخيص كتاب الموضوعات ١/ ١٤٨. وكذلك ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٦٦) والسلسلة الضعيفة (١٥٤٩). أقول: نحن لا نرى فيه من الركة إلا أنه يصدم عقيدتهم فماذا يعني أن يرددهم النبي وهو القائل «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه..» لولا أن أمر التزويج بها كان سماوياً ربانياً؟

بإلغائها من الأصل وعدم نقلها، أو بتضعيف المنقول منها، أو بتغيير نصوص تلك الأحاديث واللعب بالفاظها واختصارها أو الزيادة فيها، أو تغيير مناسباتها وهكذا..

وهذا باب يستحق أن يكتب فيه بالتفصيل وبالشواهد، ولعل الله سبحانه يوفق أحد الباحثين وأهل العلم للبحث فيه فيكون نافعا ومفيدا للأمة.

أسانيد خطبة فاطمة الزهراء

روى المحدثون أنه لما أجمع القوم على منعها فدكاً، جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى المسجد في لمة من حفدتها، حتى إذا وصلت نيّطت بينها وبين القوم ملاءة، فأنت أنة ثم قالت: «الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم من عموم نِعَم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام نِعَم أولاهها، جلّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدّها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها».

من خلال الخطبة التي أنشأتها الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي عرفت فيما بعد بالخطبة الفدكية بالرغم من أنها لم تذكر فدكا فيها!- سوف نتعرض إلى جملة من العقائد التي يؤمن بها أتباع أهل البيت عليهم السلام الشيعة الإمامية، حيث تناولت في هذه الخطبة شيئاً عن صفات الله وَجَدَّ وخلق الكون والأشياء، كما تعرضت أيضاً إلى شخصية والدها النبي محمد المصطفى صلوات الله عليه، وبيئته التي كان فيها، ومقدار الجهد الذي بذله في سبيل تأسيس الإسلام.. ثم إنها أيضاً شخصت

الخطوط التي كانت في زمان النبي، ومن خلالها يمكن رصد نشوء التشيع للامام علي عليه السلام، فيما عرف فيما بعد وتبلور باسم (الشيعه).. وأيضاً حديثها المبكر عن مقاصد التشريع الإسلامي، حيث نلتقي مع نص من أقدم النصوص بعد القرآن وحديث النبي والوصي حول أهداف العبادات والتشريعات الإسلامية عموماً.. وفي الأخير نرى محاكمة رصينة منها عليها السلام، لمنهج الخلافة الأولى التي أرادت، بحديث عليه ملاحظات، تأسيس حكم شرعي خاص في موضوع الميراث، وحجب ميراث فاطمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. ونتعلم من كلماتها طريق الاستدلال الفقهي على هذا الموضوع.

ومن الضروري بصورة منهجية أن نقدم مقدمة تثبت انتساب هذه الخطبة إلى السيدة الزهراء عليها السلام؛ فإن هذا ضروري، لمن كان يعتقد بعصمتها كما يرى ذلك أتباع أهل البيت، حيث تكون فقراتها مع ثبوت النسبة من ضمن الأدلة الشرعية باعتبارها تدخل ضمن دائرة السنة^(١) بل وحتى من لا يعتقد بعصمتها فإن من الضروري ثبوت نسبة الخطبة لها، باعتبارها أنها ستدخل حينئذ في قول الصحابي والصحابية وهو عند المدرسة الأخرى أيضاً من مثبتات

(١) يعتقد المسلمون عموماً بحجية السنة وكونها من مثبتات الأحكام الشرعية، وبينما يقتصر أتباع مدرسة الخلفاء على سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يعمم شيعة أهل البيت عليهم السلام الأمر ليشمل فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر، ويلتزمون لهم بالعصمة.

الأحكام، وفي أقل الفروض فإنها ستكون شهادة عيان على ذلك العصر وما جرى فيه، ومواقف الأطراف المختلفة فيه.

◀ حقيقة نسبة الخطبة للزهراء عليها السلام :

يلحظ الناظر أن هناك توجهاً من قبل مخالفين المدرسة الإمامية، ينفي أو يشكك في ثبوت نسبة الخطبة للزهراء عليها السلام، ويُعتَقَد أن هذا التشكيك ليس منطلقاً من واقع تاريخي أو قرائن واضحة على النفي وإنما هو راجع كما يعتقد باحثون إلى جهة عقدية، تكون محرجة أمام ثبوت مضامين هذه الخطبة، حيث تعارض مسلمات عقدية، وأفكار تقوم عليها تلك المدرسة.. ومن نفس المنطلق كانت هذه الفئة تنفي ارتباط المنقول في نهج البلاغة، بالإمام علي عليه السلام ^(١).

ولنفس الأسباب التي دعت إلى إنكار نسبة النهج إلى الإمام، والتشكيك في ذلك، فقد تم التشكيك في انتساب خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام.. وتلك الأسباب منها ما يرتبط بالعقائد العامة (كالتوحيد وصفات الله تعالى، كما هو الحال في نهج البلاغة حيث فيه من الخطب ما يخالف التوجه الرسمي لمدرسة الخلفاء في صفات الله وتوحيده، ونفس الكلام يأتي في خطبة الزهراء عليها السلام كما سنشير لذلك..) وأيضاً العقائد بالمعنى الخاص المذهبي، ففي نهج البلاغة في مواضع كثيرة، بين الإمام علي عليه السلام تقدمه وأفضليته على من

(١) قيل أن أول من أشار إلى التشكيك في انتساب كلمات (نهج البلاغة) الذي ألفه الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ إلى الإمام علي عليه السلام كان: ابن خلكان ت ٦٨١ هـ.. وتابعه في ذلك الذهبي ت ٧٤٨ هـ..

سبقه بل على جميع أصحاب النبي، كما بيّن في نفس الوقت خطأ تصدي من سبقه للخلافة، وتحليله للأوضاع التي آلت إليها الأمة على أثر ذلك. ولا سيما في الخطبة المعروفة بالشقشقية.. وهذا بعينه يجري هنا في قضية فاطمة ومحاکمتها الخليفة بين الملاء بالبرهان والدليل.. كما سنشير إليه أيضا.

فمن الطبيعي أنه لا يسمح بنشر ما يخالف التوجه الرسمي الذي تم وضع التاريخ وكتابته على أساسه، وكان من الانصاف لو تم أخذ وجهة النظر المغاير بعين الاعتبار وموازنة الأمرين واصلاح الخطأ، إلا أنه وللأسف بدلا من ذلك، تم إشهار ذلك التوجه الرسمي والتعمية على الرأي الآخر المغاير بل تكذيب صدوره، فإن اصحاب هذا التوجه لا يستطيعون أن يغضوا من شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وإن حاولوا.. ولا يمكن لهم أن يقولوا لا يهمنا كلام علي بن أبي طالب!! فهو في الحد الأدنى عندهم صحابي، وخليفة راشد! وإن حاولوا ذلك بالنسبة لفاطمة حيث قالوا هي ليست معصومة وإنما النساء عاطفيات تغلبهن المشاعر!!

المهم: أننا سوف نرى من القرائن ما يثبت انتساب الخطبة للسيدة الزهراء عليها السلام، من خلال ذكر عدة نقاط:

◀ الأولى: هل البرهان العقلي يحتاج إلى سند لإثباته؟

بالرغم إجهاد بعض المخالفين نفسه للخدش في أسانيد الخطبة.. إلا أن بعض الباحثين يقولون: إننا لا نحتاج إلى سند

للخطبة في شأن الاحتجاج وهو الأمر الذي استأسد الطرف الآخر لنفيه وذلك لأن طريقة الاحتجاج والمناظرة لا تقوم على أساس النقول، والأخبار أو الأسانيد وإنما تقوم بشكل أساس على سلامة البرهان والدليل الذي يحتج به هذا الطرف أو ذاك! هذا هو قانون الاحتجاج والمناظرة والمحكمة..

فإن برهان النظم ودلالته على التوحيد، ليس نابعا من أن الله قال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١) وإنما لأن هذه المعادلة تامة، ومتى عرضتها على أي عقل سليم فإنه ينتهي إلى نفس النتيجة! وهي أن وجود الالهة المتعددة نتيجة خراب الكون، فإدام الكون صالحا فلا بد أن لا يكون هناك آلهة وإنما هو إله واحد. وسواء جاء به القرآن أو لم يأت به، فهذا القانون صحيح وسليم.

والدليل الذي قام على عصمة النبي ﷺ من أنه لو لم يكن معصوما لكان صدور الذنب منه ممكناً - كأن يكذب ويرتكب المحرمات بل أن يكفر بالله والعياذ بالله - . وفي هذا من نقض الغرض في رسالته ما هو واضح، بل لكان آحاد رعيته أفضل منه، ولكان عليه أن يتبعهم لا أن يتبعوه لو أذنب وهم غير مذنبين!

وهكذا عندما تناقش فاطمة الخليفة بأدلة قرآنية، وترد قوله الذي تفرد بنقله من أن الأنبياء لا يورثون أبناءهم، بآيات محكمات

(١) سورة الإسراء: آية ٢٢

متعددة من القرآن الكريم تثبت فيها وراثة الأنبياء بعضهم من بعض وفيها اطلاق شامل للمال، بل المصداق الأبرز للإرث هو المال إذ النبوة ليست مما يورث! وحتى لو جاءت لابن نبي فليس لأجل الوراثة! فكم من أبناء الأنبياء وآبائهم لم ينالوا نبوة؟ فإذن هذا الاحتجاج ليس بمفتقر إلى أن يكون هناك سند له أو ليس له سند! لأن موضوع الاحتجاج عقلي وربما لهذا السبب ولأسباب أخرى ترك الطبرسي^(١) في كتابه الاحتجاج الاعتماد على الأسانيد، وجاء بالوقائع مجردة عن الأسانيد.

إذن هذا هو الرأي الأول الذي يقوله بعض العلماء بأننا لا نحتاج أساساً في قضايا الاحتجاج والمناظرات والعقائد إلى سند وإنما نحتاج إلى نفس الدليل.

وربما لهذا السبب أثنى الإمام الصادق على كلام هشام بن الحكم، وحواره مع عمرو بن عبيد^(٢)، مع أنه لم يكن بحسب الفرض

(١) ذكره الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب ٤٤٤ / ٢ بما ملخصه: المحدث الثقة الجليل أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج وهو كتاب معروف فعن المجلسي (ره) أنه قال وكتاب الاحتجاج وإن كان أكثر اخباره مراسيل لكنه من الكتب المعروفة وقد اثنى السيد ابن طاووس على الكتاب وعلى مؤلفه وقد اخذ عنه أكثر المتأخرين قال (ض) وكثيراً ما ينقل الشهيد في شرح الارشاد فتاواه وأقواله انتهى. وله الكافي في الفقه وفصائل الزهراء عليها السلام وغير ذلك وهو من مشايخ ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨.

(٢) العلامة المجلسي؛ بحار الأنوار ٥٨ / ٢٤٨ عن مجالس الصدوق: كان عند أبي

قد قرأه في كتاب أو نقله عن معصوم! فقد جاء هشام بن الحكم إلى الإمام الصادق عليه السلام - وهشام هذا هو أحد أصحاب الإمام - فقال له الإمام: أخبرني كيف صنعت مع عمرو بن عبيد - أحد المتكلمين من المدرسة الأخرى - في الاستدلال على الإمامة؟ فيقول قلت له:

عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين، ومؤمن الطاق وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شاب. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تحدثني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني اجلك وأستحيك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة. وعظم ذلك علي، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأنتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمر بن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها. فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتني ثم قلت: أيها العالم، أنا رجل غريب، تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: فقال: نعم، قال: قلت له: ألك عين؟ قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟! فقلت: هكذا مسألتني. فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها، قال: فقال لي:

سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والاشخاص. قال: قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أتشمم بها الرائحة. قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أعرف به طعم الأشياء. قال: قلت: ألك لسان؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلم به، قال: قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات. قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أبطش بها. قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أميز كل ما ورد على هذه الجوارح. قال: قلت:

عندك يد؟ فقال نعم، عندي يد. فقال له: عندك عين؟ قال: نعم. قال له: ماذا تفعل بها؟ قال: كذا أصنع. قال له: عندك أنف؟ قال: نعم كذا أصنع به. قال له: عندك قلب -اي عقل- قال: بلى. قال له: ما تفعل به. قال: يسيطر على كل هذه ويوجهها. قال له: موقع الإمام هو موقع القلب من البدن. العين ترى والأنف يشم واليد تبطش لكن يوجد هنالك ناظم يجمع هؤلاء ويحرك هذه حسب وظيفتها فموقع الإمام هو هكذا.

لم يكن هشام بن الحكم قد سمع نص هذا الكلام من أحد ولكن هذا الكلام منطقي ومبرهن لا يحتاج بأن يقول أنا سمعته

أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمتته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردت إلى القلب فييقن اليقين ويبطل الشك. قال: فقلت: إنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قال: قلت: فلا بد من القلب وإلا لم تستقم الجوارح؟

قال: نعم، قال: فقلت: يا أبا مروان إن الله - تعالى ذكره - لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح وييقن ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل شيئا. قال: ثم التفت إلي فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: فأنت إذا هو، قال: ثم ضممني إليه وأقعديني في مجلسه وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله الصادق عليه السلام ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟ قال: قلت: يا ابن رسول الله جرى على لساني. قال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

من الإمام وأنقله عبر الروايات والأسانيد، ومن هذا الباب ترك صاحب كتاب الاحتجاج الشيخ أحمد بن علي بن طالب الطبرسي رضوان الله تعالى عليه الاعتماد على الأسانيد فقال في مقدمة كتابه: .. ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلت العقول إليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤلف^(١)..

◀ الثانية: استفاضة الخطبة تغني عن تتبع سندها

يعتقد بعض الباحثين أن هذه الخطبة لا تحتاج إلى تحقيق السند نظراً لكثرة الأسانيد وتظاهرها وتظاferها واشتهار الخطبة بحيث أصبح يستدل بها ولا يستدل عليها. ومن المعروف بين العلماء أن اشتهاار كلام وتظاfer رواياته، يكون من أقوى القرائن على صحة انتسابه، بل يراه البعض أقوى من ثبوته بسند واحد صحيح وجهة ذلك أنه إذا تعددت الطرق، واشتهرت الرواية في الأجيال المختلفة تفيد علماً عرفياً بانتسابها إلى قائلها، وهذا أقوى من صحة السند الذي يبقى في دائرة الظن (وإن كان معتبراً) كما هو مفاد خبر الثقة.

سيأتي بعد قليل الإشارة إلى أن أهل اللغة تطرقوا إلى الخطبة وأشاروا إليها عند حديثهم عن عدد من الكلمات التي سبق وأن وردت في خطبة الزهراء عليها السلام، وأن الفقهاء أيضاً تعرضوا لها واستشهدوا بها ورد فيها مما يتصل بالأحكام الشرعية، وهكذا أهل التاريخ..

(١) الطبرسي: الاحتجاج ١ / ١٠ مقدمة الكتاب.

وأما أهل الحديث والرواية فقد ذكروا أن لها طرقا كثيرة، بعضها ينهيها إلى ابن عباس وبعضها ينهيها إلى زينب بنت أمير المؤمنين إلى فاطمة وهذه نفسها بعدة طرق أيضا بعضها ينتهي إلى زيد بن علي بن الحسين الشهيد وبعضها الآخر ينتهي إلى الإمام الباقر عليه السلام وبعضها إلى عبدالله بن الحسن من بني هاشم، بالإضافة - وهذا من الغريب ولم أعثر عليه ولكن مذكور في بعض الكتب - أن بعض هذه الطرق تنتهي إلى عائشة بنت أبي بكر، فإذا هنالك طرق مختلفة متعددة متظافرة وأنشد لا نحتاج إلى أن نروي بسند واحد عن فلان عن فلان عن فلان^(١).

(١) وقد صرح بذلك المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ١٣٩ فقال: السلف من بني علي وفاطمة يروى خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده، حتى انتهت إلينا يدا عن يد، فنحن الفاطميين نرويها عن آبائنا وأبائنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من أبناء علي وفاطمة ودونكموها في كتاب احتجاج الطبرسي وفي بحار الأنوار وقد أخرجها من إثبات الجمهور واعلامهم أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة وبعضها إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر، وبعضها إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعا إلى الزهراء كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي، وأخرجها أيضا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني بالاسناد إلى عروة ابن الزبير عن عائشة ترفعها إلى الزهراء كما في ص ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج وأخرجها المرزباني أيضا كما في ص ٩٤ من المجلد المذكور بالاسناد إلى أبي الحسين زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده يبلغ بها فاطمة عليها السلام، ونقل ثمة عن زيد أنه قال رأيت مشائخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها أولادهم..

◀ الثالثة: متن الخطبة يصح سندها

مما يذكر في هذا الاتجاه أننا نستطيع تصحيح السند بالمتن.. فلو أردنا أن نأخذ مثلاً القرآن الكريم والذي جاء به سيد الأنبياء محمد ﷺ، كان العامل الرئيس في إثبات أنه من الله ﷻ أنه كلام معجز من حيث المعنى ومن حيث الصياغة ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

وبالرغم من أن النبي كان عند الناس وخصوصاً عند قريش صادقاً وأميناً ولكن الأساس الوثيق لهذا القرآن كان إعجاز القرآن معنىً ولغةً، فحتى الذي كان لا يعتقد بصدق النبي ﷺ لما يأتي ويعرض عليه القرآن بإعجازه يخضع له ويقتنع به^(٢).

وهذا الأمر بنسبة من النسب صادق في أخبار المعصومين عليهم السلام^(٣)، فإن لكل متكلم سبكا وصياغة خاصة للكلام، ومن خلاله يعرف أن هذا صحيح النسبة لفلان، أو غير صحيح، إن من السهل على العارفين بأساليب اللغة أن يميزوا مثلاً بين شعر المتنبي وشعر نزار

(١) سورة الإسراء: آية ٨٨

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٧٨ قال الوليد بن المغيرة المخزومي لما سمع من النبي بعض آيات القرآن: ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليعظم ما تحته..

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام: أعربوا حديثنا فإننا قوم فصحاء

قباني! وما بين كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلام غيره^(١).. وتمت الإشارة إليه فعندما نخرج من الأمر القرآني إلى باقي النصوص، نجد أن بعض العلماء يقولون أن ما ورد من الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ «إن على كل حق حقيقةً وعلى كل صواب نوراً فما جاءكم عني فاعرضوه على القرآن فما وافق القرآن فخذوه وما خالف القرآن فدعوه» هو أحد المقاييس التي يعرف بها العالم صحة وسقم الرواية، فإنه عندما نجد لغة رواية من الروايات متهاكة متهافة، نقول هذه الرواية ليست عليها مسحة البلاغة النبوية، أو قد يكون معناها معنىً ضعيفاً ركيكاً، نقول هذا

(١) قال ابن أبي الحديد في سياق رده على زعم أن نهج البلاغة منحول للإمام عليه السلام: إن من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنتين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحداً، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، والقرآن العزيز، أوله كأوسطه، وأوسطه كآخره....)

المعنى ليس من المعاني التي يطرقها النبي أو الإمام، وهذا مما ذكره في نهج البلاغة، فإنه عندما حدث التشكيك في كون خطبه وكلماته لأمر المؤمنين عليه السلام، كان أحد الأجوبة هذا الذي ذكرناه.

عندما تقرأ قصيدة لشخص ما ويأتي ويقول لك هذه القصيدة لأبي الطيب المتنبى فإذا كنت عارفاً باللغة وبالشعر تتأمل فيها قليلاً فتقول هذه القصيدة لا تخرج من فم المتنبى!، مستوى المتنبى أكبر وأعظم من هذه القصيدة.

وشاهد ذلك القريب أنه انتشرت قبل مدة من الزمان قصيدة^(١) في موضوع علاقة الشيعة بالبكاء على الحسين ونسبت القصيدة لنزار قباني وعندما عرضت على العارفين قالوا ليس هذا أسلوب الشاعر ولا هو فكره ولا هي مفرداته ولا ألفاظه، ولا يمكن أن تخرج هذه الألفاظ من عنده، وبعد البحث تبين أنها لشاعر من شعراء البحرين ولا ترتبط بنزار قباني، فيستطيع العارفون بالأدب وباللغة تمييز قصيدة المتنبى وقصيدة شاعر من هذا الزمان، وخطبة علي بن أبي طالب وخطبة فلان بن فلان في معانيها وفي أساليبها.

(١) هي من قصائد الشاعر البحراني علي الغسرة ومنها:

سأل المخالف حين أنهكه العجب	هل للحسين مع الروافض من نسب
لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم	وعلى امتداد الدهر يُوقدُ كاللَّهب!
وكأنَّ لا أَكَلَ الزَّمانُ على دم	كدم الحسين بكرِلاء ولا شرب
أو لم يَمِزْ كَفُّ البكاء فما عسى	يُبيدُ ويُجدي والحسين قد احتسب؟
فأجبتَه ما للحسين وما لكم	يا رائدي ندوات آليّة الطرب

عندما نتأمل خطبة الزهراء عليها السلام نرى فيها من المعاني الراقية والعميقة التي لا تيسر إلا لمن كان يفرغ عن معدن الوحي والنبوة ولا تأتي إلا لمن أخذ هذا العلم من سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله. ونسبتها إلى فاطمة الزهراء عليها السلام هي كما قال الشاعر المتنبى عن ناقلته: سَبَّوحٌ لها منها عليها شواهد.

وقسم من فقراتها قد ورد في كلمات أمير المؤمنين، والإمام الرضا عليهما السلام كما ورد أمثالها في خطبتها الثانية وهي تشكل نسيجاً واحداً وقماشاً متجانسة.

◀ رابعاً: هل القضايا التاريخية كالقضايا الفقهية تحتاج لسند متصل لاثباتها؟

هنا أريد أن يلتفت القارئ معي إلى الفرق بين الإثبات الفقهي والإثبات التاريخي، فقد يتصور قسم من الناس أن القضايا التاريخية هي كالقضايا الفقهية لا بد لكل شيء فيها من سند متصل وذلك لأنه سترتب عليها أن يتم نسبة حكم الله تعالى. إلا أن الأمر في البحث التاريخي مختلف عن المنهج في البحث الفقهي فهو يعتمد على أساس القرائن ولذلك لا يستطيع المؤرخ أن يطلب في كل قضية تاريخية تفصيلية سناً متصلاً معتبراً لمن شهدها ولو كان كذلك لانعدمت التفاصيل التاريخية.

الآن لو نأخذ مثلاً غزوة بدر- ولا يوجد أشهر منها مع ذلك لا يستطيع مؤرخ أن يأتي بكل ما ورد فيها بأسانيد صحيحة، ولو

أراد أن يقتصر على الأسانيد فإنه لا يستطيع إلا أن يأتي بعشر معلومات عنها، أما هذه التفاصيل الكثيرة فلا؛ وإنما هي تعضدها القرائن التاريخية، فلان قال هكذا وهذه النقطة حدثت في مكان ما، تتعاقد فتعطي انطبعا عند المؤرخ واطمئناناً بمثل هذا الموضوع.

حادثة إلقاء فاطمة الزهراء عليها السلام للخطبة هي قضية تاريخية بهذا المعنى، وليست حادثة فقهية أو حكم فقهي، فحينما أجمع القوم على منعها فذكاً خرجت إلى المسجد وألقت هذه الخطبة.

الموضوع التاريخي يحتاج إلى منهج تاريخي، ومن المنهج التاريخي كثرة القرائن مثلاً: نحن نأتي ونرى في كتب اللغة، كتاب اللغة ليس موضوعاً للموضوع التاريخي ولكن مع ذلك نستطيع أن نستفيد منه، فنأتي ونرى بعض اللغويين في كلمة لُمة، «جاءت فاطمة في لُمة من نسائها» فإنه يذكر في لسان العرب^(١) وفي النهاية لابن الأثير وفي غيره، مفردة لُمة: جماعة من ثلاثة إلى عشرة، وقد ورد في الأخبار أن فاطمة عليها السلام لما أجمع الخليفة على منعها فذكاً أنها خرجت في لُمة من نسائها، هذا الناقل ليس بشيعي وليس بصدد إثبات الأمر العقائدي، وأيضا كلمة هَنبئة لأنها قالت في آخر الخطبة

قد كان بعدك أنباء وهنبئة

لو كنت شاهدا لم تكثر الخُطْبُ

(١) ابن منظور: لسان العرب ٢٠٣/١ وتاج العروس ٤٢/١ وتهذيب اللغة ١/

◀ ورود الخطب في الكتب اللغوية والتاريخية:

من خلال هذه الخطبة نأتي ونرى كتب اللغة قد تحدثت عنها، أيضا كتب البلاغة التي تتحدث عن الأمور البلاغية مثل كتاب بلاغات النساء لابن طيفور أحمد بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية تقريبا وهو ليس من الشيعة وعنده كتاب خاص بالنساء البليغات وخطبهن البليغة وهو ليس في صدد الحديث عن موضوع ديني أو عقائدي وإنما في صدد الحديث على أن عدداً من النساء المسلمات كن بليغات في اللغة العربية ومتضلعات، فأورد خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبارها نموذجاً أعلى في البلاغة. فهو ليس هو في أمر عقائدي وإنما في صدد الاستشهاد على الموضوع البلاغي.

كما أوردتها الكتب التاريخية مثل كتاب السقيفة وفدك لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى المتوفى سنة ٣٢٣ هجرية، وهذا من مشائخ الطبراني صاحب المعجم وهو كما وصفه ابن أبي الحديد وغيره أنه رجل حافظ للأخبار، كثير العلم، حسن التصانيف، ورع في النقل وبالرغم من أنه لم يكن على مذهب الإمامية إلا أنه أثبت هذه الخطبة في كتابه السقيفة وفدك.

هذه القرائن منضمة بعضها مع البعض الآخر من استشهادات لغوية، ومن إيرادها كنموذج من نماذج البلاغة وأمثال ذلك من إيرادها في الكتب التاريخية لغير المؤرخين الإمامية، تفيد عن حصول هذه الخطبة وإلقاء فاطمة عليها السلام لها، وهذا بناء على المنهج

التاريخي في البحث يكون من القرائن القوية، وبالطبع هنالك قرائن كثيرة أخرى لا يسع المقام لذكرها.

أخيراً بعض الطرق التي ذكرها محمد بن جرير الطبري الإمامي، فهي حتى بالمعنى الفقهي الخاص على بعض المسالك الرجالية لها أسانيد معتبرة وصحيحة، وبالتالي من زوايا مختلفة يُصَحِّحُ انتساب وانتماء هذه الخطبة إلى سيدتنا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ولقد نقلها كثير من المؤرخين في كتبهم. لقد كانت هذه الخطبة منذ وقت مبكر محل الاهتمام؛ فقد كتبت على الرغم من أن في تلك الفترات كان أمر التدوين والكتابة ممنوعاً من الناحية الرسمية.

بعد هذا كما ذكرنا بمدة كان ابن أبي طيفور، وبعده كان الجوهري في كتابه السقيفة، وبعده كان الشيخ الصدوق - أعلى الله مقامه - صاحب من لا يحضره الفقيه أورد فقرات منها في كتابه علل الشرائع، وبعده كان محمد بن جرير الطبري صاحب دلائل الإمامة، وبعده كان الطبرسي صاحب الاحتجاج، وبعده ابن أبي الحديد المعتزلي شارح النهج وهكذا، وهي من حيث المعاني الموجودة فيها سبكاً ومضموناً لا يمكن إلا أن تأتي من هذا المعين ومن هذا المعدن الذي يغرف من لسان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

طبعاً تكتسب الخطبة أهميتها من شخصية المتحدث فيها وهي سيدة النساء المعصومة التي لا تنطق جُزأفاً ولا تتجاوز الحق قيد أنملة

وهي المطهرة بنص آية التطهير وهي الممثلة لكل نساء المسلمين
بنص آية المباهلة وهي التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

الخطبة الفدكية مميزاتها ومواضيعها

من خطبة سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في ردها على أبي بكر أنها قالت في جواب لما أورد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، قالت عليها السلام:

«سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُحَالِفًا، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ أَعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ. هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَنَاطِقًا فَضْلًا، يَقُولُ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(١)، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٢)».

نتناول بعض مميزات خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام وإجمال مواضيعها، هذه الخطبة التي لم تستغرق فترة زمنية طويلة بحسب

(١) سورة مريم: آية ٦

(٢) سورة النمل: آية ١٦

مقدار الكلمات التي قيلت فيها إلا أنها احتوت على كثير من المميزات التي جعلتها فريدة من نوعها.

هل الظروف ساعدت الزهراء عليها السلام في صياغة هذه الخطبة البليغة:

يلاحظ أن كل الظروف كانت تعاكس أن تنتج الزهراء عليها السلام هذا الكلام البليغ لفظاً، القوي تركيباً، العظيم مضموناً، إن كل الظروف التي أحاطت بالسيدة الزهراء عليها السلام تقتضي خلاف هذا الأمر، فإنها من الناحية النفسية في ذلك الوقت كانت فاقدة لأبيها ومظلومة في حق زوجها، وأيضاً بناء على أن الخطبة بعد الهجوم على دارها وهذا سوف نتحدث عنه إن شاء الله فيما بعد كيف تسلسل الأحداث من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادتها عليها السلام، أقول هذه الظروف لا تساعد المتكلم على أن يكون بليغ اللفظ ولا أن يكون مُركِّز الفكر ولا أن يكون قوي التركيب، تصور أن يكون بالك مشغولاً بشيء معين حينها أنت لا تستطيع أن تنظم الكلام تنظيمًا قوياً، ربما لا تستطيع أن تخوض في أعماق المعاني، الزهراء عليها السلام لم تكن هكذا، بل كانت في وضع نفسي غير حسن، أضف إلى ذلك جانب الارتجال، المتكلمون يعرفون أن الإنسان عندما يرتجل كلاماً على البديهة من غير إعداد واستعداد، من الممكن أن يقدم ويؤخر ويتخبط ولا يركز، ونفترض أن هذه الخطبة أيضاً كانت على البدهة والارتجال، هذا أمر آخر.

الأمر الثالث هو كونها امرأة في محضر رجال بالتالي فالمسجد كان مليئاً بالرجال المسلمين مهاجرين وأنصاراً، والزهاء عليها السلام جاءت ونيطت دونها ملاءة (قطعة قماش) حتى تستتر عنهم ثم خاطبتهم، ومع ذلك فإن هذه الخطبة احتوت على ميزات كثيرة جداً نشير إلى قسم منها بمقدار ما يتسع منه الوقت هذا من جهة وبمقدار ما نفهمه نحن من جهة أخرى.

◀ الخطبة بين الخطاب العقلي والعاطفي:

من هذه الميزات أننا نلاحظ تزاوجاً في هذه الخطبة بين العقل والعاطفة بدرجة كبيرة، بعض الخطابات تكون خطابات عاطفية تحتاج إلى أسلوب معين وبعضها الآخر خطابات علمية (دروس، أبحاث، محاضرات عميقة)، فهذه تحتاج إلى أسلوب خاص وتلك الخطبة العاطفية المشاعرية تحتاج إلى أسلوب آخر، ومن العسير عادة أن يجعل الإنسان نفس الخطبة العلمية كأن يلقي مثلاً درساً في الأصول أو درساً في الفيزياء أو غير ذلك ويستخدم أسلوباً عاطفياً ومشاعرياً محرراً للإنسان، وكذا العكس فعندما يريد أن يحرك عواطف المستمع يصعب عليه أن يخوض في أمور علمية دقيقة ومركزة.

خاضت الزهاء عليها السلام في هذه الخطبة في أدق المباحث العلمية فيما يرتبط بمعرفة الله وَجَلَّ جَلَلُهُ، فقالت عليها السلام: «إِبْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا» يتساءل العلماء عن هذه الجملة لماذا قالت «لا من شيء كان قبلها» ولم تقل: ابتدع الأشياء من لا شيء كان

قبلها؟، وهذا بحث مهم في العقائد، وهكذا عند استدلالها بآيات القرآن استدلالاً فقهياً، ومعالجتها للآيات العامة والمطلقة ودعوى التخصيص وهل هناك مانع من انعقاد العموم؟ وغير ذلك من المباحث التي يذكرها علماء الفقه والأصول فهذا الجانب العلمي نراه موجوداً في خطبة الزهراء عليها السلام.

كذلك فإن الجانب العاطفي والمشاعري والإثارة القلبية أيضاً كان موجوداً في ثنايا هذه الخطبة، ولذلك تفاعل الناس بالبكاء عند استماعهم للخطبة، «إِنِّهَا بَنِي قَيْلَةَ! أَهَضُّمُ ثِرَاتَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، وَمُتَدَيٍّ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمُلُكُمُ الْخُبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأَدَاةُ وَالْقُوَّةُ، وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تَوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ» أو في موضع آخر تقول: «أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخُدْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ».

كما أنها تضمنت تقريع المخاطبين من خلال التذكير بالماضي المشرق الذي كان للأنصار في نصرته النبي ورسالته والحاضر السيء من الخذلان والتراجع «نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمُرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلْبُ الْأَيَّامِ»، أو قولها: «فمَجِئْتُمُ الَّذِي شَرِبْتُمْ فَأَتَيْتُمُ حَرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ؟»، ونكصتم بعد الاقدام، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمُ - أي تقيأتم ذلك وتراجعتم عن كل تلك المواقف السابقة - هذه الجهة العاطفية في أرقى درجاتها وهناك الجهة العلمية كذلك كانت في أرقى درجاتها.

◀ المنهج المنطقي لإحداث التغيير في المجتمع:

هذه الخطبة تجمع بين خطابين، خطاب لعامة الناس وخطاب لرئيس الدولة:

إننا نلاحظ في العمل السياسي أن يكون أحد منهجين لتحقيق المطالب من الشعوب:

الأول: يقول بأنك إذا أردت أن تحقق مطالبك اكتب لرئيس الدولة، خاطب رئيس الدولة مباشرة ليس لك شغل بعامة الناس، لا تتحدث بشكل علني وجماهيري لعامة الناس.

والآخر: أن تحقق مطالبك من خلال تحويل القضية إلى قضية رأي عام، وهذا يشكل ضغطاً على رئاسة الدولة، فلا ترى طريقاً لها إلا الاستجابة لتلك المطالب، وهذا ملحوظ في الغرب والدول الديمقراطية يلاحظ كيف أن بعض الزعماء الدينيين أو السياسيين يخاطبون جماهير الناس فينزل الجمهور إلى الشارع ويضغطون على الرؤساء والحكام، فهذان منهجان مختلفان.

وقد جمعت الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة بين النهجين، في نفس الوقت الذي خاطبت الأنصار وهم القوة الكبرى في المدينة الذين كانوا محل اعتماد النبي ﷺ، حتى أن النبي ﷺ عندما يريد أن يتخذ قراراً عاماً كان ينتظر خبر الأنصار.

ففي قضية بدر مثلاً حينما وصل الخبر إلى النبي ﷺ أن قريشاً

حركت قواتها باتجاه المدينة المنورة للقتال مع أصحابه، أخبرهم بذلك وقال لهم أشيروا علي، فقام بعض الصحابة وقال: «هذه قريش وخيلاؤها ما ذلت منذ عزت» أي أن قريشاً ليست بالأمر السهل، فلم يعجب ذلك القول رسول الله ﷺ، وبعدها قام آخر وقال نفس الكلام أو قريباً منه ولم يعجب الرسول فقال الرسول ﷺ أيضاً: هيه! فقام سعد بن عباد وقيل سعد بن معاذ - وهما أنصاريان - فقال للرسول ﷺ: وكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: بلى، فقال يا رسول الله إنا آمنا بك، صدقناك واتبعناك فخذ بنا البحر فلو أمرتنا أن نخوضه لخضناه معك - يعني أي شيء تريده يا رسول الله نفعله تريد أن نخرج للقتال نخرج، أو تريد أن نتحصن سوف نتحصن، نحن رهن إشارتك وطوع أمرك - فسر رسول الله ﷺ بذلك، وهؤلاء الأنصار كانوا يشكلون القوة الكبرى في المدينة.

السيدة الزهراء عليها السلام أيضاً خاطبت الأنصار «إِنَّمَا بَنِي قَيْلَةَ»^(١) في هذا الموضع وفي موضع آخر كما سيأتي.

وكذلك خاطبت رئيس الدولة: «أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرثَ أَبَاكَ، وَلَا ارثَ أَبِي؟» ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾^(٢)، أَفَعَلَى عَمَدٍ تَرْكُمُ كِتَابَ اللَّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أَمَامَ النَّاسِ».

(١) ذكروا أن قبيلة هي جدة الأوس والخزرج، وهما فرعا الانصار، وهذا من ذكاء الخطاب حيث خاطبتهم باعتبارهم وحدة واحدة.

(٢) سورة مريم: آية ٢٧

ولما رد عليها أيضاً بعد هذا فقال: «يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَوْفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعِقَابًا عَظِيمًا مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا دَارًا وَلَا عِقَارًا، وَإِنَّمَا نُورِثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ».

هنا انبرت إليه الزهراء عليها السلام مرة أخرى وقالت له «سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالِفًا»، فهي عليها السلام تشير له في كلامها هذا أنه هل أنت واع لما تقول وملفت؟ كيف يخالف الرسول ﷺ كتاب الله ولا يتبعه فأنت تتهم النبي بشيء عظيم.

إذن جمعت الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة بين خطين في الخطاب السياسي وهذا معروف عند المعاصرين بين خطاب الجمهور وإثارة الجمهور بل وتحريضه، ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْخَشَوْهُمْ قَالَتْ أَلَا تَخْشَوْنَ أَنْ تُخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وهذه ميزة أخرى في خطبة الزهراء عليها السلام.

◀ جمع الزهراء عليها السلام في خطبتها بين تحليل القضية وتحميل المسؤولية:

هناك ميزة أخرى وهي أنها جمعت بين التحليل في القضية والتحميل للمسؤولية، فقد تجد عند المتكلم أو الكاتب منهج

(١) سورة التوبة: آية ١٣

التحليل بعد التوصيف، كما يصنع الخبير الذي يحلل القضية تحليلاً علمياً ولا يرتبط حديثه بتحريك الناس أو تحميلهم المسؤولية، فربما يتحدث عن الأزمة الاقتصادية في بلد ما ويشير إلى أسبابها العالمية أو المحلية، لكنه لا يتوجه بخطاب للناس.

بينما يأتي آخر يحرص في خطابه على الحديث مع الناس، فالواعظ الديني أو المربي الأخلاقي أو الزعيم السياسي الذي يريد إشراك الناس في حل الأزمة الاقتصادية سوف يتحدث في خطابه عن عدم الإسراف وحسن التدبير في المعيشة فهو يحمل الناس مسؤوليتهم ويأمرهم بفعل كذا وترك كذا لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية، فهناك كان الخطاب تحليلياً وهو كشف الأسباب التي أدت لهذه الأزمة وهنا اختلف المنهج ليصبح توجيهياً افعلوا كذا أو اتركوا كذا.

جمعت الزهراء عليها السلام في هذا الخطاب بين الأمرين، فبينت لماذا حصل الانقلاب؟ وكيف تحقق الانحراف؟ وأن القضية غير منفصلة عن سياقها التاريخي، إذ يوجد تأريخ لهذه الفئة وكان ذلك كما خاطبتهم «تَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَنكُصُونَ عِنْدَ النَّزَالِ، وَتَقْرُونَ عِنْدَ الْقِتَالِ».

بينما تأريخنا أهل البيت هو «قَذَفَ أَخَاهُ فِي هَوَاتِمَا، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ» هذا تحليل للقضية وفي الطرف الآخر تحميل للمسؤولية، مسؤولية الحاضرين وأنهم لا بد لهم بأن يتحركوا ويواجهوا وإلا فإنهم مسؤولون.

هذه وما سبقها من ميزات الخطبة الشريفة. وأمّا:

◀ مجمل مواضيع الخطبة:

فبالرغم من أن في كل فقرة موضوعا، وهداية، وإرشادا وفكرة، إلا أننا سوف نجمل المواضيع بشكل عام.

◀ بداية خطبة الزهراء عليها السلام بالحمد والثناء

افتتحت الزهراء عليها السلام حديثها بـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثم تعريف الله بعد الشهادتين.

كلمة الحمد هذه، هي بداية القرآن وبداية سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وهي كما ورد في الروايات خلاصة التنزيل والقرآن. وهي بعد البسملة افتتاح الفاتحة. وقد لا يتسع المجال للبحث المفصل في مفهوم الحمد ومركز هذا المفهوم في المنظومة الدينية، لكن بملاحظة عابرة لو نظرنا إلى خطب النبي صلى الله عليه وآله، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام بل حتى الأدعية، نجدها تبدأ بالحمد، وهذا يبين أهمية هذا المفهوم.

وإذا أردنا أن نستفيد درسا أخلاقيا من ذلك فإننا نقول إنه ينبغي أن يكون موقف الإنسان حامداً لله تعالى في كل أحواله، وبهذا نتقّد حالة بعضهم ممن تسألهم عن أحواله فإذا به يتبرم بأوضاعه ويسرد عليك قائمة طويلة مما يفقده ويعاني منه فهو مريض بالسكري! وأوضاعه الزوجية سيئة وأمره المالي متعسر و... بينما لو نظر إلى ما لديه ونعم الله عليه لعجز عن عدها! فمن المهم أن

(١) سورة الفاتحة: آية ٢

يتعلم الإنسان الحمد لرب العالمين في كل أحواله! بل حتى التشكي هو نعمة!! فإن شكواه تشير إلى أنه يستطيع أن يدرك سوء حاله ويعبر عن ذلك بالشكوى فلو نظر إلى من هو أسوأ حالا منه ممن لا يشعر ولا يدرك أو يدرك ولا يستطيع الكلام.. لرأى نفسه في خير حال. احمد الله على ما أنت فيه واطلب منه سبحانه المزيد.

بدأت السيدة الزهراء عليها السلام بقضية الحمد «الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها- ليس أنت من ذهب وراءها بل هو وَجَّهَ ابتدأك بها- وسُبُوغ آلاء أسداها، وتَمَامِ مَنِّ والها، جَمَّ عَنِ الإحصاءِ عددها، ونأى عَنِ الجُزْءِ أَمْدُهَا» هذه النعم لا حدود لها وليس أنت من حصلتها لنفسك بل هو الذي ابتدأك بها، عندما أنعم عليك بالوجود في هذه الحياة لقد خلقك ربك حين خلقك كاملا في أعضائك وفي أجهزتك الداخلية والخارجية. في وقت لم تكن شيئا مذكورا، «لم تشهدني شيئا من خلقي ولم تجعل إلي شيئا من أمري» كما يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه، الله الذي أنعم عليك وأعطاك وأعطانا فالحمد لله على جميع نعمه.

◁ تعريف الزهراء عليها السلام لله تعالى وتنزيهه عن الرؤية:

ثم بعد ذلك عطف الزهراء عليها السلام بالشهادة «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرِ مَعْقُولَهَا. الْمُنْتَعِ مِنْ الْأَبْصَارِ

رُؤْيِيَّتُهُ»، فلا يأتي أحد ويقول روي عن الرسول ﷺ في بعض الصحاح^(١) أنكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون البدر ليلة كماله وتمامه، وللأسف فإن هذه عقيدة الأكثر من المسلمين (باستثناء الشيعة والمعتزلة وقسم قليل من المحققين من الأشاعرة) وإلا فإن الأمر كما جاء في الحديث بل هو أكثر فإذا كان الحديث المذكور يثبت رؤية الناس الله (والعياذ بالله) يوم القيامة، فإن هناك من أتباع المدرسة السلفية من يقول إن رؤيته (سبحانه وتعالى عن ذلك) في المنام ممكنة^(٢) بل هي حاصلة! بل لقد صرح أحد الدعاة

(١) الحَمِيدِي، ابن أبي نصر: الجمع بين الصحيحين ١/ ٣٢٤ عن جرير بن عبد الله قال: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ. فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [سُورَةُ ق: ق]. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا».

(٢) الراجحي، عبد العزيز: شرح الاقتصاد في الاعتقاد - ٩/ ١٠: رؤية الله في المنام ثابتة، يشبها جميع الطوائف، إلا الجهمية من شدة إنكارهم للرؤية حتى أنكروا رؤية الله في المنام، قال شيخ الإسلام: إن جميع الطوائف أثبتوا رؤية الله في المنام إلا الجهمية؛ لشدة إنكارهم لرؤية الله حتى أنكروا رؤية الله في المنام.. ولكن في جواب للشيخ عبد العزيز بن باز ما لو تم التوجه له بدقة لكان ينتهي إلى إنكار هذه الرؤية المنامية فقد سئل: ما حكم من يدعي أنه قد رأى رب العزة في المنام؟ وهل كما يزعم البعض أن الإمام أحمد بن حنبل قد رأى رب العزة والجلال في المنام أكثر من مائة مرة؟ وكان [الجواب] الحمد لله

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون أنه يمكن أنه يرى الإنسان ربه في المنام، ولكن يكون ما رآه ليس هو الحقيقة؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى،

بقوله كما هو مسجل بالصوت والصورة على الانترنت بقوله «سابقا كنت مترددا في أن الله يرى أو لا يرى ولكن الموضوع الآن عندي شيء طبيعي لأنني رأيت الله عشر مرات»!!.

هنا تأتي الهداية المعصومة، حيث تقول الزهراء عليها السلام «المُتَنَعِ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَتْهُ»، استحالة عقلية فلسفية، يمتنع على الأبصار أن تراه سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة! وكذلك يمتنع «مِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ»، بل «وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ»، لاحظ التدرج في المراحل السابقة.

وما جرى على لسان الصديقة فاطمة هو المطابق للقرآن الكريم الذي يصرح بأنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)، ويقول لنبيه الكريم موسى بن عمران بعد أن طلب منه الرؤية لما سأله اليهود ذلك ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى / ١١ فليس يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن قد يرى في النوم أنه يكلمه ربه، ومهما رأى من الصور فليست هي الله جل وعلا؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، فلا شبه له ولا كفو له.

أقول: هذا الاستدراك من بعد لكن.. يعني أنه مهما رأى من الصور فليست هي الله.. وإنما صورة خلقها النائم ووهم وصل إليه، مثلما يصور حيوانا بألف رأس وبحرا من الذهب.. فهي لا تتجاوز الأوهام فكيف يقول شخص إنه رأى الله في المنام؟ إنما رأى أوهامه وخيالاته!

رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي^(١) ولن تراني نفي تأبيدي في هذه النشأة وما بعدها.

◀ تعريف الزهراء عليها السلام للنبي عليه السلام:

فالزهراء عليها السلام بعد الحديث عن معرفة الله وَعَلَّمَ ومعرفة صفاته، عطف بالنبى محمد عليه السلام لتشهد له بالنبوة والرسالة «وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلْقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِرِّ الْأَهْوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ» وهذا لا يعني أن النبى عليه السلام لم يكن يعلم بنفسه وفجأة نزل عليه جبريل وغطه ثلاث مرات وأرسله! وأن النبى كما يقولون هرول قائلاً زملوني دثروني! لا، بل اصطفاه الله بالرسالة وانتجبه قبل خلق الخلق والوجود، وهذا يفسر قول الرسول عليه السلام: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين». وكان يترأى له الملك ويسلم عليه الشجر والحجر ويعرف الآخرون فيه علامات النبوة.. أفكان يجهل نفسه في ذلك بينما عرفه الأخبار والرهبان؟.

◀ وصف الزهراء عليها السلام لحالة الأمم قبل بعثة النبى عليه السلام:

ثم تطرقت الزهراء للحديث عن النبى عليه السلام ووصف حالة الأمم قبل بعثته: «فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقَانِي أَدْيَانِهَا، عَكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِّأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِّلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا. فَأَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام ظُلْمَهَا».

◀ حديثها عن القرآن الكريم:

انتقلت الزهراء عليها السلام بالحديث عن القرآن، فلاحظوا التسلسل بالحديث عن الأصول أولاً الله تعالى، فالنبي ﷺ ثم القرآن الكريم باعتباره معجزة النبي ﷺ حيث التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

«أَنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ نُصِبُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلْغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقَّ لَكُمْ اللَّهُ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ، اللَّهُ الْمُنُورَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمَفْسَرَةُ، وَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَّةُ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَّةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُتَجَلِّيةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدِّ إِلَى النِّجَاةِ إِسْمَاعُهُ. بِهِ تُنَالُ حُجَجٌ، وَرُخْصَةُ الْمُؤْهُوبَةِ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ». فهذا العهد الذي قدمه الله تعالى للمسلمين الذين يفترض أن يكونوا منتصبين لأمره واجتناب نهيهِ في حياتهم الشخصية مخلصين أمناء في ذلك، بل وهم حملة القرآن وأحكامه إلى بقية الأمم والمبلغون، لما فيه فهو كتاب ولكنه ناطق وقرآن صادق ونور ساطع، وهو لكل الناس لا لفئة دينية خاصة تقرأه وتخبّر سائر الناس بما فيه، كما هو حال اليهود وإنما هو بصائر بينة وظواهر ألفاظه جلية فهو حجة على كل من يؤمن به إذ أنه مخاطب به وظواهر القرآن مفهومة عنده. وهذه العبارات يمكن الاستدلال بها على حجية ظواهر القرآن الكريم، وهذا الكتاب المجيد فيه حُجَجُ اللَّهِ والأدلة عليه، وَعَزَائِمُهُ وَرُخْصُهُ

وَفَضَائِلُهُ، وَبَيَانِ مَحَارِمِهِ وَتَحْذِيرَاتِهِ، وَبَيِّنَاتِهِ، وَبَرَاهِينِهِ، وَشَرَائِعِهِ
فهذه كلها يجدها الناظر في القرآن، وكل يغترف بمقدار وعائه منها.

◀ حديث الزهراء عليها السلام عن التشريع وفلسفته:

من خلال القرآن الكريم نفذت عليها السلام إلى الحديث عن
التشريع: «فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً
لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ، وَالزَّكَاةَ تَرْكِيبَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، وَالصَّيَامَ
تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ،
وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمَلَكَةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهَادَ عِزاً
لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَقِيَّةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ
مَنْهَاجاً لِلْعَدَدِ».

حيث بينت أن لكل تشريع في الإسلام حكمة وأن هذه
العبادات ليست من غير فلسفة، فثبتت وجود التشريع ولزومه مما
ينفي قول بعض المتصوفة ومن يؤمن بأفكارهم من أن الغاية هي
الإيمان والتقوى وإنما العبادة طريق إلى ذلك وجسر للوصول، فإذا
حصل المرء على الغاية فلا داعي للطريق وهو العبادة، وقد نجد
أمثالا معاصرة لهؤلاء عندما يقول إن قلبه عامر بالآيمان ولذلك
فلا داعي للصلاة! أو تقول إنها مؤمنة في قلبها فلا داعي للحجاب
لأن المهم هو الجوهر.. كل ذلك كلام باطل! فإن الله شرع الدين
وجعل العبادات الطريق الوحيد للوصول إليه، فلا يقبل منه طريق

آخر ولذلك عاقب على تركها وكان الانبياء أول المطالبين بها مع كمال إيمانهم!

نعم هذه العبادات ليست بلا غرض وإنما هي بهدف أن توصل الإنسان للتكامل كما ذكرت الزهراء ويأتي تفصيلها في صفحات قادمة.

◀ إعلموا أنني فاطمة:

وبعد أن انتهت عليها السلام من الحديث عن التشريعات الإسلامية والعبادات وأنها ذات حكمة وذات فلسفة، عادت مرة أخرى لذكر النبي وذكر الإمام علي صلوات الله عليهما حيث لا يكتمل معرفة القرآن الكريم ولا يكتمل معرفة الله وَعَلَيْكُمْ ومعرفة النبي إلا بمعرفة الولي والوصي، فهنا عطف على ذكر الإمام علي عليه السلام وقالت مخاطبة الناس «أَيُّهَا النَّاسُ! اْعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ وَالرَّسُولُ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدَاءً، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) فَإِنْ تَعَزَّوْهُ - أي تنسبوه - وَتَعْرِفُوهُ تَحِدُّوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلِنَعْمَ الْمُعْزِيُّ إِلَيْهِ وَالرَّسُولُ، فَبَلِّغِ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنَّذَارَةِ، مَائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِبًا تَبَجُّهْمَ، آخِذًا بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ، وَيَنْكُتُ

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨

هَلَامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجُمُعُ وَلَوْا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ،
وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مُحْضِهِ».

◁ حديثها عليها السلام عن جهاد علي عليه السلام بين يدي رسول الله:

بعد ذلك تشي عليها السلام على علي عليه السلام فتقول: «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَغَرَتْ فَاعِرَةً مِنْ
المُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي هَوَاتِمَا، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِاحِبَهَا بِأَخْصِهِ،
وَيُحْمَدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمَرًا نَاصِحًا، مُجِدًّا كَادِحًا، وَأَنْتُمْ فِي
رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ،
وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النَّزَالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ الْقِتَالِ».

نحن منا التضحية فمنا حمزة عليه السلام ومنا جعفر وبقية هذه
الأسرة الطيبة، وجروح أمير المؤمنين التي لا تحصى خير دليل على
ذلك.

في الطرف المقابل «توكفون الأخبار - أي تسألون ماذا حصل
ماهي الأخبار هل انتصر جيش المسلمين أو انهزم - وتنكصون عند
النزال وتفرون من القتال - كما حصل في معركة حنين حيث انهزم
بعضهم هزيمة صلعاء تذكر إلى يومنا هذا».

◁ احتجاجها على الخليفة الأول:

تنتقل الزهراء عليها السلام بعد هذا بالاحتجاج على الخليفة الأول
بالقرآن وتقول «أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟» ﴿لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا»، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَبَذَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أَذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وَقَالَ فِيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَذْ قَالَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

هكذا بدأت تتلوا الآيات على الخليفة وعلى الجهاز الحاكم وتضيق عليه وإذا قام بالرد عليها، تقول عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ، أَوْ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! - إلا إذا وصل بكم الأمر أن تخرجوني عن ملة الإسلام - أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُومَةٌ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعَمَ الْحُكْمُ اللَّهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ - فيوم القيامة هناك نتقابل ولا ينفع هناك حرق الدار أو السيف أو.. أو..، هناك فقط عدل الله وَجَّهَكَ لَيْسَ إِلَّا - وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدُمُونَ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(١) ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٢).

◀ استنهاض المهاجرين والأنصار للنصرة:

ثم عطف على الحاضرين تستنهضهم مرة أخرى: فقالت «يا معاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصَارَ الْإِسْلَامِ، مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي

(١) سورة الأنعام: آية ٦٧

(٢) سورة هود: آية ٣٩

حَقِّي؟ وَالسَّنَّةُ عَنْ ظُلَامَتِي؟ - السَّيِّئَةُ مَعْنَاهَا بَدَايَاتُ النَّوْمِ - أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي يَقُولُ: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ؟ سَرَعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَةٍ، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أَحَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأَزَاوِلُ».

وهكذا ظلت تترقع الموقف المتخاذل من الأنصار تقرعاً بعد تقرع، أقول ولعل هذا مما جعل موقف الأنصار على مدى التاريخ أنهم يشعرون بالندم وأنهم لم يقوموا بواجبهم تجاه أهل البيت عليه السلام فكانت مواقفهم بعد ذلك إجمالاً أفضل من غيرهم، فربما هذا الكلام لم يؤثر فيهم في نفس الوقت ولكنه ظل يجري في نفوس الأنصار وأبنائهم في المستقبل إلى أن غيروا مواقفهم.

ثم رجعت مرة أخرى لمناقشة الخليفة عندما جاء بحديث غير معروف عند أهل البيت عليه السلام في أن النبي لا يورث، فردت عليه بما ذكرناه سابقاً بأن النبي ﷺ لا يمكن أن يخالف كتاب الله ولا يمكن أن يصدف ويترك أحكام الله ﷻ وأن هذا انتحال منكم عليه «أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ أَعْتِلَالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ».

علاوة على أنكم ما قبلتم بالوصية يوم الغدير، فما بين الغدير والغدر سوى سبعين يوماً، فيوم الغدير كان في الثامن عشر من ذي الحجة، والغدر كان في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، أيضاً قمتم بتزوير وتحريف هذه الأحاديث، وفي هذا المقطع أيضاً

«وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهُ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ» إشارة إلى «تربصون بنا الدوائر» أي أنها مؤامرات منذ زمن كانت موجودة. وهذا انتهت الزهراء عليها السلام من خطبتها إلى هذا المدى.

الاقتباس القرآني في خطبة فاطمة الزهراء

تتناول هذه الصفحات أحد شؤون القرآن الكريم في خطبة الزهراء وهو قضية الاقتباس القرآني في خطبة هذه الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام .

وللتذكير والتأمل في كلماتها سلام الله عليه فإنها قد وصفت القرآن بأنه «كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُتَجَلِّيةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدِّ إِلَى النَّجَاةِ إِسْمَاعُهُ..» إلى أواخر كلماتها صلوات الله عليها، في هذا المعنى يستفيد العلماء عدة أمور:

◀ سلامة القرآن الكريم من التحريف

إنَّ القرآن الكريم لم يطرأ عليه تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص، هذا الأمر الذي يؤكد عليه القرآن من جهة بوعد الله له بالحفظ

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، هذا المعنى أكدته عليه كل المعصومين عليهم السلام، أن هذا القرآن هذا الكتاب مصدر هداية للبشر ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان سليماً عن التحريف زيادة ونقصية، وذلك لأن أي نوع من أنواع النقص في القرآن الكريم أو أي نوع من أنواع الزيادة فيه لا ريب أنها لن تهدي الإنسان وإنما تضله، فلو افترضنا مثلاً أن هناك آية أو آيتين أو عشر آيات أو أكثر أو أقل بانها ناقصة من القرآن الكريم فإن معنى ذلك أن الإنسان المسلم عندما يقرأ هذه السورة لن يصل إلى الهداية، ستكون هدايته ناقصة بنقص هذه الآيات.

والأمر أوضح عندما يكون فيه زيادة، فلو أن شخصاً ادعى أن القرآن فيه آيات وضعت من قبل أشخاص وعمل على طبقها هذا الإنسان فإنه يعمل على غير هُدى الله سبحانه وتعالى وأنثذ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾^(٢)، فمن جملة ما يستفاد من كلمات الصديقة الطاهرة عليها السلام، أن هذا القرآن الكريم هو عهد الله وعليها السلام، هو بقية الاستخلاف الإلهي عند الناس بعد أن كان النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يبقى بمقتضى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣)، لكن هذا العهد الإلهي الكتاب الناطق والقرآن

(١) سورة الحجر: آية ٩

(٢) سورة يونس: آية ٣٥

(٣) سورة الزمر: آية ٣٠

الصادق والنور الساطع والضياء اللامع الذي له هذه الصفات متجلية ظواهره منكشفة سرائره قائد إلى الرضوان اتباعه مؤدي إلى النجاة استماعه هذا لا يمكن إلا أن يكون كاملاً لا يتطرق إليه نقص أو زيادة.

◀ ظواهر القرآن الكريم حجة على الإنسان المسلم

وهذه النقطة من الأهمية بمكان وهي أن الظاهر القرآني حجة على الإنسان المسلم فقد أُعطي القرآن الكريم لكي يكون دستوراً له، وحتى يكون دستوراً فلا بد أن يكون مفهوماً بالنسبة إليه. لا يمكن أن تعطي دليل استعمال لجهاز مثلاً ويكون غير مفهوم لصاحبه، لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١).

هناك بحث عند علمائنا وهو هل أن ظواهر القرآن الكريم حجة للفقهاء يستطيع أن يستنبط منها الأحكام، فإذا رأى مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٢)، يقول لك لفظة اغسلوا تدل على الإلزام والوجوب فإذا غسل الوجه واجب بنص القرآن الكريم، هذا لا يتيسر إلا إذا قلنا أن ظاهر القرآن الكريم حجة وهذا ما التزم به أغلب المسلمين من مدرسة أهل البيت عليه السلام ومن المدارس الإسلامية الأخرى، ولذلك فإنهم يجعلون ظواهر القرآن من الأدلة على الحكم الشرعي.

(١) سورة القمر: آية ٢٢

(٢) سورة المائدة: آية ٦

نعم بعض أتباع أهل البيت عليه السلام من إخوتنا في المدرسة الأخبارية وهي مدرسة رديفة للمدرسة الأصولية. وفيها علماء فحول كبار بل إن أصحاب المجاميع الحديثية الكبرى هم محسوبون على هذه المدرسة.. هؤلاء قالوا نحن لا نستطيع أن نفهم القرآن الكريم، وإنما يفهمه من نزل عليهم وهم محمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين، فإذا لا بد ونحن نريد فهم القرآن الكريم أن ننظر إلى أخبار وروايات أهل البيت عليه السلام، وهذا الكلام حسب رأي علمائنا جزء منه صحيح وجزء منه غير صحيح.

الجزء الصحيح منه أنه لا شك ولا ريب أن العلم بكل القرآن والإحاطة بكل ما فيه هذا محصور في محمد وأهل بيته فلا يستطيع أحد من المسلمين كائناً من كان، علماً وفهماً، أن يقول أنا أحيط بعلم القرآن الكريم ولو ادعى ذلك يمتحن ويسقط في الامتحان إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين ورثوا هذا العلم من جدتهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا المقدار من الكلام صحيح وهو أن الإحاطة بعلم القرآن من أوله إلى آخره منحصر في أهل البيت، باقي العلماء يعلمون شيئاً كثيراً من القرآن الكريم ولكن لا يحيطون بعلم القرآن كله.

والقسم الآخر الصحيح أيضاً أن أعماق القرآن الكريم وكل بطونه المختلفة إنما يعرفها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام، أما سائر الناس بمن فيهم من العلماء المتبحرين ليسوا بهذا المقدار، هذا المقدار الصحيح من كلام إخواننا علماء المدرسة الاخبارية من الإمامية.

وأما القسم الآخر غير الصحيح فإننا نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة منه آيات محكمات هن أم الكتاب وهذه الآيات المحكمات ميسرة للناس على اختلاف منازلهم ودرجاتهم وقد أمروا أن يتدبروا فيها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٢)، هذا المقدار من الحث والتشجيع والدعوة إلى الانفتاح على القرآن يعني أن بإمكان الناس على اختلاف درجاتهم العلمية أن يتناولوا من القرآن الكريم بحسب مستوياتهم، فالفقيه يقدر على مائدة القرآن ما يشبع نهمه، وكذلك يستفيد الإنسان العامي عندما تقول له ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٣)، هذه واضحة بالنسبة له يفهم عندما تقول له ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾^(٤)، وأمثال ذلك.

فإذا تقصد الإحاطة بالقرآن الكريم من أوله إلى آخره وبأعماقه فهذا من اختصاص أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم سيدهم وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان المقصود أننا لا نفهم شيئاً من القرآن الكريم فهذا يخالفه الوجدان.

بل نجد مفسرين من مختلف المدارس الفقهية، يفسرون القرآن الكريم وفي كثير من الآيات يكون تفسيرهم صائباً، وذلك ان من

(١) سورة محمد: آية ٢٤

(٢) سورة القمر: آية ٢٢

(٣) سورة النحل: آية ٩٠

(٤) سورة الإسراء: آية ٣٢

يعرف اللغة العربية عندما يقرأ القرآن لا يقرأ ألغازاً وإنما يقرأ آيات يعرف معانيها بحسب تعقله وقدرته الذهنية، فإذا ظواهر القرآن الكريم بهذا المعنى حجة لذلك.

قالت سيدتنا الزهراء عليها السلام بعد ما وصفت القرآن الكريم كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ تقول بينة بصائره متجلية ظواهره، هذه الظواهر والبصائر واضحة للناس يستطيع الإنسان أن يصل إليها.

◀ بلاغة الزهراء عليها السلام في طريقة الاقتباس من القرآن الكريم:

قسم آخر من أحاديث السيدة الزهراء عليها السلام حول القرآن في هذه الخطبة ما يرتبط بالاقتباس القرآني وهذا من آيات البلاغة العجيبة في لسان هذه المرأة الجليلة صلوات الله وسلامه عليها، الاقتباس في اللغة العربية من فنون الشعر والنثر وآيات البلاغة، أن يكون الخطيب أو الشاعر قادراً على اقتباس كلام لغيره وتضمينه في كلام هذا يسمى اقتباساً.

والكلمة جاءت من القبس في قضية نبينا موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام قال ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(١)، عندما خرج مع زوجته بعد أن وفي لنبي الله شعيب بما اتفقا عليه من الأجرة ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ^(١)، نبي الله موسى عليه السلام مع أن الاتفاق كان على ثمان سنوات من العمل لكن أتمها عشر سنوات.

وإذا كان لنا أن نأخذ من درس تربوي من هذه الآية، فإننا نقول بأن المطلوب من الإنسان أن يتم للطرف الآخر ما توافقا عليه، على خلاف ما قد يوجد عند البعض، حيث يكون لديه سائق يعمل عنده بألف ريال مثلاً، فيحاسبه حين الراتب على النقيض والقطمير. لأنك فعلت كذا ينقص من راتبك كذا، ولأنك تركت كذا يخضم عليك كذا. غير أن نبي الله موسى يجعل تماماً ووفاءً فوق الاتفاق عشرين في المائة تقريباً أصل الاتفاق ثمان سنوات عمل مقابل أن أتزوج ابنتك هذا هو الوفاء، ويعلمنا القرآن من خلال ذلك أنه عندما تريد أن تعطي فأوف الكيل، ولا تكن من المطففين ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ^(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ^(٣)﴾.

نبي الله موسى خرج في ليلة برد شاتية ومعه زوجته وأغنامه فلاحته له نار من مكان بعيد في الصحراء قال ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ فذهب موسى عليه السلام ليقبس ناراً أي يأخذ قبساً، ومن هنا أخذ هذا المصطلح في اللغة العربية. فحينما يتكلم إنسان ويستشهد بكلام شاعر أفضل منه، يقال اقتبس منه وهكذا متحدث يتحدث فيقتبس من كلام الله ورسوله ﷺ

(١) سورة القصص: آية ٢٧

(٢) سورة المطففين: آية ٢-٣

أو من كلام رسول الله ﷺ ليقوي المطلب.

◀ ثلاثة عشر اقتباساً بديعاً للزهراء عليها السلام من القرآن الكريم:

قامت الزهراء عليها السلام بالاقتباس من آيات القرآن الكريم في عملٍ بلاغيٍّ لا نظير له، لأن الاقتباس درجات؛ أعلاها ما إذا كان الكلام المأخوذ من القرآن الكريم يجري مع كلام المتكلم، بحيث أنك للوهلة الأولى تظنه من عبارة المتكلم.

نقول للوهلة الأولى وإلا فإن بلاغة القرآن، وإعجاز كلماته وتراكيبه لا يصل إليها كائن من البشر بمن فيهم الأنبياء والأوصياء، بل ما لديهم من بلاغة هو ظلال لذلك الأصل. وفرع من تلك الشجرة.

سوف نلاحظ أن مساحة الاقتباس التي مرت عليها سيدة النساء واسعة حيث تعددت اقتباساتها على اثنتي عشرة سورة، فقد اقتبست من آل عمران ومن فاطر والتوبة والمائدة والكهف وإبراهيم والشعراء وسبأ وهود والهمزة، واختصت التوبة بأكثر من اقتباس ولا غرابة فإن سورة التوبة من اسمائها الفاضحة.

ونشير إلى أن هناك اختلافاً بين الاقتباس من القرآن والاستدلال بآياته، فبالرغم من اجتماع هذين الأمرين في خطبة الزهراء عليها السلام إلا أن بينهما فرقاً، فإن الاقتباس كما ذكرنا هو جانب بلاغي وأدبي يجعل المقتبس النص المقتبس وكأنه جزء من كلامه، ويوصله به حتى يغدو أشبه بالنسيج الواحد، كما ستأتي أمثله. وأما الاستدلال فهو أن يأتي المتحدث بنص يستفيد منه في الاستدلال

ويتكئ عليه في إثبات مطلبه من غير التزام بأن يتسانخ في اللفظ مع لفظ المستدل. كاستدلال الزهراء بآيات الميراث بشكل عام أو في خصوص وراثة الانبياء.

بعد كل هذا لا بد أن نشير إلى أن كل ما سنأتي به وهو جزء بسيط من جهات البلاغة الفاطمية كان في ظرف معاكس لوضع السيدة الزهراء عليها السلام فإنها في ذلك الوقت لتوها قد فقدت أباهها رسول الله ومن يتلى بمصيبة بهذا النحو يتأثر عادة في تركيز كلامه وبديع نظامه، كما أنها تعيش أزمة الاعتداء على منصب وموقع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وإبعاده عن الخلافة وقيادة الناس، وهي إلى ذلك تخطب في المسجد بين الرجال وإن كانت هناك ملاءة قد جعلت بينها وبينهم.

ولنعود إلى أصل الموضوع نقول: وجد في خطبة الزهراء عليها السلام اثنا عشر اقتباساً من القرآن الكريم بعضه آية أو جزء من آية وربط بنحو تظنه كلاماً واحداً.

ولعل هذا هو الذي خفي على البعض عندما زعم بعضهم بأن هناك خطأ في دعاء أبي حمزة الثمالي، وببالغ بعض المخالفين عندما قال إما أن يكون هذا الدعاء غير صحيح الانتساب للسجاد أو أنه لم يكن حافظاً للقرآن! قالوا إن هناك آية في الدعاء ﴿وَأَسْأَلُوا الله من فضله إن الله كان [بكم رحيماً]﴾ ولا توجد آية في القرآن هكذا إنما الآية الموجودة ﴿وَأَسْأَلُوا الله من فضله﴾ إن الله كان بكل

شَيْءٍ عَلِيمًا^(١) والجواب: أنهم لو كانوا يعرفون معنى الاقتباس في أساليب الخطاب باللغة العربية ما كان لهم أن يعترضوا بهذا الاعتراض!.

وتفصيل الجواب:

أن هاتين آيتان، ولشدة المناسبة بينهما ألصقهما في الدعاء، وفي الكتابة يتبين ذلك بوضوح عندما يقوم الكاتب بفتح قوس للآية الأولى ثم يغلقه ويفتح قوسا للآية الأخرى فهنا يتبين الأمر بوضوح لكن الأمر ليس كذلك عندما يكون الدعاء بصورة القراءة، فلا يمكن للداعي أن يقول مثلا: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (نغلق القوس) ثم يقول (نفتح قوسا جديدا) ويقرأ الآية الثانية! ولكن من يعرف قانون الاقتباس وشدة المناسبة بين الفقرتين يعرف لماذا ألصقهما الداعي أو المتحدث!.

الآية في سورة النساء ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ^(٢) وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ^(٣) إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٤)﴾، وفي آية أخرى قبلها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا^(٥)﴾، وذيل الآية الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٦)﴾ لا يتناسب مع مسار

(١) سورة النساء: آية ٣٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) النساء: ٢٩

الدعاء، الدعاء يحتاج إلى ماذا؟ يحتاج إلى فضل ورحمة لذلك جاء بذيل الآية السابقة على طريقة الاعتباس والالصاق، فاستفاد من الآية الأولى من مقطعها الأول ومن الآية الثانية من مقطعها الثاني وسيأتي أمثاله في خطبة الزهراء عليها السلام.

هاتان فقرتان من آيتين ولكن سياق الحديث جعلهما هكذا لا أن هذه آية واحدة، ولو أن الإمام زين العابدين عليه السلام جاء بالآية ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، لا ينسجم مع حالة الاسترحام والاستعطاف في الدعاء الموجود.

◀ الاعتباس الأول:

«وَحَرَّمَ اللَّهُ الشُّرْكَ إِخْلَاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾»^(١).

بعد هذه المقدمة القصيرة، فلنر الآن كيف اقتبست فاطمة الزهراء عليها السلام العديد من الآيات المباركات من ذلك فذكرت أول شيء «وَحَرَّمَ اللَّهُ الشُّرْكَ إِخْلَاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»، فإن مقتضى الإخلاص لله بالربوبية امران: أن تكون كيفية العمل بما يؤدي فيه حق الله تعالى، فالتقوى ينبغي أن تكون حق تقاته، والجهاد ينبغي أن يكون حق جهاده، وهكذا والآخر أن يستمر المؤمن على ذلك فلا يكفي أن يقوم بهذا

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢

الأمر لمرة واحدة أو في شهر واحد وإنما أن يستمر عليه حتى يضمن أن لا يأتيه الموت إلا وهو مسلم.

◀ الاقتباس الثاني:

«وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾»^(١).

ويعلم القارئ الكريم أنه تم تقديم لفظ الجلالة (الله) مع أن اللفظ في موضع المفعول به وهو مؤخر لاقتضاء الحصر والقصر ذلك، فلو قالت الآية المباركة إنما يخشى العلماء الله لما أفاد نفس المعنى المطلوب فيه القصر، فغاية ما تثبت هذه الجملة أن العلماء يخشون الله، لكن هل يخشاه غيرهم أو لا فإن الجملة هذه لا تتعرض له، ولا تؤدي نفس المعنى، مع أن المطلوب في الآية المباركة هو القول أن خشية الله فرع عن العلم به فمن لا يكون عالماً بالله تعالى لا يخشاه ولا يخافه، وبمقدار ما يعلم به يخشى ويخاف ويتقي.

وفيما يرتبط بالخطبة فإن الصديقة الطاهرة فاطمة قد طوت مقدمة هي أنكم بتبليغ النبي الرسالة وجهاد الوصي في سبيلها قد أصبحتم عالمين بربكم عارفين بواجباته عليكم وبنواحيه لكم، فيقتضي هذا أن تستجيئوا بالعمل وأن تخشوه حق الخشية لأنه إنما يخشى الله العلماء به والعارفون بعظمته والواعون بواجبهم تجاهه.

(١) سورة فاطر: آية ٢٨

◀ الاقتباس الثالث:

«اعلموا أنّي فاطمة، وأبي محمد عليه السلام، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

في تعريفها صلوات الله عليها لنفسها، وتوجيهها لفعالها وخطبتها ومحتوى تلك الخطبة، فهي تخبرهم أنها فاطمة بنت النبي، حتى يستذكر المهاجرون والأنصار أحاديث رسول الله صلوات الله وآله في حقها، والفرض أنهم لا يزالون يتذكرونها، وحتى لا يتوهم بعض الحاضرين أنّ ذلك أنها لا ينبغي أن تخرج أو تخطب، بل حتى لا يتخرص بعض أتباع مدرسة الخلفاء في المستقبل في تخطئتها وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها فقد استبقت كل هذا وقالت: إنها تقول ذلك عوداً وبدءاً، وأن ما تقوم به من الاحتجاج عليهم ليس عملاً خاطئاً وأن كلامها ليس غلطاً.

في هذه الحالة أكملت كلامها بآية مباركة وقد جاءت شديدة المناسبة حتى يتصور السامع لأول مرة أنها جزء من الكلام ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

◀ الاقتباس الرابع:

«وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا آرِثَ لَنَا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»^(١).

تذكر عليه السلام الحاضرين بأن هناك منهجين: جاهليا يمنع على المرأة أن ترث من أبيها لمبرات خاطئة وكانوا يسرون عليه قبل أن يأتي الإسلام فيقول قرآنه ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٢) والمنهج الآخر هو ما جاء به القرآن، والقضية ليست قضية اسماء وشعارات وإنما هو التزام ببرامج فمن يلتزم بالمنهج الأول في حياته فهو جاهلي وإن قال بسم الله، والله أكبر!

وهذا هو ما أشارت إليه الصديقة بأنكم «تَزْعُمُونَ أَنْ لَا آرِثَ لَنَا» ومن يعتقد هكذا ويطبقه عمليا فهو صاحب منهج جاهلي، بعدما رغب عن المنهج الالهي وابتغى المنهج الجاهلي. وقد استعانت في فكرتها تلك بالآية القرآنية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

◀ الاقتباس الخامس:

«إِبْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ

(١) سورة المائدة: آية ٥٠

(٢) النساء: ٧

لَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^(١).

في هذا الموضع تقول «ابتداراً زعمتم خوف الفتنة» يعني بادرتم وذهبتن سرعاً خلف السقيفة والبيعة، فلم تراعوا وصية النبي ولا حتى انتظار دفن جنازته، بحجة ألا تكون هناك فتنة! لكن الحقيقة هي أنكم سقطتم في الفتنة، وما خفتم من وقوع الناس فيها نظرياً واحتمالاً وقعتن فيه وسقطتم في مستنقعها عملياً وواقعاً! وبينما شخصت الواقع الخارجي من أنهم وهي تخاطب أهل السلطة الحاضرين بقولها «ابتداراً زعمتم خوف الفتنة» لكن الواقع هو ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، وهذا القسم آية قرآنية من سورة التوبة ولكن الناظر إليها يرى لشدة المناسبة والسلاسة في الانتقال كأن الجميع جملة واحدة.

◀ الاعتباس السادس والسابع:

«وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟» ﴿يَسْأَلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢) ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة التوبة: آية ٤٩

(٢) سورة الكهف: آية ٥٠

(٣) سورة آل عمران: آية ٨٥

وهنا الاقتباس في أعلى درجاته بحيث بعد أن مهدت بوصف القرآن بأوصاف عالية، قرعت أهل السلطة وأنصارهم بأنهم قد خلفوه وراء ظهورهم ولم يعملوا به لا في اتباع وصية رسول الله بتأمير علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أمر القرآن باتباعها بقوله ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) ولا في توريث فاطمة من أبيها وقد صرح القرآن به. ثم تخاطبهم حيث كانوا بهذا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم، «أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون»؟ وهنا تقتبس من القرآن شعلة ضياء من موردين وسورتين، فتأتي بآية من سورة الكهف ﴿يَنْسِلْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ وترددها مباشرة بأخرى من سورة آل عمران ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) الحشر: ٧/ وقد يقول بعضهم بأن الآية واردة في سياق الحديث عن الغنائم والفيء والعطايا وأن ما يعطيهم الرسول فليأخذوه وما ينهاهم عنه فلينتهوا، وفي الرد على هذا يقال أن المورد لا يخصص الوارد كما اتفق عليه العلماء وإلا لكانت أكثر الآيات الواردة في موارد محددة ومعينة لا ينبغي العمل بها في غير تلك الموارد، وهذا يعني تجميد أحكام القرآن في عصرها الذي نزلت فيه فلا يكون شريعة مستمرة ليوم القيامة. هذا بالإضافة إلى أن قياس الأولوية حاكم هنا فإذا كان الأمر بالنسبة للقضايا المالية وهي لا تساوي شيئاً عند الخالق ولا عند الرسول، وكان يجب الأخذ بها والانتهاؤها عما نهى عنها فمن باب أولى أن يكون الأمر كذلك في أمور الدين والعقيدة والطريق إلى الآخرة. ولا يمكن أن نتصور أن الأمر جزمي وثابت في أخذ خمسة دراهم والانتهاؤها عن مثلها في الأمر والنهي لكنه في أحكام الصلاة يكون الأمر غير واجب أو في ترك التصدي للقيادة والإمامة من غير استحقاق يكون النهي هنا غير لازم.

وهنا نعيد إلى الأذهان ما ذكرناه في ذيل الاقتباس الأول من أن بعضهم لما لم يطلع على هذا الفن البلاغي نسب إلى الدعاء أن فيه آية غير صحيحة، فلا ينبغي أن يتصدى أحد هنا ليقول إن الآية الثانية ليست تكملة للأولى وأنها في سورتين مختلفتين!

◀ الاقتباس الثامن:

في قولها عليها السلام «فأنى جرّتم بعد البيان، وأسرّتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسرّتم بعد الإيمان، ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ خَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾»^(١).

إنها عليها السلام بعد أن خاطبت الأنصار بالقول: إيها بني قيلة.. وذكرت جهادهم في سبيل الدين وتضحيتهم في نصرة رسول الله ودعوته ومعاضدتهم لبني هاشم في رفع راية الدين، تتساءل مستنكرة ما الذي حدث بكم؟ ولماذا نكصتم بعد إقدامكم السابق، وتحيرتم بعدما اتضحت لكم الرؤية، وأن هناك خطين في الأمة، وكان ينبغي عليكم مواجهة التيار القرشي الذي كان على خط العداء معكم ومع رسول الله وهاهم الآن يبعدون وصيه ويحرمون ابنته! هل تخشون منهم؟ والحال أنكم هزتموهم في ما سبق من المعارك في تأسيس الدين؟ وأيضا فإن الله هو الأحق بالخشية لا هؤلاء!

(١) سورة التوبة: آية ١٣

◀ الاقتباس التاسع:

ولا تزال الزهراء عليها السلام في صدد تقريع وتوبيخ الفئة الأكبر وهي الأنصار فتصفهم بأنهم قد أخلدوا إلى الراحة وتراجعوا عن العزيمة والنصرة فكأنهم قد أخرجوا ما ابتلعوه وتقيأوا ما تسوغوه لكن هذا لا يؤثر في المؤمنين بقضيتهم لأن الله معهم والله غني عن من يخذل دينه فيها هي تقول: «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمجبجتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، ف﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ حَمِيْدٌ﴾»^(١).

◀ الاقتباس العاشر إلى الثالث عشر:

وحيث وصلت إلى نهاية خطبتها أخبرتهم بما صدقته الوقائع من أنها لا تتوقع منهم شيئاً ذابال ولكنها تقدمه الحجة حتى لا يتعلل أحد بأنه لم يعلم بالقضية أو لم يحط بها خُبراً، وهي إلى ذلك فيضة النفس ونفثة الغيظ لا لأجل موضوع مادي وشخصي وإنما للغضب مما وصلت إليه حال المسلمين بعد كل تلك الجهود التي بذلت! «ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد،

موصولة بـ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ ٦ ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ﴾ (١)، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢) وأنا ابنة نذير ﴿لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٣)، فاعملوا ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ١٦١ ﴿وَأَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (٤).

(١) الهمزة: ٧

(٢) الشعراء: ٢٢٧

(٣) سبأ: ٤٦

(٤) هود: ١٢١-١٢٢

التوحيد في خطبة فاطمة الزهراء

حين ابتدأت بالحديث عن التوحيد قالت :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعِمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُلْهِمَ، وَالشَّاءُ بِمَا قَدَّمَ،
مِنْ عَمُومِ نِعَمِ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحِ آلَاءِ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مَنَنِ وَالِاهَا، جَمَّ
عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدْدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجُزْأِ أَمْدُهَا، وَتَفَاوَتْ عَنِ الْإِذْرَاكِ
أَبْدُهَا، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلَايِقِ
بِاجْزَائِهَا، وَتَنَى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ
مَوْضُوعَهَا، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرِ مَعْقُوقَهَا. الْمُتَمَنِّعُ مِنَ الْإِبْصَارِ رُؤْيَاهُ، وَمَنْ
الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمَنْ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ. ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ
قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ احْتِدَاءٍ أَمْثَلُهُ امْتَثَلَهَا، كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا
بِمَشِيئَتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا
تَثْبِيثًا لِحُكْمَتِهِ، وَتَنْبِيْهًا عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِرَبِّيَّتِهِ،
وِإِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحَيَاشَةً مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ». صدقت

مولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

◀ الابتداء بالحمد ميزة الخطاب الإسلامي:

تبدأ السيدة الصديقة عليها السلام أولاً بالحمد لله، الحمد لله على ما أنعم.. هذا الابتداء في الخطاب هو أسلوب إسلامي متميز لم يُعهد هذا الأسلوب في الديانات الأخرى السابقة أو في الخطابات بهذا التركيز والكثافة، لكن في الحالة الإسلامية نحن نجد الابتداء بالحمد لله حاضراً في القرآن الكريم فهناك عدة سور تبتدئ بالحمد لله أولها وأهمها سورة الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ بدء الفاتحة التي هي أم الكتاب وخلاصة القرآن كما يقول المفسرون بدؤها ومطلعها بالحمد، فكان بداية الكتاب الكريم بداية القرآن العظيم هي بداية حمدية لماذا هذا التعبير والاستخدام بالحمد؟ وماذا يعني؟.

حضور البداية بالحمد لله وَعَلَيْهِ السَّلَام في الأدعية حضوراً كبيراً، راجعوا الصحيفة السجادية وغيرها من الكتب المخصصة للأدعية سوف تجدون الأدعية التي تبدأ بالحمد أدعية كثيرة منها دعاء عظيم للإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة بلغنا الله وإياكم موقف عرفات وحج بيت الله الحرام، يبدأ بـ «الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع» وهكذا، حينما يخطب أمير المؤمنين عليه السلام نجد الحمد أيضاً حاضراً في خطبه «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون».

فالبداية الحمدية التي هي أسلوب إسلامي متميز نجدها في

أعظم النصوص وهو القرآن الكريم وهو خطاب الله للإنسان، كما نجدتها في الأدعية التي هي خطاب الإنسان لله تعالى، أيضاً جملة وافرة من الأدعية تبدأ بالحمد وخطب المعصومين عليهم السلام كما ذكرنا، بل وغيرهم ممن تأثر بمنهجهم يبدؤون بالحمد، فالسيدة فاطمة تستخدم هذا الأسلوب «الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم - من ماذا؟ - من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء اسداها وتمام منن والاهها».

عموم النعم قد تكون ناظرة إلى عموم المنعم عليهم، وهذا من فضل الله ﷻ إذ لم يجعل نعمته محصورة في طائفيه وعابديه، وإنما فضل الله كان أوسع من ذلك وعطاؤه أعظم، فجعل نعمته عامة لكل من خلق حتى ذلك العاصي بل الملحد، وقد تكون ناظرة إلى نفس النعم، إنها نعم عامة لا تختص بجهة دون أخرى، ليست في جانب دون جانب.

وأيضاً «سبوغ آلاء» السبوغ هو الاتساع والانتشار يقال درع سابعة يعني درع واسع منتشر غير ضيق، كذلك آلاء الله سبحانه وتعالى آلاء منتشرة، يعني انا وأنت حياتنا قد تقوم بالماء وشيء من الرز والخبز وشيء من اللحم، لكن تعال وأنظر إلى نعم الله المختلفة، تجد في الطعام الفواكه التي خلقت بأشكال مختلفة وأطعمة متعددة وألوان كثيرة، مع أن الإنسان قد لا يحتاجها كلها حاجة أساسية بمعنى انه لو انقطعت عنه لا تقوم حياته، ولكن هذا من انتشار النعمة الإلهية وسبوغها في كل شيء فالحمد لله رب العالمين، ﴿وَإِنْ

تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴿١﴾.

«وتمام ممن والاه» نعمة الله حين تأتي إليك تأتي تامة فهي في منتهى الكمال ولا يوجد من ورائها غاية، الحلقة التي انت عليها أيها الإنسان هي ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ جمالا وكمالا واداء، ولو اجتمع البشر لكي يشكلوا آلة تخدم الإنسان بغير هذا الشكل فيها يجتمع جمال الشكل وكمال الاداء والتكامل مع سائر الأجهزة، لا يستطيعون أبداً، مع أن الله تعالى قادر أن يجعله يؤدي الغرض لكن من غير جمال أو تناسق كأن يجعل أنفا للتنفس لكن ليس بالضرورة أن يكون جميلا رائعا يتغنى به، أو يخلق وسيلة إبصار لكن لا بهذا النحو الجميل والكمال.. إلا أن الله سبحانه جعل نعمه تامة بحيث لا استطاع القول بأن يا ليت كان هكذا أو على ذلك النحو المختلف! ولك للمقارنة أنك حين تذهب إلى منزل في غاية الجمال، يبقى في ذهنك اقتراح أن لو كان هكذا أو بذلك الشكل أو.. لكان أفضل. لكن في نعم الله سبحانه وتعالى جعل هذا الأنف نقطة جمال وكمال في نفس الوقت، فالنعم هنا تامة لا يوجد من ورائها قول يا ليت كان بهذا الشكل، فمثلاً أنت حينما تذهب إلى بيت وتقول هذا البيت جميل لكن لو كان الترتيب بهذا الشكل لكان أجمل، لكن بالنسبة إلى نعم الله ﷻ لا يوجد لمثل هذا الكلام أبداً.

لم أكن أريد أن اطيل في المقدمة لتعداد السيدة الزهراء عليها السلام لهذه النعم بأشكالها المختلفة وبتعبيرات متعددة كل تعبير يفيد معنى غير التعبير السابق وتحمل الإنسان مسؤولية هذه النعم ثم تأتي في قضية معرفة الله وَجَعَلَهُ.

لاحظ أن السيدة الزهراء جاءت تناظر في موضوع الخلافة والإمامة ابتداءً من التعريف بالله وَجَعَلَهُ ثم التعريف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم التعريف بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ونشأة التشيع ثم تأتي إلى البحث الخاص في الإمامة والميراث.

◀ التعريف بالله تعالى: أشهد أن لا إله إلا الله:

«أشهد أن لا إله إلا الله؛ كلمة» تقرأ كلمة بنحوين؛ بالضم؛ وبالفتح «جعل الإخلاص تأويلها وضمّن القلوب موصولها وأنار في التفكير معقولها» أشهد أن لا إله إلا الله: لها جهتان؛ جهة ظاهرية هي هذه الكلمة التي إذا قالها الإنسان وأتبعها بالشهادة لبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يترتب على هذه الكلمة مجموعة من الآثار، منها أن هذا الإنسان يكون مسلماً ويكون ماله حراماً محترماً وعرضه كذلك، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولكن هناك جانباً أعمق لها، فهذا يحتاج إلى التأويل والغوص في هذه الكلمة وينتهي إلى تخليصها من الشوائب من شوائب المعرفة الخاطئة لله وَجَعَلَهُ، إذا أردت أن تعرف الله معرفة عميقة تحتاج إلى أن تجرد هذه المعرفة من الشوائب، كيف يعرف اليهود ربهم بشكل، ويعرف بعض المسلمين ربهم بشكل

آخر؟ كما سيأتي؟ وكيف يعرف ويُعرف أهل البيت عليهم السلام ربهم؟ فلا بد أن تكون هذه المعرفة خالصة من الشوائب والمعارف غير الصحيحة.

إن اخلاص العبادة لله هي فرع الاعتقاد بآلا إله إلا الله، والاعتقاد بأنه لا مؤثر حقيقة في الكون إلا هو سبحانه وبأنه لا حول ولا قوة إلا به. وهذا الاعتقاد إذا كان عميقاً وحقيقياً فإن المعتقد به سوف لا يؤمن بأن قدره ورزقه بيد فلان فيتوسل إليه وبه ما لا يصنع مع خالقه، ويركض وراءه طيلة حياته ما لا يمارسه مع ربه! مع فقدان الاخلاص وإفراد الله بالعبودية والتوجه لا ينفع كثيراً أن يكرر الشخص قول أشهد أن لا إله إلا الله.. نعم يترتب على مثل هذا القول بعض الآثار الظاهرية التي ذكرناها من تعنون الشخص بعنوان الإسلام، ولكن آثارها الحقيقية لا تحصل إلا بممارستها بصدق والايان بها بعمق. جعل الإخلاص أولياً لها وعمقاً فيها، و«ضمن القلوب موصولها»، بالرغم من أن المعرفة الكاملة والشاملة بالله سبحانه متعسرة على الإنسان، أن المعرفة الفطرية بالله موجودة في داخل قلب كل إنسان، قد ضمن الله سبحانه وتعالى هذه المعرفة للوب الناس وفطرتهم. وبهذا المقدار يمكن الاحتجاج عليهم فلا يستطيع إنسان أن يقول إن إدراك ومعرفة الله حق المعرفة لا تستطاع فإذن لا يلزم الايمان به لعدم استطاعة ذلك.. كلا بل يقال المعرفة الفطرية والايان القلبي موجود في أعماق الإنسان وهو كافٍ.

نعم زود الله سبحانه الإنسان بما يستطيع معه أن يصل إلى حقائق في معرفة الله سبحانه بالتفكر وإعمال العقل «أنار في التفكير معقولها» لذلك إذا أراد أحد أن يعرف ربه ينبغي أن يعمل عقله بمقاييسه.

«الممتنع من الابصار رؤيته ومن الألسن صفته ومن الأوهام كيفيته» هي مراحل ثلاث تتحدث عنها الزهراء عليها السلام:

- (١) أن ربنا سبحانه وتعالى يمتنع على بصر كل ذي بصر أن يراه في الدنيا وفي الآخرة إذ لا تدركه الابصار.
- (٢) أنه يمتنع أن يحيط به وصف الواصفين.
- (٣) أنه يمتنع على التصور والتخيل.

لماذا كان هذا الامتناع؟ لأننا لو طبقنا ما دعت الزهراء إليه من «التفكر في معقولها» سيقول التفكر لنا إن هناك شروطا يفرضها العقل لرؤية أي شيء بالبصر: من تلك الشروط أن يكون في جهتك وانت في جهته، فلو فرضنا أنك أردت أن ترى الجدار الذي يكون في خلفك فإنك لا تستطيع وهذا واضح فأنت لا تبصره إذ ليس هو في جهتك.

وهذا لا يمكن تحقيقه بالنسبة لرؤية الله بالبصر، وذلك لأنه الشيء الذي يراد النظر إليه وإبصاره لا بد أن يكون في جهة، والله لا يكون في جهة دون أخرى! بل يلزم من ذلك أن يتحيز الله ويتحدد (سبحانه وتعالى عن ذلك).

◀ استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة:

فيما ذهب بعض الفرق الإسلامية إلى أن الله سبحانه يراه المؤمنون في يوم القيامة عياناً^(١)! ويرونه في هذه الدنيا في المنام تؤكد الإمامية استحالة ذلك في الدنيا والآخرة، حقيقة أو في عالم الرؤيا، وتتمسك بما جاء في القرآن ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) وقوله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٣) وقد تكاثرت الاحاديث عن المعصومين في امتناع هذا الأمر، سواء كان على الانبياء العظام أو غيرهم!

كذلك فإنه يمتنع وصف الخالق بحق صفته، وتامها مهما أوتي من البلاغة والفصاحة، وجهة ذلك واضحة؛ فإن الوصف التام هو نوع إحاطة والاحاطة به تستلزم المحدودية، والله سبحانه غير محدود ولعله إلى مثل هذا تكون إشارة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود» وكذلك يمتنع على

(١) قد نقلنا فيما سبق بعض الروايات التي يستندون عليها في ذلك.

(٢) الأنعام: ١٠٣

(٣) الأعراف: ١٤٣ وهذا الطلب لم يكن من نبي الله موسى وإنما كان بتعلل اليهود المكذبين له، وأنه إن كان صادقاً في أنه يوحى إليه ف﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وبحسب ما ورد في الروايات فإن نبي الله موسى استكثر هذا الطلب وعده جرأة وتجاوزاً، فأوحى إليه ربه أن يسأله ما طلبوا فلن يحاسبه بسؤالهم، وذلك لكي يثبت هذا المعنى (لن تراني) ويردّفه بحادثة الصاعقة حتى يبقى وقعه في الأذهان وأن ذلك من الأمور الممتنعة والمستحيلة.

الإنسان صفته لجهة أخرى وهي انه لكي تصف شيئاً فلا بد من رؤيته او على الاقل تصوره «والاحاطة به ذهنياً» فلو أردت أن تصف نخلة فإما أن تراها ثم تأتي باوصافها أو على الأقل يكون لديك تصور عنها وانها مما ذا تتركب فتصفها بناء على هذا التصور الذهني الموجود لديك عنها.

فإذا كانت رؤية البشر لله ممتنعة على ابصارهم.. فكيف يتم وصفه؟! وهكذا إذا لم يمكن (تصور) الله فكيف يمكن وصفه؟ وذلك أن ما يتصوره الإنسان ومنه ما يزعم بعضهم أنه رأى ربه في المنام لا يرتبط بالله تعالى، فهذه الصورة مخلوقة للإنسان بينما الله هو الخالق.

وهذا ما تشير له الفقرة الثالثة من كلامها عليها السلام «الممتنع من الأوهام كيفيته». وقد يؤيد هذا الكلام ما نقله في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله «كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم.. ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبائنين فان ذلك كماها ويتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما»^(١).

وبهذه الكلمات فالزهراء عليها السلام تنفي إمكانية الرؤية العيانية لله تعالى في الدنيا أو الآخرة، يقظة أو مناما، بل تنفي كل نوع من أنواع

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٦٦ / ٢٩٥ / ولم أجده في مصدر من المصادر الحديثية الأساسية.

الاحاطة اللفظية بالتوصيف أو الوهمية بتشكيل الصور.

وبالتالي فإن ما جاء في كتب بعض المسلمين من أن الله يُرى يوم القيامة وأنه يكشف عن ساقه! ليتعرف عليه المؤمنون، ولا أعلم لماذا الساق فهل رأيت أحدا يُعرف من ساقه؟ وأنهم عندما ينكرونه يكشف عنها فيخرون سجدا.. إلى آخر ما قيل^(١)، لا يمكن قبوله مع تصريح سيدة النساء بخلافه، والملفت للنظر أن أحدا من الحاضرين الذين خطبت فيهم وهم جمهور المهاجرين والأنصار لم يعترض عليها في ذلك!.

وهذا النمط من الحديث والفكر هو أحد الأدلة التي تثبت صحة انتساب هذه الخطبة للسيدة فاطمة وإلا فمن يستطيع أن يتكلم بهذا النحو من الدقة والعمق؟.

(١) الألباني، ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ١٢٦/٢: أنهم سألوا رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا ﷻ يوم القيامة؟ قال: «هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم لا تضامون في رؤية أحدهما. فإذا كان يوم القيامة نودي ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد شيئا إلا تبعه، حتى لا يبقى إلا المؤمنون، فيأتيهم الله ﷻ» فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا. فيقول: «هل بينكم وبينه آية؟» فيقولون: نعم. «يكشف عن ساق»، فلا يبقى أحد ممن كان يعبد الله ﷻ إلا خر له ساجدا». أقول: فيه ما سبق ذكره من استحالة الرؤية وأنه ماذا يعني أن تكون علامة الله التي يعرفها عباده هي ساقه؟ فمتى رأوها في السابق حتى إذا رأوها في القيامة يميزونها؟ وكيف يأتيهم الله؟ هل يكون في مكان فيخلو منه سائر الأمكنة؟

◀ ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وصورها بلا اعتداء أمثلة إمتثلها:

ثم تقول ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وقد ورد هذا التعبير في كلام أمير المؤمنين^(١) والإمام الرضا عليه السلام، فلم يكن هناك شيء يحتاجه ربنا ليخلق منه الأشياء وإلا لكان ذلك الشيء قديماً مع الخالق!، لاحظوا أيها الأحبة أن صنع الإنسان رهين ثلاثة أمور:

الأول: الغاية والسبب.

الثاني: المادة.

الثالث: المثال.

فلنفترض أنك تريد أن تبني بيتاً فالأمر الأول: تحتاج إلى سبب، لماذا تريد أن تبني هذا البيت؟ تريده لتسكن فيه، الأمر الثاني: المادة وهي المواد اللازمة للبناء، الأمر الثالث: الحاجة للمثال أو نموذج للبناء.

الله سبحانه وتعالى حين ابتدع الخلق لم يحتاج لهذه الأمور لابتداء الخلق فهو لا ينتظر فائدة من الخلق ولا يحتاج إلى مادة يخلق بها الخلق ولا يحتاج إلى مثال، هذا ما تعنيه الزهراء عليها السلام بهذه الأسطر ابتدع الأشياء، ابتدع: أنشأ من غير سابقة، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها فلا يحتاج الله إلى شيء ليخلق شيئاً آخر، إذ الاحتياج نقص وعجز ينزه عنه الله تعالى.

(١) الصدوق ابن بابويه، التوحيد، ص ٤١: الحمد لله الواحد الأحد الصمد المفرد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان.

ولا كان يحتاج إلى هذا الخلق في خلقه إياهم، وإنما كان السبب في ذلك: المنّة على الخلائق بخلقهم والتحنن عليهم بالإنعام، وظهور حكمته في تمام نعمته عليهم.

النبي محمد كما تصفه الزهراء في الخطبة الفدكية

من خطبة مولانا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها
أنها قالت:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ
أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ
بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِرِّ الْأَهْوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ،
عِلْمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَسَائِلِ الْأُمُورِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ،
وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمُقَدُّورِ. ابْتَعَثَهُ اللَّهُ إِمَامًا لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ
حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذًا لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقَانًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكِّفًا عَلَى
نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا. فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ
ظُلُمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا،
وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ
الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ».

◀ متى تم الاصطفاء الإلهي لرسول الله ﷺ ؟

هذه الفقرة من خطبة لفاطمة الزهراء عليها السلام هي إحدى فقرتين طويلتين نسبياً، تحدثت فيهما الصديقة الطاهرة عن أبيها رسول الله ﷺ وفي الفقرة الثانية بينت ماذا صنع رسول الله ﷺ عندما جاء برسالة ربه، ففي الفقرة الأولى تحدثت عن أمر مهم وهو قضية الاصطفاء والاختيار الإلهي للنبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فيلفت النظر هذه التعابير التي استعملتها سيدة النساء عندما قالت: «اِخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أُرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَنَّهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِرِّ الْأَهْوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ».

اختيار الله سبحانه وتعالى لنبيه كان حيث لا زمان ولا مكان ولا أنس ولا جان ولا نار ولا جنة، فلم يكن عندما اختار الله نبيه ﷺ أي شيء، فأول شيء كان في الخلائق وجوداً كان نور نبينا محمد ﷺ.

◀ أقسام العالم: عالم الواقع وعالم التقدير

◀ عالم الواقع:

يعتقد الامامية بأن هناك عالمين، هذا العالم الذي نعيشه هو ما يسمى عالم العين، عالم الأعيان الخارجية الموجودة، عالم الواقع، عالم الدنيا، سمه ما شئت، هذا العالم الذي نعيش فيه منذ أن بدأ الله بخلق أول آدم وحيث يوجد عندنا روايات بأن قبل آدمكم هذا، الف آدم

وقبل عالمكم هذا الف عالم^(١)، وهو عالم الموجودات الخارجية.

◀ عالم التقدير:

يقول العلماء قبل عالم الواقع هذا كان هناك عالم آخر هو عالم التقدير، عالم الامر، عالم الغيب لم يكن هناك شيء موجود لا الزمان ولا المكان موجود، لأن الزمان هو حادث ونسبة المكان أيضا كذلك فلا شيء موجود على الاطلاق لنقرب المعنى بالمثال التالي:

عندما تُكَلَّف باستحداث مدرسة متكاملة من حيث البناء والتجهيزات اللازمة من فصول وإدارة ومرافق عامة كفناء ومصلى ودورات مياه وغيره وكذلك تهيئتها من ناحية الموارد البشرية كاداري ومعلمين وليكن في ذهنك الآن أن هذه المدرسة غير موجودة فعليك أن تضع خطة لبنائها وكذلك تضع في ذهنك خريطة لإدارتها.. أنت الآن في مرحلة تخطيط حيث لا مدرسة ولا مدير موجود بالفعل تحت يدك، فهذا يختلف عما لو انت خططت لهذه المدرسة وهي موجودة أمامك والمدراء كذلك أمامك تنتخب واحدا منهم.

◀ اصطفاء رسول الله ﷺ كان في عالم التقدير:

فلو قربنا هذا الكون كمثال لهذه المدرسة قبل استحداثها، كون لم يُخلق بعد فلا سماوات ولا أرض ولا بشر ولا جن ولا شيء

(١) تم التعرض لهذا الموضوع بنحو مفصل في كتابنا (من قصة الديانات والرسول) فليراجع.

على الإطلاق، ولا يوجد هناك احد في الخارج في ذلك العالم، الله سبحانه وتعالى - وهذا تعبير من باب ضيق الخناق في الألفاظ - عندما كان يخطط لهذا العالم ويضع المقادير له قبل خلق العالم والكون وقبل خلق كل أحد كان قد اختار في ذلك الوقت سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أحد معاني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» يعني إلى الآن آدم غير مخلوق.

في عالم الغيب والتقدير قبل كل شيء انتخب الله سبحانه وتعالى نبينا للنبوّة، وهذا ما تعبر عنه فيما نعتقد سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بقولها: اختاره وانتجبه قبل ان ارسله وليس عندما خلق كل الخلق اختاره، وليس كما هو موجود في بعض المناهج الدراسية في بعض بلاد المسلمين عندما بلغ الأربعين من العمر اختاره الله للنبوّة ونزل عليه الوحي، فما معنى لما بلغ أربعين سنة؟! أبداً ليس كذلك، بل قبل هذه الأكوان كلها كان قد انتُخب واصطفى واجتبي.

نعم هذا العالم الذي نعيش فيه هو عالم الزمن والتدرج يحتاج فيه أن يولد النبي وأن يكبر وهكذا لكن الاصطفاء والانتخاب والتسمية والاجتباء كانت في عالم سابق على هذا «اِخْتَارُهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَنَهُ، إِذِ الْخُلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ» إلى الآن الخلائق مستورة في عالم الغيب لا يوجد لها شهود ولا يوجد لها وجود خارجي «وَبَسِّرِ الْأَهْوِيلَ مَصُونَةً» من وراء حجب لم تصبح شيئاً خارجياً لم تتشخص في الخارج، «وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ» هي امور معدومة ما كانت

موجودة اقترنت بالعدم، هناك حيث لا شيء موجود تم انتخاب رسول الله ﷺ كسيد للخلق ونبي للبشرية.. لماذا؟ ما هي الغاية؟ «عِلْمًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَلِ الْأُمُور، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمُقْدُورِ»، الله سبحانه وتعالى علماً منه بنهايات القضايا وبمآلات الأمور، كان يعلم بأن هذا النبي هو المنتخب والمجتبى وأفضل نسخة للكون خلقها الله سبحانه وتعالى حتى يصبح خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

◀ الديانات المنتشرة في الجزيرة العربية والقريبة منها

قبل بعثة النبي ﷺ

ثم تصف عليهما البيئتين التي جاء فيها النبي ﷺ، «ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْشَاءً لَأُمُورِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَازًا لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقَانًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا».

إن أقرب الديانات جغرافياً للجزيرة العربية هي المجوسية والمسيحية، هذه في شرق الجزيرة العربية، أي إيران وتلك في الشمال والغرب في بلاد الروم وما يتبعها وكذلك في جنوب الجزيرة العربية أي الحبشة وما يتبعها. وتعتبر الديانة المسيحية قريبة من الناحية الزمنية إلى بعثة النبي ﷺ إذ الفاصلة بين النبيين نحو ستمائة عام.

وكذلك كانت اليهودية موجودة في بعض أنحاء الجزيرة العربية، وفي بلاد الشام.

الغريب الذي تشير إليه الزهراء عليها السلام أن هذه الديانات (السمائية) كانت قد تفرقت وتشعبت وتعددت بحيث أصبح كل فرقة تكفر الأخرى مع أن منبعها واحد، فمن يراجع تاريخ هذه الديانات يجد التفاصيل بين أبناء الديانة الواحدة كبيراً فضلاً عما بين الديانات المتعددة.

ففي المسيحية مثلاً وهي لم تكن تبعد عن بعثة النبي إلا بستة قرون، اختلفوا في النظر إلى عيسى بن مريم هل هو إله؟ أو هو بشر نبي؟ أو هو جزء من الإله؟ وما موقع مريم العذراء بالنسبة إلى الإله المفترض؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الفرق في آياته وحكم عليها بالانحراف عما جاء به عيسى بن مريم عليها السلام ^(١).

أما الجهة الشرقية - جهة فارس - فالمجوس بعدما كانوا أصحاب رسالة سماوية حصل الانحراف عندهم عنها ^(٢) صاروا يعبدون النار ويرون أنها سر الحياة وفيها القوة الأصلية، وبالتالي لا بد أن تكون متقدمة ومشتعلة باستمرار، وهذه النار المتقدمة لمئات السنين انطفأت بقدرة الله عندما ولد النبي محمد صلوات الله عليه وآله.

وفي الجزيرة العربية، اتجه العرب إلى عبادة الأوثان والأصنام، وهم في ذلك منكرون لله ظاهراً مع اعتقادهم في داخل أنفسهم بالله

(١) لمعرفة بعض الفرق وآرائها وتطور المسيحية وحياة المسيح يمكنكم مراجعة كتابنا: من قصة الديانات والرسول.

(٢) كذلك لمعرفة تاريخ الزرادشتية المجوسية وعقائدهم والموقف الإسلامي منها يراجع كتاب قصة الديانات والرسول.

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١)، فحينما تشتد بهم الخطوب يلجؤون إلى الله تعالى ولكنهم مع ذلك يجحدون. تشير الزهراء عليها السلام إلى هذه الخريطة الدينية بقولها «فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكَّفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا».

◀ بزوغ فجر رسول الله ﷺ في عالم الواقع:

«فَأَنَارَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ».

تعالوا نَعقد مقارنة بين الصورة التي تقدمها الزهراء عن النبي محمد ﷺ وبين الصورة التي تقدمها بعض كتب المسلمين الحديثية!

قد سبق أن الزهراء ذكرت أن النبي هو محل اصطفاء ورعاية خاصة واجتباء واصطفاء وتسمية خاصة من الله ﷻ، حيث لم يكن هناك كون ولا كائنات بل كانت الخلائق في عالم الغيب مستورة مكنونة وبنهاية العدم مقرونة.

وهذه الرعاية والعناية لا بد أن تكون من البدايات، فإذا كان الله يتحدث عن النبي موسى وهو دون نبينا فضلا ومنزلة، ذاكرة

بعض مننه عليه ونعمه ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(١) فكيف سيكون حال نبينا الذي اختاره وانتجبه واصطفاه قبل أن يخلق الخلق وبينما كان آدم بين الماء والطين؟ كيف ستكون رعايته له وعنايته بنبیه؟ وحينئذ هل نصدق ما سيقوله بعض أتباع المدارس الأخرى من أن أبويه كانا مشركين! أو أنه والعايز بالله كان على دين قومه قبل بعثته! وأنه كان يهدي له الخمر وأنه كان يأكل ما ذبح على النُّصَب! أين هذه الصورة من صورة النبي الحقيقية التي يفصل القول فيها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»^(٢)، للأسف فإن الصورة التي تقدمها بعض كتب المسلمين المعتمدة، عن النبي لا تتطابق مع حقيقته بل بعض ما فيها على خط التعاكس والتضاد من شخصيته. لكننا ننزه النبي ﷺ عن ذلك ونعتقد فيه بقول الله ﻓَﻌَﻠَﻤَﻨَا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فلا يمكن أن يطال طهر النبي ﷺ درن ولا دنس ولا منقصة ولا خلق سيء ولوجاء بالخبر كل كتاب التاريخ، فإننا نرد ذلك بما ثبت من صفاته العليا في القرآن الكريم والله هو أصدق القائلين. وكذلك بما ورد في أحاديث اهل البيت صلوات الله عليهم.

(١) سورة طه: ٤١ .

(٢) نهج البلاغة؛ تحقيق صبحي الصالح ص ٣٠٠

(٣) سورة القلم: آية ٤

◀ معاناة النبى ﷺ فى تبليغ الرسالة:

فبعد هذه الصورة المشرفة التى تقدمها سيدتنا فاطمة صلوات الله وسلامه عليها للنبى ﷺ تُعَرِّج على معاناته فى سبيل تبليغ الدين فتقول: «فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّدَارَةِ، مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِباً ثُبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْتَظَمِهِمْ، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ، وَيَنْكُثُ الْهَامَ، حَتَّى أَنْهَزَمَ الْجُمُعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، وَحَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأُسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَخْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشِيطُ النَّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاقِ، وَفُهِتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِطَاصِ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ».

أي لم يكن تبليغ الدين والرسالة بالسهولة التى يتصورها البعض بل مر ذلك بحقول ألغام وبحروب أعداء، ومعاناة، فقد كانت المعارك مع المشركين الذين رفضوا السماح لدعوته بالانتشار فاضطر إلى حربهم ضارباً بالسيف أعناقهم فى تلك الحروب وداعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كخط عام، ونتيجة هذا الجهاد فى الميدانين: الحرب والوعى والتبليغ كان أن تفرى ليل الأصنام وظلام الجاهلية عن صبح الإسلام وشمس الحقائق، فأنقذ الله الأمة بالنبى محمد ﷺ.

وإذ عرجت على ذكر رحيل النبى المصطفى ذكرت الحاضرين بطريق غير مباشر بمعادهم، وأن عليهم أن يعملوا لذلك اليوم

الذين سير حلون فيه، فهل يقبضهم الله كما أخذ رسوله قبض رافة واختيار ورغبة وإيثار، ويكون الراحل حينها سائرا من تعب الدنيا إلى راحة الآخرة مجاورا للملائكة محبوا برضوان الله وجواره؟ أو يكون في الطرف الآخر لا سمح الله. والتذكير بالمعاد ضروري حتى لا تأخذ أهل السلطة شهوة الحكم والسيطرة فتعميهم عن مصائرهم.. قالت عليها السلام «ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإِثَارٍ فَمَحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله مَنْ تَعَبَ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْغَفَّارِ، وَجُجُورَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَى أَبِي نَبِيٍّ وَأَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ، وَصَفِيٍّ وَخَيْرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِيٍّ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

هذا المصير هو الذي يفسر لنا إقدام المعصومين عليهم السلام على الموت عالين به مختارين إياه على ما فيه الخطر والهلكة الظاهرية والموت، لأنهم يعتقدون انهم يختارون الله بذلك ورضوانه.

فهذا ما تقدمه السيدة الزهراء عليها السلام عن رسول الله في بداية انتخابه واصطفاه ثم بعثه ودوره إلى أن قبضه الله اليه قبضة رافة واختيار ورغبة وإيثار.

هذا النبي الذي عمل هذه الأعمال العظيمة حيث دعاهم إلى الدين القويم وهداهم إلى الصراط المستقيم.

أليس من الحري بهم أن يُقَيِّمُوا هذه الخدمة فيحفظوا رسول الله في ولده وعترته وذريته لا أن يجردوا عليهم سيف الظلم والاضطهاد ورسول الله لم يحف تراب قبره بعد!

مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء

في خطبة سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ورد قولها: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق والصيام تثبيتاً للإخلاص والحج تشييداً للدين والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة والجهاد عزاً للإسلام والصبر معونة على استيجاب الاجر والأمر بالمعروف مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الارحام منة للعدد والقصاص حقناً للدماء والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة وتوفية المكايل والموازن تغييراً للبئس».

تبين الصديقة الزهراء أن الله سبحانه وتعالى شرع تشريعات، الهدف منها تكامل الإنسان العامل بها وتصاعده إلى الدرجات العالية في إنسانيته، فلو خلق الإنسان ثم أهمله عن التكليف لصار حاله حال سائر الحيوانات، يجري وراء شهواته وهوائه ويتسافل،

وكذلك الحال لو شرع تشريعات من غير حكمة أو هدف. لكن الله سبحانه وتعالى جعل له سلماً للصعود والتكامل، وذلك عبر برنامج تشريعي من العبادات وأحكام المعاملات. ولم يأت هذا البرنامج التشريعي عبثاً، وإنما الأصل فيه أن كل تشريع سواء كان أمراً أو نهياً، يهدف للوصول منه إلى غرض من الأغراض الفردية أو الاجتماعية، وربما يستطيع الناظر والمتأمل في آيات القرآن الكريم أن يلحظ ذلك في الأوامر الإلهية أنها في العادة تنتهي بقوله تعالى (لعلكم..) وفي هذه العبارة إشارة إلى حكمة وهدف التشريع الذي سبق هذه الكلمة، وأحياناً تأتي جملة هي كالتعليل والاشارة إلى فلسفة التشريع المأمور به قبلها^(١).

ضمن هذا الإطار ينبغي أن نتأمل في كلمات الزهراء عليها السلام والتي تحدثت فيها عن بعض فلسفة التشريعات الإسلامية، قالت: فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر.

(١) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩ / ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٣٠ ومن النمط الثاني في التعبير عن فلسفة الأحكام والتشريعات قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ٤٥

◀ هل التعبير بالايمان هو الصحيح أو العقيدة؟

يقول بعض الباحثين إننا نلاحظ أن أتباع المدرسة السلفية دائماً ما يركزون على العقيدة، وتصفية العقيدة وأركان العقيدة الصحيحة وما شابه ذلك، وهذا - كما يقول مخالف - حتى لمنهجهم فضلاً عن مخالفته للاتجاه الصحيح، وبيان ذلك أن كلمة العقيدة ومشتقاتها لم تأت في المصادر الدينية، فلا نجد مثلاً كلمة العقيدة في القرآن الكريم أو الفعل منها: اعتقد يعتقد أو فاعلها معتقد، والمفروض في المدرسة السلفية لما كانت تحتج على الآخرين بأن الشيء الكذائي لم يكن على زمن رسول الله أن تكون محجوجة بهذا فهذا الاهتمام العظيم الذي يعطى لهذا المفهوم (العقيدة) من دون أن يكون له أثر في القرآن الكريم.. كيف يكون صحيحاً؟ وحتى عندما جاءت كلمة (عقدتم) فقد أتبعنا بالأيان (عقدتم الأيمان) وهو غير ما نحن فيه.

والصحيح هو أن يستبدل ذلك بكلمة (الإيمان بالله) فإن هذه الكلمة ومشتقاتها يدور عليها محور آيات القرآن الكريم حيث وردت مع مشتقاتها (آمن، يؤمن، يؤمنون، المؤمنون، المؤمنات) ما يقرب من ٨٠٠ مورد.. وهذا الكلام صحيح والاشكال عليهم وارد.

نلاحظ هنا أن الزهراء قالت فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك.. وكأنها الشرك قذارة تحل بالإنسان ورجس معنوي، بحيث لا يعود ذلك الإنسان هو الطاهر الذي فطره الله على الايمان

به، فبعدما كان ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ وإذا به يغدو بالشرك ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ ودور الايمان بالله هو أنه يطهر ويزكي ويصفي هذا الإنسان من أدران الشرك وقذاراته. سواء تلك التي ترتبط بالإيمان بغير الله وترتبط بشركه، أو تلك التي ستترتب على الممارسات الخارجية بعدما كان لا يخضع لأوامر الله ونواهيه مع فرض كونه مشركا، ولنا في الواقع الخارجي خير مثال حيث وصل الحال بمن تركوا الايمان بالله إلى مستوى تأباه البهائم لقذارته.

«وجعل الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر» إن المعادل الآخر للإيمان في جهة القلب هو الصلاة في جهة الفعل فهي عمود الدين، من جهة ومحققة للخضوع في مقابل الكبر الذي يدعو الإنسان للتمرد على أوامر الله سبحانه كما دعا ابليس للمعصية. إن وقوف الإنسان بين يدي ربه في كل يوم خمس مرات منحيا للركوع سبع عشرة مرة، وواضعا أعلى جزء من بدنه موضعاً وشرفاً على أدنى شيء وهو الأرض، يفترض بحسب تشريعه أن يكسب الإنسان تواضعا وخضوعاً، وأن يجنبه الاستكبار والطغيان.

إن العقدة التي تورد الإنسان المهالك هي الاستكبار، والتعاضم، والتكبر فترى الطواغيت يتكبرون على قبول الحق، والفساق يأبون النصيحة ويرونها دون مستواهم، وهكذا.. والحل في ذلك هو مضاد التكبر وهو الصلاة.

وقد يقول إنسان إننا نرى الكثير من الناس يؤدون الصلاة

ولكنهم مع ذلك ليسوا منزهين عن الكبر، ولم تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، والجواب عن ذلك تفصيلاً قد ذكرناه في كتاب الصلاة مجمع الكمال^(١). وهذه الأجوبة سارية في سائر التشريعات وفلسفتها وحكمتها.

(١) ذكر في الجواب عليه وجوه؛ الأول: إن الانتهاء عن الفحشاء والمنكر مراتب، لنفترض أنها تعادل مائة درجة، فالإنسان حين يلاحظ معاني الصلاة ويفكر فيها ويستحضرها ويقوم بشرائها كاملة، فهذا تنهاه صلاته مثلاً عن ٧٠٪ من الفحشاء، بينما إنسان آخر لا يفعل ذلك لا تؤثر فيه هذه الصلاة التأثير الكامل وإنما تؤثر بمقدار ١٠٪، فهذا الإنسان الذي يرتكب على سبيل المثال ستين ذنباً أو سبعين ذنباً لو لم يكن يصلي لكان يرتكب مئات الذنوب، فبهذا المقدار الذي يُصلي، صلاته نَهَتْهُ عن ١٠٪ أو عن ٢٠٪، ولو فرضنا نفس هذا الشخص لم يكن يصلي وكان يأتي بالفواحش والمنكرات بنسبة ١٠٠٪ فبهذه الصلاة بالنسبة له أثرت فيه بنسبة ١٠٪. إذن طبيعة الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء وتنهى عن المنكر، لكن ليس نهياً جبرياً، وإنما بشكل اختياري طبيعي وتربوي وهذا ليس في الصلاة فقط، فنجد أن الله ﷻ يتعامل معنا بهذا المنظور أيضاً.

الوجه الثاني: إن النقص في التأثير ليس عائداً للصلاة، فهي مؤثرة كما أسلفنا وليس في فاعليتها نقص، وإنما المشكلة والنقص هو في المستقبل، وبتعبير العلماء في (القابل) حيث يقولون إن المشكلة ليست في فاعلية الفاعل وإنما المشكلة هي في قابلية القابل، تماماً مثلاً أن مطر السماء ينزل فتصبح الأرض مخضرة، إلا أن بعض البقاع السخنة لا يحدث فيها شيء مهمّ نزل عليها من المطر العذب، فليست المشكلة في المطر وإنما في خصوص هذه الأرض وملوحتها.

الوجه الثالث: إن التأثير ليس فورياً وإنما هو تراكمي تدريجي، ولهذا نقول ليُصَلَّ هذا الإنسان حتى لو كان لديه بعض المعاصي والذنوب، ولهذا إذا رأيت إنساناً يصلي ويمارس بعض الفحشاء وبعض المنكر، لا تقل له إن صلاتك لا تنفعك ولا تفيدك والأفضل لك أن تركها ما دُمَت بهذا النحو، هذا غير صحيح، لأن الصلاة تؤثر فيه بشكل تراكمي إلى أن ينتج أثرها.

قولها **عَلَيْهَا** : «الزكاة تزكية للنفس»، يتعلق الإنسان بالمال وقد وصف هذا التعلق في القرآن الكريم بالحب الكثير ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١)، وجهة هذا الحب أن مال الإنسان هو مجهوده الذي بذله ووقته الذي صرفه في تحصيله، بل هو جزء من حياته، بالإضافة إلى أنه ضمان له وحافظ عن الحاجة، ولهذا فإن الإنسان عندما يخرج الزكاة كأنها يخرج من جيبه جزءاً من مجهوده، وقسماً من حياته، هذا بحسب الظاهر. لكن الإنسان لو نظر بحسب الواقع لوجد أن هذا المال هو لله، وإنما هو رزق رزقه الله إياه وحوله عليه وخوله إياه وجعل أسبابه ميسرة في الطبيعة وأقدر الإنسان على اكتسابه، فهو من كل الجهات من الله وبالله والله، وإنما جعله في حوزة هذا العبد ليتصرف فيه بشكل عادل وامتحنه بإيجاب إعطائه لعباده المحتاجين لما فرض الزكاة والخمس وأشباهاها من الحقوق المالية.

وهنا سيحصل التجاذب بين كون هذا الإنسان يعتقد بأنه هذا المال جزء من عمره وحياته فينبغي أن يحتفظ به وبين كون حقيقة هذا المال (عارية وأمانة) من قبل مالِكها الحقيقي والمالك يأمره بدفعه إلى آخرين، فعندما ينفذ ذلك ينتصر على نوازع الأنا والذات ويتجه لمساعدة الغير، فتزكو نفسه وتعلو..

بل إن هذا المال حينما يعطى للغير يزكو وينمو وذلك لأن المعطي الحقيقي له والواهب يرى بأذله مستحقاً للمزيد في رزقه. وهذا هو النماء في الرزق.

«والصيام تثبيتاً للإخلاص»، فقد قالوا لعل الصوم هو العبادة الوحيدة التي لا يتيسر فيها التظاهر والرياء كما في غيره من العبادات. فالصلاة بطبيعتها تعلن عن نفسها وبالتالي عن إيمان صاحبها، وفيها مظاهر لا تكون في غيرها، فإذا أطال الشخص الركوع والسجود وقراءة السور لأجل أن يراه الآخرون فقد تحقق الرياء، بينما لا نجد هذا في الصوم إذ لا توجد فيه أعمال، فإنه (الامساك عن المفطرات) أو الكف عنها، ولا يتحقق إعلان عن هذا، فقد يستطيع شخص أن يكون صائماً عدة أيام ولا يشعر به من حوله، لكنه لا يستطيع ذلك بالنسبة للصلاة إلا إذا تحفى فيها. كما أن في الصوم يستشعر الصائم رقابة خالقه، فلا يفطر مع أنه لو فعل ذلك بالسر لما شعر به أحد فيتركز الاخلاص لربه في نفسه.

«والحج تشييداً للدين»:

هو المنظر الذي تتجلى فيها قوة الإسلام والمسلمين ووحدهم، أن المسلمين وبهذا العدد الكبير يجتمعون على صعيد واحد وفي حالة انسجام واحدة كما هو المفروض ان يصنع الحج، فهذا يُشيد الدين. إن قدرة الإسلام على تحريك الملايين من البشر بنظام واحد وفي زمان واحد ونحو هدف واحد وهم يشتركون في عمل واحد قد لا نراها في موضع كما نراها أيام الحج..

«والعدل تنسيقاً للقلوب»:

إنما تجتمع القلوب على العدالة والقانون، فإنك لا تستطيع

ان ترضي الناس بالأموال حيث لا تكفي حاجات كل الناس بل ربما كانت هي منشأ التنازع بينهم كما هو المشهود. فالعلاج أنك إذا أردت تنسيقاً للقلوب فلتعمل بالعدل، العدل في العطاء، والعدل في القضاء والحكم، ولأجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١). وقدمه المعصومون على الجود والكرم لعمومية العدل وخصوصية الجود^(٢). فعندما يكون الناس خاضعين للقانون ويكون العدل حاكماً على الجميع تتسق القلوب في الاتجاه الصحيح، ويحصل رضا عام لدى الناس على وضعهم المعيشي.

«وطاعتنا نظاماً للملة وامامتنا اماناً من الفرقة».

لو أن المسلمين أقاموا هذا النظام وأتبعوا هذا الإمام الذي جعله رسول الله ﷺ بمقتضى حديث الثقلين «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً» ف(الفرقة) والاحتراب والتشردم ضلال بلا اشكال، لماذا؟ لأن الثقلين ليسا هما القائدين للناس، وإنما القادة هم غير ذلك، فمتى ما صارت إمامة أهل البيت عليهم السلام التي هي الثقل الآخر للناس تكون أماناً من الفرقة والتشردم والضلال.

«والجهاد عزاً للإسلام والصبر معونة على استيجاب الأجر».

(١) النحل: ٩٠

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٤: سئل عليه السلام أيهما أفضل: العدل، أو الجود؟ فقال: الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهَا وَأَفْضَلُهَا.

لا شك أن من يريد أن يستوجب الأجر ويصل إليه، لا بد له من الصبر على ما يواجهه، فهذا الأمر لا يحتاج إلى صرف أشياء كثيرة. هناك بعض الأمور لكي تحصل فيها على الثواب تحتاج إلى معاناة، فالحج يحتاج إلى سفر، الجهاد يحتاج إلى أن تبذل شيئاً كثيراً من بدنك. أما الشيء الذي تريده ولا يحتاج إلى صرف وتريد عليه الأجر الكثير هو الصبر على ما تلاقي، الصبر على المصائب التي تأتي إليك، وهذا لا يحتاج إلا إلى موقف نفسي، يحتاج إلى صمود وتجلد واحتساب، ان تقول حسبنا الله ونعم الوكيل. تحتسب عند الله سبحانه وتعالى، وتصبر على ما أصابك. فيماذا بلغ أيوب ما بلغ؟ بلغ بما تشير إليه الآية المباركة ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١)، وفي هذه الآية من ابدع اساليب الاستعطاف والاسترحام.. فهو لا يقول اكشف عني ضري أو أزل كربى وإنما يشير إلى حاله، ويشير إلى فضل ربه ورحمته.. مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

هذا النحو من التعريض هو من أفضل أنحاء الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

هذه الكلمات هي مما جاء في خطاب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وبينت فيها طرفاً من مقاصد التشريعات الإسلامية وفلسفتها، وبالطبع لم تكن عليها السلام في درس فقهي حتى تتعرض

لكل الجهات، وإنما هو ضمن المرور على مقدمات تمهد بها
المطلب الأساس في الاحتجاج على مؤسسة الخلافة وخطوتها
في حرمانها عليها السلام من ميراثها. ومع أنها كانت كذلك على سبيل
المقدمات والاسترسال ومع ذلك جاءت بهذا الكلام الدقيق
والمتين معنى والبليغ لفظاً وأسلوباً.

مجتمع المدينة بعد النبي في الخطبة الفدكية

مما جاء في خطبة مولاتنا سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام حينما وجهت خطابها إلى الأنصار أنها قالت: «إيها بني قيلة، أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى وجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الصرخة، وأنتم ذوو العدد والعدة والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنَّة توافيكم الدعوة فلا تحيون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب وتحملتم النصب والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بكم رحي الإسلام ودرّ حلب الأيام وخضعت نعة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأننى حُرِّم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام وأشركتكم بعد الإيذان، ﴿أَلَا

تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونجوتهم من الضيق والسعة، فمجبجتم ما وعيتهم ودسعتهم الذي تسوغتم، ف ﴿١٥﴾ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٦﴾».

صدقت سيدتنا ومولاتنا الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

سيتناول حديثنا في ظلال خطبة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تحليلًا للمواقف في المجتمع المدني المسلم، وذلك بعيد وفاة رسول الله ﷺ، حيث بينت خلال هذه خطبة أن هناك ثلاث فئات في هذا المجتمع نعرض لها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

◀ الفئة الأولى: فئة أهل البيت (عليه السلام)

يتمثل في رأس هذه القائمة والعنوان أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن تبعه من بني هاشم ومن كان من أنصاره سواء من الأنصار أو المهاجرين.

◀ الفئة الثانية: فئة التيار القرشي

هذا التيار القرشي وهذا التجمع هو الذي انتهى به الأمر إلى أن يسيطر على الخلافة ضمن إطار جمعته الحالة القرشية والذي تمكّن من الاستمرار كوجود متصل في الحكم في الأمة بل حتى على مستوى الفتوى والقضاء وما شابه ذلك.

◀ الفئة الثالثة: فئة الأنصار

الأنصار هم سلالة قبيلتي الأوس والخزرج والذين كانوا في الأصل قبائل يمنية مهاجرة من اليمن، استقرت منذ القدم في المدينة المنورة، فبعضهم يُرجع أصل وجود هاتين القبيلتين في المدينة المنورة إلى الزمن الذي انهار فيه سد مأرب في اليمن، فأدى حدوثه إلى حالة من القحط والجذب تسببت في هجرات. وكما هو معروف فإن اليمن هو مخزن سكاني للعرب كقحطان والقبائل اليمنية الأخرى، حيث تجدهم متشرين في كل مكان في المدينة وفي الكوفة بعد تمصيرها والتي أصبحوا فيها أكثرية تقريباً، وفيما بعد هاجروا منها إلى لبنان وإلى الشام وإلى قم وبلاد الري وهذه القبائل اليمنية الموالية لأهل البيت نقلت التشيع.

فمن هذه القبائل اليمنية وعلى أثر انهيار سد مأرب فيما قبل هاجرت الأوس والخزرج إلى المدينة المنورة واستقرت هناك، فحدث في بداية مجيئهم مشاكل بينهم وبين اليهود، ولكن فيما بعد صار الاستقرار لهم وكأنها السيادة والزعامة أصبحت لهم والمال والاقتصاد أصبح بأيدي اليهود.

ما حقيقة موقف قريش من دعوة النبي ﷺ وأهل البيت؟.

هذه الفئات الثلاث هي التي كانت حاضرة في مدينة رسول الله ﷺ بعيد وفاته، وهناك ملاحظة لا بد أن تستوقف الباحث في التاريخ والناظر في لسان الروايات سواء من نبينا المصطفى

محمد ﷺ أو من لسان أهل بيته الطاهرين عليهما السلام.

إننا نلاحظ أن لسان الروايات ولحنها كان في شأن قريش غير إيجابي، بالرغم من أن الاتجاه القرشي كان يصر على نسبة أحاديث لرسول الله في شأن قريش تعظم من شأنهم، وهي على خلاف السياق الطبيعي^(١)! فإن قريشا هي القبيلة الوحيدة التي حاربت دعوة النبي ﷺ عشرين سنة، ثلاث عشرة سنة حينما كان في مكة المكرمة فكانت الحرب بينهما قائمة بشتى أشكالها باستثناء المواجهة العسكرية وسبع سنوات تقريبا بعد الهجرة إلى أن تم فتح مكة وكسرت شوكة قريش!.

(١) زعموا أن النبي قال: قدّموا قريشا ولا تقدّموها، وتعلموا من قريش ولا تعلموها، ولولا أن تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله تعالى. ونقل كذلك: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم». ولا نعلم هل كان هذا بسبب معادة قريش للنبي ودعوته من يومه الأول إلى أن فتحت مكة وهم كارهون بعدما جيشوا الجيوش عليه حتى ظهر أمر الله؟ فأعطاهم جائزة على ذلك؟ أو أن الصحيح هو ما قاله في شأنهم أمير المؤمنين ﷺ الذي بين أن قريشا (أجمعت) على منازعته كما جاء في نهج البلاغة ١ / ٣٣٦ - ط دار الكتاب اللبناني. «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجْعِي وَأَكْفَعُوا إِنَائِي وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوَّلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي» وأستعديك يعني أستعينك عليهم. نعم ربما ورد من طريق الإمامية أيضا أن الأئمة من قريش، لكن هذا ليس بمدح بمقدار ما هو تحديد وتعريف، مثلما أن تقول إن النبي محمدا هو من العرب. فلا يشكل ذلك فضيلة بالضرورة للعرب. أو قد يكون له وجه آخر وهو الإشارة إلى المنتخبين من هذه القبيلة مثل بني هاشم، فالمدح ليس لكل من تعنون بالقرشي وإنما لهذه الفئة الخاصة من هذه القبيلة.

عشرون سنة من العداء والمواجهة بين قريش وبين النبي حاولت فيها قريش قتل النبي والقضاء على دعوته ومكروا ما استطاعوا وتحالفوا مع سائر القبائل وتآمروا مع اليهود ودبروا ولكن كان مكر الله أسرع وتدبيره أقوى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

فهل كان النبي يدعو الناس إلى أن يتعلموا من قريش كيفية محاربة الأنبياء وقتال الرسل؟ وإلا ماذا يعني: تعلموا منها ولا تعلموها؟ قريش لم يكن عندها علم إلا في الأصنام والأوثان والربا الاقتصادي واستعباد الإنسان وإكراه الجواري على البغاء.. فهل هذه ما ينبغي أن يتعلم منها المسلمون؟ مع أن هذه الأحاديث التي زورت على النبي يفترض أنه قالها أيام حياته يعني ما بينه وبين نهاية أسطورة قريش ومقاومتها إياه غير أقل من ثلاث سنوات! ما بين فتح مكة ووفاته صلوات الله عليه وآله.

إلا أن هذا الخط القرشي أعاد تشكيل نفسه بعد وفاة النبي وضمن عملية معينة استطاع أن يسيطر على الأوضاع وأن يأخذ الخلافة وأن يصبح رجاله من جديد قادة الإسلام.

◀ موقف النبي وأهل البيت عليهم السلام من الأنصار:

بعكس ما كان في أمر قريش، فإن حديث رسول الله صلوات الله عليه وآله عن

الأنصار حديث إيجابي يتضمن المدح والثناء عليهم، وذلك راجع إلى أنهم بالفعل كانوا كما صار اسمهم (الأنصار) والحديث عنهم لو ورد فإنه يكون على القاعدة! ويكفي ما جرى بعد حين من موقف وقفه هؤلاء الأنصار، مما نقله ابن هشام في سيرته، قال:

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك (تأثروا) في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظيماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي.

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، الله ورسوله آمن وأفضل. ثم قال:

ألا تحيوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟
 لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم،
 فلصدقتهم ولصدقتهم: أتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك،
 وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في
 أنفسكم في لُعاة (بقية يسيرة) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا،
 ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب
 الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي
 نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار، ولو سلك
 الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار.
 اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول
 الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا^(١).

هذا الموقف وأمثاله من قبل الأنصار هي التي جعلت الزهراء
 بعد أن أثنت على مواقفهم السابقة في نصرة النبي، تعاتبهم بقوة
 مستغربة من موقفهم الجديد الخاذل الذي لا ينسجم مع تاريخهم
 المشرف ولا معرفتهم بموقع الزهراء وأهل البيت عليهم السلام.

بينما بنفس المقدار كان كلامها شديداً في حق التيار القرشي،
 الذي وصفته بأن تاريخه كان تاريخ المتربص بالدعوة والنبي الدوائر
 والناكص عند النزال والفار من القتال، والمخطط للمصالح الذاتية.

(١) الحميري، ابن هشام السيرة النبوية ٤ / ٨٧.

في الوقت الذي كان فيه أهل البيت على خط المواجهة الأول كان الحزب القرشي في رفاية من العيش وادعين هائنين آمنين!.

وتمر الأيام فإذا بهؤلاء الذين لم يضحوا بشيء أصبحوا يحوزون كل شيء، فصار قصارى ما يطمح إليه الأنصار معهم أن يكونوا وزراء بينما يكون أعيان الحزب القرشي هم الأمراء! وأما الخط المضحي والمجاهد من أهل بيت النبي ومن سار معهم، فقد أخرجوا من كل ذلك.

بل سيزداد الأمر سوءا فيما بعد سنة ٤٠ هـ عندما يستلم الأمويون الخلافة لكي يصبح شتم كبير أهل البيت عليه السلام وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام سنة قائمة، وسيصبح ذم الأنصار وهجاؤهم بواسطة أجهزة الاعلام الأموي سياسية، ما عبر عنه الأخطل الشاعر النصراني السكير، والحائز على جوائز البلاط الأموي في دمشق لكي يهجو الأنصار ويسبهم، ببذاءة، فمما اشتهر عنه قوله:

لعن الإله من اليهود عصابةً

بالجزع بين صليصل وصرار^(١)

خلّوا المكارم لستم من أهلها

وخذوا مساحيكم بني النجار

(١) منطقتان في المدينة، ويلاحظ أنه أبقاهم في دائرة اليهود، ونفاهم من الدائرة الإسلامية مع أنه مسيحي منحرف، وهم الذين بجهدهم شاد الإسلام بناءه وكيانه!

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلى واللؤم تحت عمامم الأنصارِ

بل كان معاوية نفسه يهين الأنصار ما استطاع، لا سيما وأن الموقف العام للأنصار في المدينة كان سلبياً تجاه الأمويين، وهذا ما كشفه حين زار المدينة وواجهه الأنصار بفتور فلم يستقبلوه بما كان يتوقع من الحفاوة، باستثناء النعمان بن بشير ومعه بعض اقاربه، والنعمان التحق بالنهج الأموي فكان لزاماً أن يخرج! ^(١).

إيها بني قيلة: العتاب الشديد من الزهراء عليها السلام للأنصار.

هذه الفئة التي كان لها الدور الأكبر في نصرته الإسلام، تخاطبها سيدة النساء عليها السلام وتقول: «إيها بني قيلة» ^(٢)! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة. توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة

(١) الطبرسي، أحمد بن علي الاحتجاج ٢ / ١٥ في تنمة الخبر.. فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟ فقليل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب. فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد بن عباد - وكان سيد الأنصار وابن سيدها -: أفنوها يوم بدر واحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله ﷺ، حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون، فسكت معاوية!

(٢) جدة الأوس والخزرج

التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت؛ قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأثمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة المهرج، واستوسق نظام الدين. فأنى حرتم بعد البيان، وأسرتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركنكم بعد الإيثار؟».

كان موقف سيدة النساء فاطمة عليها السلام صريحا واضحا في تشخيص هذه الفئات، في نفس الوقت الذي حملت فيه المسؤولية الاتجاه القرشي وواجهتهم بالحجج والبراهين، واهتمتهم بأنهم يدبرون هذا الأمر عن عمد في ذلك، ومخالفين لكلام رسول الله ﷺ ولبصائر القرآن، عرّجت على موقف الأنصار وأدانت هذا الموقف وبينت أنه لم يكن متوقعا منهم هذا الأمر، ونعتقد أن مواقف الأنصار في الجملة قد تغيرت فيما بعد وحاولوا بل حتى ذرايهم أن يغسلوا هذه اللطخة من الخذلان، وربما يكون جزء من ذلك راجعا لتأثير خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولذلك يلاحظ أن موقف الأنصار كان إيجابيا تجاه خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسليبا جدا تجاه معاوية حتى كان لا يجد من ينصره إلا مثل النعمان بن بشير وكان النعمان يُعير بذلك! مع أن النعمان نفسه وهو الذي أصبح في ركاب الأمويين كان بالقياس إلى القرشيين الذين ناصروا الأمويين متجنباً للصدام مع أهل

البيت ما استطاع، وينبئ عن هذا موقفه وهو والي معاوية ويزيد من بعده تجاه مسلم بن عقيل بن أبي طالب الذي جاء رسولا من الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة فإنه لم يصطدم معه بل أرسل له إنه إن لم يعرض مسلم للنعمان فلن يعرض النعمان لمسلم! وهكذا ما نقل من أنه كان مرافقا لركب الأسارى من أهل البيت في طريقهم من الشام إلى كربلاء وأنه كان بهم رفيقا وبالطبع هذا الكلام لا يزيكه ولا يعذره عند ربه كما نعتقد، ولكن أوردناه للاستشهاد على ما نحن فيه وقياسه مثلا على موقف عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الذي كان منذ بداية أمره صداميا وأوكلت له مهمة اغتيال الحسين في مكة، ولما رجع ركب الأسارى للمدينة أظهر شهادته وفرحه بذلك^(١)!

(١) للتفصيل يمكن مراجعة كتابنا صفحات من السيرة الحسينية.

فدك: قضية الزهراء التاريخ والدلالات

قال سيدنا ومولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد حدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وثبتت على جوانب المزلق».

هذه الكلمات المنقولة في نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، تكتسب أهمية استثنائية في كونها تحجب على عدة أسئلة تاريخية من شاهد عيان للحوادث، بالإضافة إلى عصمته.

إحدى هذه القضايا التي تحجب عنها هذه الكلمات، أن «كانت

في أيدينا»، يعني في يد أمير المؤمنين، وفاطمة. وهذه الجملة مهمة جداً، لما سيأتي من أن يد الشخص على شيء هي حجة شرعية له على الملك، وأن من ينازعه فيها يحتاج إلى دليل وبرهان..

وأيضاً سيثير هذا سؤالاً عن أن الإمام عليه السلام لماذا لم ينتزع فدكا في أيام خلافته ويصيرها في ميراث بني فاطمة عليها السلام؟.

سنناول باختصار ثلاث نقاط رئيسية:

(١) فدك من الناحية الجغرافية وسرد الأحداث التاريخية المرتبطة بها.

(٢) فقه قضية فدك وقصة مطالبة الزهراء عليها السلام بحقتها.

(٣) رمزية قضية فدك لدى أهل البيت عليهم السلام.

◀ أولاً: فدك جغرافياً وتاريخياً:

فدك: منطقة تبعد حوالي ١٤٠ كم من المدينة المنورة، وكانت مستوطنة من قبل اليهود قبل مجيء النبي محمد إلى المدينة، وكانت هذه المنطقة تتميز بالمياه الوفيرة والأرض الخصبة. وهي الآن تسمى محافظة الحائط على الخرائط الرسمية.

(١) وفي نظرة تاريخية لكيفية السيطرة عليها، يقال: كان اليهود يتفخرون سابقاً أن لهم كتاباً سماهوا ونبياً مبعوثاً وهو موسى عليه السلام، وأنهم أحباب الله المنصورون^(١) من قبله وأن النبي الذي سيبعثه الله

(١) لتفصيل عقائدهم وتاريخهم يمكن الرجوع إلى كتابنا قصة الديانات والرسول.

في مكة سيؤيدهم، فلما جاءهم رسول الله ﷺ ورأوا أنه ليس منهم تنكروا^(١) له وبدأوا يتحزمون لمحاربتة. وتحالفوا مع المشركين ضده، مع ذلك لم يعلن النبي الحرب عليهم، بل دعاهم للسلم وجعل بينه وبينهم وثيقة هي من أقدم النصوص التي تبين العلاقة بين المسلمين واليهود، فيها حوالي ٥٠ مادة مهمة تحفظ لليهود كل حقوقهم الدينية والمدنية والاجتماعية، عرفت بوثيقة المدينة. ومع ذلك لم يف اليهود. وتحالفوا مع كفار قريش وناصروهم في غزوة الخندق حينما اجتمع الأحزاب ووعدوهم انهم لو انتصروا سيجعلون حاصل تمر خير لقريش تلك السنة، تحريضاً وتطميعاً لهم.

وبعد هزيمة الأحزاب، دعا اليهودُ النبي ﷺ إليهم بحجة توضيح الأمور وطلب السلم، وأرادوا بذلك أن يأتي النبي إليهم بغرض اغتياله برمي حجر ثقيل من الأعلى عليه ﷺ. ولم تكن المحاولة الوحيدة لهم.

حينها رأى النبي ﷺ أن اليهود لا يلتزمون بعهد ولا ميثاق ولا يحبون أن يتعايشوا مع المسلمين وهم أكثرية سكان المدينة فبالإضافة إلى تخريبهم للأوضاع الاقتصادية من خلال أعمال الربا وما شابهها، وتآمرهم مع أعداء المسلمين وتخطيطهم لاغتيال النبي.. لم ير بدا من مواجهتهم عسكرياً. ونزل الوحي في نهاية

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٨٩.

السنة السادسة للهجرة أن يغدو إلى بني قريظة ليحاربهم. ويوجد حديث مشهور عن النبي: «أن لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، كناية على العزم على المواجهة فوراً.

(٢) في السنة السابعة وقعت معركة خيبر مع اليهود، ونصر الله نبيه بالرغم من استعانة اليهود بقريش وثقيف، حتى قيل إن عيينة بن حصن الغطفاني زودهم بثلاثة آلاف مقاتل للدفاع عن اليهود. لكن الله نصر المسلمين بتخطيط نبي الله وبقيادة الإمام علي عليه السلام. هجوم المسلمين بهذه الطريقة على خيبر، والتي كانت سبع قلاع محصنة - يكفيك ان أبوابها كانت قطعة من الحجر - مع ٢٠ ألف من اليهود و٣ - ٤ آلاف ممن يؤازرونهم انهاروا امام جيش المسلمين. وهذا الانهيار سبب هزيمة اليهود معنويا في أنحاء المدينة ومناطقها وأصبح همهم النجاة فقط. فأرسلوا إلى النبي أنهم يستسلمون شريطة أن يسلموا على انفسهم ويسلمون للنبي ما تحت أيديهم من الأرض والزرع.

فقبل رسول الله، فكانت فذك أرضا من تلك المناطق التي لم تفتح بحرب ولا قتال بل سلم أهلها طواعية. وحكم هذه في الفقه الإسلامي عند جميع المسلمين هي أنها تكون ملكا خالصا لرسول الله، لا يشاركه فيها أحد، باعتبار الآية ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١). أما في حال خيبر

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١) فخمسة هذه الغنيمة للرسول وأربعة أخماس للمقاتلين المسلمين.

(٣) في نهاية السنة السابعة نزلت الآية ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٢) على النبي ﷺ، فوهب لفاطمة فدكاً^(٣). فبقت عندها ثلاث سنوات وعدة شهور إلى وفاة الرسول الأعظم نهاية شهر صفر السنة الحادية عشر. وفي هذه الفترة بعد أن استلمتها السيدة فاطمة عينت فيها عمالاً - تحت إدارة امير المؤمنين -، لهذا قال «تحت ايدينا فدك»، ولذلك يذكر بعض المحققين^(٤)، ان حال بيت علي وفاطمة بعد سنة ٧ هجرية (أي بعد اعطاء النبي فاطمة فدك) تغير من الناحية المادية وذلك لما كان يعود عليهما من خراج فدك.

(٤) بعد وفاة النبي ﷺ، ضمها الخليفة الأول لبيت مال

(١) الأنفال: ٤١

(٢) الإسراء: ٢٦

(٣) ذكر القندوزي الحنفي ذلك في ينابيع المودة لذوي القربى ١ / ١٣٨ فقال: قول الله تعالى ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خصوصية لهم [خصصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة]، فلما نزلت هذه الآية [على رسول الله ﷺ قال ﷺ لفاطمة عليها السلام: هذه فدك وهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذها لك ولولدك.. وقد ورد من طريق الإمامية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيما نقله الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي ٦١٩ من مناظرة للإمام عليه السلام مع علماء عصره.

(٤) المحقق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية

المسلمين، والثاني أيضا، اما الخليفة عثمان فرأى أن أقاربه أولى بها، فدفعتها خالصة لمروان بن الحكم. في أيام أمير المؤمنين خرج منها مروان وضمها الإمام إلى بيت مال المسلمين مرة أخرى ولم يجعلها لنفسه أو أبنائه^(١).

(١) من الأسئلة التي تقال: لماذا لم يسترجعها أمير المؤمنين زمان ولايته، حتى عد بعضهم ذلك مما يدل (!) على أنها لم تكن لفاطمة وولدها! وجواب ذلك على سبيل الاختصار؛ إنهم لو رجعوا إلى كلام أمير المؤمنين لوجدوا فيه الدلالة كافية فقوله (بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلت السماء!!) وكونها في أيديهم إما بالتسلط العدواني زمان النبي وهو منتف قطعاً أو هو بجهة شرعية وهو يدل على التملك بما عرف بين المسلمين بل بين العقلاء من كون يد الإنسان على شيء أمانة على ملكه، ومن ينازعه عليه أن يثبت حقه بحجة شرعية. هذا أولاً.. وأما ثانياً فلائها لو لم تكن لفاطمة نحلة وهدية لكانت ميراثاً باعتبار أنها ملك خالص لرسول الله، فهي الوارثة بعده. حيث لم يبق من أولاده (ذكورا وإناثا) غيرها. وأما لماذا لم يرجعها الإمام علي عليه السلام، لنفسه ولأبنائه فإنه لو فعل وهو الزاهد وأولاده مثله فلائنه سيشبه حينها بما صنعه الخليفة الثالث الذي نقم عليه من نقم لإيثاره أقاربه من بيت مال المسلمين.. فإذا فعل علي عليه السلام ذلك.. فما فرقه عن غيره؟ لا سيما وأن هناك من اعترض عليه في قضية صلاة التراويح فهل يحتاج الإمام إلى قضية جديدة يثيرها عليه مخالفوه؟ لو فعل ذلك لما رأى الناس منذ ذلك اليوم وإلى يومنا عليا عليه السلام صوتاً للعدالة الإنسانية! والحاكم الأكثر عدالة في تاريخ البشر بعد النبي المصطفى، وصاحب مقالة (لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته فإن من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق) وما دامت القضية مادية وتخصه وأبناءه من ولد فاطمة فالزهد فيها أنسب من الحرص عليها! وهذا ما أشارت إليه فقره (وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس في مظانها غداً جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لوزيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضاها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق...)

عندما سيطر معاوية على الحكم، قسم فدكا على ابنه يزيد ومروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان. ولعل قول دعبل الخزاعي: أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات ناظر إلى هذا وأمثاله.

بعد معاوية تداولها المروانيون، إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي ردها إلى أهل البيت. بعده يزيد المرواني أخذها وظلوا يتداولونها إلى أيام العباسيين. وفي زمان العباسيين ردها المأمون^(١) إلى أهل البيت. بعدها تداولوها إلى أيام المتوكل العباسي الذي أعطاها أحد ولاته... وبذلك انتهت قصة فدك من التاريخ، حيث أصبحت أملاكاً شخصية.

◀ ثانياً: فقه قضية فدك، وكيفية تعامل الخلافة معها

أول ملاحظة في فقه فدك، انه بعد أن أخذ الخليفة الأول فدكاً، ذهبت فاطمة عليها السلام تطالب بحقها، قالت انها نحلة من والدي، فطلب منها الإتيان بالشهود، وهذا أول الأخطاء من الناحية القانونية، فإن الإسلام لا يطالب صاحب اليد^(٢) والذي

(١) وحينها قال دعبل الخزاعي مؤرخا الحادثة: أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج ١ / ١٣٢: «جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله ﷺ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: هذا فيئ للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه،

هو مالك الشيء بالإتيان بالشهود، بل من يدعي خلاف ذلك يطالب بالشهود، والا لما بقي نظام اجتماعي للملكية الشخصية! حيث سيطالب ساكن البيت بالإتيان بشهود، وصاحب السيارة بشهود... ولعل السيدة الزهراء ارادت ان تبين للأمة ان الخلافة لا تفقه مبادئ الأحكام وأسس القضاء.

تَنَزَّلَا أَنتَ فاطمة بالشهود، وكما قال الشاعر:

فَأَقَامَتْ بِذَا شُهُودًا فَقَالُوا بَعْلَهَا شَاهِدُهَا وَابْنَاهَا

جاءت بعلي وبأم أيمن وبالحسين، فردت شهادتهم. هذا مع أن «علي مع الحق والحق مع علي». ومع شهادة النبي لأُم أيمن أنها من أهل الجنة^(١) والحسنان سيدا شباب أهل الجنة وقد قبل رسول الله

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين. قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إياك أسأل البينة، قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟ فسكت أبو بكر. فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك. فإننا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١ / ١٣١: «قالت فاطمة لأبي بكر: لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله ﷺ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟ فقال: هاتي على ذلك بشهود. فجاءت بأم أيمن، فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله ﷺ، أنشدك بالله أأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال أم أيمن امرأة من أهل الجنة فقال: بلى. قالت فأشهد: أن الله ﷻ أوحى إلى رسول الله ﷺ وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ».

شهادتهما (رغم صغر سنهما) كما دون في بعض الوثائق والكتابات. لم يقبل ذلك ونزعت فدك منها بذريعة انها ليست نحلة، بالرغم من يد الزهراء عليها، مع أن عاملها فيها، ومع الشهود المذكورين. جاءتهم عليها السلام أيضاً من منطلق الوراثة، حيث الزهراء عليها السلام الوارث الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أولاده (ذكورا وإناثا) فلما كانت فدك قد فتحت من غير قتال، ودخلت في ملك النبي الخاص، فيمنطق الوراثة تكون ملكاً لفاطمة.

هنا توجد مغالطة من قبل البعض: حيث يدعون انه لدينا -المذهب الاثنا عشري- النساء لا يرثن من الأرض، والصحيح أن الزوجة لا ترث من الأرض وانما ترث مما على الأرض. البنت ترث من كل شيء.

فهذا الذي يقال هو حجة للإمامية لإخراج زوجات النبي من ميراث الأرض، ولا يكون حجة عليهم.

هنا استشهاد الخليفة الأول بحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه فهو صدقة». وقد ذكر العلماء من السنة والشيعة على أن ناقل هذا النص هو الخليفة الأول، لم ينقله أحد غيره. هنا يستغرب الكثير ومنهم من علماء مدرسة الخلفاء، أن الأشخاص الذين ينبغي على النبي ان يبلغهم هذا الحديث هم العباس عمه وعلي وفاطمة، فلم سمعه الخليفة الأول دونهم؟.

وفي الحديث ملاحظات سنّدية ودلالية، وقراءات مختلفة تغير

كُلُّ قراءةٍ المعنى بنحو يختلف تماما عن القراءة الثانية. وقد يكون لنا بحث خاص يرتبط به لتبيين ذلك.

في مقابل ذلك واجهت الزهراء عليها السلام كلام الخليفة بآيات القرآن المحكمات وسيرة الأنبياء المذكورة وهي قائمة على الوراثة، بنحو العموم وأنه يشملهم ما يشمل غيرهم، وأيضا استشهدت بخصوص وراثة الأنبياء بعضهم لبعض، وأن النبي لا يغير في ذلك ولا يخالف آيات القرآن الكريم.. لكن كل ذلك الكلام والاستدلال لم يؤثر في تغيير موقف الخلافة.

فهي في البداية وجهت الخطاب لجميع المسلمين داعية إلى الاحتكام للقرآن ومنكرة عليهم الاعراض عنه.

«فهيئات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم؛ أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بئس للظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾»^(١).

ثم خاطبت الخليفة خصوصا بآيات الميراث «أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلي عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي

(١) الخوئيني، اسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (س)

مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»، وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ»، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

«وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا؟! أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: أن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك؛ فنعلم الحكم الله، والزعيم محمد صلى الله عليه وآله، والموعود القيامة» فهي عليها السلام قد أوردت آيات الميراث التي تثبت بعمومها أو إطلاقها أن حكم الميراث شامل للأنبياء ولغيرهم، في مثل يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فهذا الخطاب كما يشمل عامة الناس يشمل النبي صلى الله عليه وآله، وهكذا قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فهو يشمل النبي وغيره، وقد يقال بأن الحديث الذي نقله الخليفة مخصص لآيات القرآن فيمكن أن يأتي حكم عام في القرآن وتأتي السنة لكي تخصصه، فليكن هذا الحديث مخصصا لآيات القرآن في موضوع الأنبياء بأن يكون كل أحد يرث من وارثه إلا الأنبياء فإنهم لا يرثون ولا يورثون.. فردت الزهراء عليها السلام على هذا الاحتمال بأن أوردت آيات القرآن الخاصة بميراث الأنبياء أنفسهم خاصة مما ينفي هذا التوجيه

بالكامل فاستشهدت بآية ميراث سليمان من داود وميراث يحيى من زكريا! فهذه الآيات تكذب ما قيل من أن الأنبياء هذا شأنهم أن لا يرث بعضهم بعضا! ولم يقل الحديث المنسوب للنبي محمد أنا هكذا وإنما قال بحسب ذلك الحديث نحن معاشر الأنبياء وهذا ما تكذبه آيات القرآن.

وبالرغم من أن بعض المدافعين عن (خطأ) الخلفاء حاولوا تفسير هذه الآيات بأن المقصود منها هو وراثة العلم والنبوة دون المال والمتاع إلا أنه دفاع هزيل فهو إخراج اللفظ عن معناه الحقيقي من دون مبرر ولو فتح الباب لهذا لضاعت الأحاديث ومعانيها بل القرآن وأحكامه إذ لا يحمل اللفظ على غير معناه الحقيقي إلا لعدم إمكان ذلك لسبب من الأسباب وليس منها تنزيه الخليفة!! على أن هذا الحمل في نفسه غير ممكن فمتى كانت النبوة والعلم بالوراثة؟ لو كانت كذلك لورث العلم والنبوة ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وابن نوح الذي هو (عمل غير صالح)، وهكذا! إن النبوة اختيار الهي خاص لا يحصل لشخص لأن أباه فلان فلم يكن والد سيد الأنبياء نبيا، ولا العلم يحصل لشخص لأن والده كان عالما! فلا معنى لأن يرث يحيى النبوة أو العلم من أبيه زكريا أو سليمان من داود!

بل إنها ﷺ أشارت بشكل غير مباشر إلى التشكيك في صدور هذا الحديث؛ فإنها أكدت أن النبي وعليهما السلام أعلم منكم بخصوص القرآن ولا مجال للمقارنة بينكم وبينهم، وهم لم يعملوا بما يدعى من تخصيص القرآن بالحديث! بل ترقى فوق ذلك

بالقول إلى أن هذا الحديث المدعى يخالف القرآن ويصادم أحكامه فمن يزعم صدوره عن النبي ﷺ يقول بوعي أو غير وعي إن النبي يخالف أحكام القرآن ويرغب عن آياته! وتعجبت باستغراب من دعوى ذلك فقالت: «سبحان الله! ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره. أفتجتمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته^(١)».

وحتى تغلق عليك الباب تماما على الاتجاه المخالف في الاستدلال أشارت إلى أنه لا يوجد بعدما تحقق المقتضي للإرث أي مانع منه إلا أن تزعموا أن ابنته على غير ملته والعياذ بالله فإن الكافر لا يرث من مسلم «أم هل تقولون: أن أهل ملتين لا يتوارثان أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟».

◀ ثالثاً وأخيراً: فدك.. رمز الحق المغصوب:

إن خلافة تبدأ في الايام الاولى من عهدا بظلم ابنة الزعيم الذي أتى بهذا الدين، ما ستصنع بغيرها؟.

هل يمكن لهذه الخلافة ان تؤمن حقوق الناس العاديين والضعفاء الذين لا يمتلكون هذه المكانة والرفعة الاعتبارية؟.

الخلافة اما ان تعرف الأحكام الشرعية او لا. فان كانت تعرفها وتحالفها فتلك مصيبة. وان كانت جاهلة بها اصلا، فكيف

(١) المصدر السابق ٢٠١.

لها ان تسير امة ورسالة كما سيرها رسول الله، وباسم رسول الله؟.

لذلك فذك اصبحت شعارا لحق مضيع، ينقل ان الإمام الكاظم قال للمهدي «ما بال مظلمتنا لا ترد»^(١)، يعني فذكا.... لو صحت هذه الرواية، لعل الإمام يريد أن يشير بذك إلى الخلافة المغتصبة والإمامة المختطفة من أهل البيت عليه.

دافعت الزهراء عليها عن هذا الحق - حق شرعية الإمامة - وأمست اول شهيدة في هذه القضية المقدسة. ضحت بجينيتها المحسن، وبنفسها، لاحقة لأبيها، مظلومة مهضومة مكروبة - إلى حد أن يقول أمير المؤمنين في الزيارة «وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فاحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا...».

(١) الكليني، الكافي (دار الحديث) ٢ / ٧٢٥.. لما ورد أبو الحسن موسى عليه على المهدي رآه يرُدُّ المطالم، فقال: «يا أمير المؤمنين، ما بال مظلمتنا لا ترد؟» فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: «إن الله - تبارك وتعالى - لما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم فذك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: «وأت ذا القربى حقاً» فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم، فراجع في ذلك جبرئيل عليه السلام، وراجع جبرئيل ربه، فأوحى الله إليه: أن ادفع فذك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها: يا فاطمة، إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ولي أبو بكر، أخرج عنها وكلاءها..

نص خطبتي فاطمة الزهراء

◀ (١) خطبتها في المسجد (المشهور بالخطبة الفدكية)

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام ^(١): «إنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمة ^(٢) من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة ^(٣) فجلست ثم أتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١ / ١٤١؛ وقد اخترنا نص الخطبة الذي نقله في الاحتجاج لأنه فيما نعتقد أسلم النصوص وأكثرها استقامة. وسنستفيد مما في معاني الكلمات مما كتبه في الحاشية العلامة السيد محمد باقر الخراسان.

(٢) لمة: جماعة، والحفدة: الأعوان، وهنا ليس معناها الأحفاد كما قد يتوهم البعض.

(٣) علّق إزار أو قطعة قماش.

كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم،
والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام
منن أولها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدّها،
وتفاوت عن الإدراك أبدّها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها
واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها،
وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها، الممتنع من
الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته، ابتدع
الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها
كونها بقدرته، وذراها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا
فائدة له في تصويرها، إلا تنبئنا لحكمته، وتنبيهها على طاعته، وإظهارا
لقدرته، تعبد البريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته،
ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نعمته، وحياسة^(١) لهم
إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله،
وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب
مكونة، وبستر الأهويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علما من
الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع
الأمور ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا
لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة
لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها فأثار الله بأبي محمد صلوات الله عليه ظلمها،

وكشف عن القلوب بهما^(١)، وجلى عن الأبصار غممها^(٢)، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان: تطهير لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وإمامتنا: أمانا للفرقة والجهاد: عزا للإسلام،

(١) مبهماتهما

(٢) الملتبس من الأمور

والصبر، معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الأرحام: منساة في العمر مناة للعدد، والقصاص: حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغيير اللبس، والنهي عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: إيجابا بالعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، ف ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

ثم قالت: «أيها الناس اعلموا إني فاطمة وأبي محمد عليهما السلام أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا»^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. فإن تعزوه^(٢) وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه عليه السلام، فبلغ الرسالة، صادعا^(٣) بالندارة مائلا عن مدرجة^(٤) المشركين ضاربا ثبجهم^(٥) آخذا بأكظامهم^(٦) داعيا إلى سبيل ربه

(١) باطلا.

(٢) تنسبوه.

(٣) مظهرها.

(٤) مسلك.

(٥) وسطهم.

(٦) مخرج أنفاسهم.

بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام وينكت الهام، حتى انهزم
الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه^(١) وأسفر الحق عن
محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين^(٢) وطاح
وشيظ النفاق^(٣) وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفُهِتُم^(٤) بكلمة
الإخلاص في نفر من البيض الخماص^(٥) وكنتم على شفا حفرة من
النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع^(٦) وقبسة العجلان، وموطئ
الأقدام^(٧) تشربون الطَّرَق^(٨) وتقتاتون القد^(٩) أذلة خاسئين،
تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى
بمحمد ﷺ، وبعد أن مني بيهم^(١٠) الرجال وذؤبان العرب، ومردة
أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفالها الله، أو نجم قرن
الشیطان أو فغرت فاعرة من المشركين^(١١) قذف أخاه في لهواتها^(١٢)

(١) انشق الليل عن الصبح.

(٢) أصواتهم كشقشقة الجمل.

(٣) الأراذل.

(٤) تفوهتم بكلمة التوحيد.

(٥) يقصد بهم أهل البيت وأصحابه المخلصون.

(٦) مذقة: شربة قليلة، ونهزة: فرصة ينتهزها الطامع.

(٧) قبسة العجلان: كل متعجل يأخذ منكم ويسلبكم، وموطئ الأقدام: تداسون بالأقدام.

(٨) الطرق: المياه الوسخة المطروقة بأبوال الإبل.

(٩) الجلد غير المدبوغ.

(١٠) شجعان الرجال، وكذلك ذؤبان العرب.

(١١) فغر: فتح فمه

(١٢) لهوات: جمع لهاة وهي لحمه في أقصى الفم

فلا ينكفى حتى يطأ جناحها بأخصه^(١) ويحمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون^(٢) آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسكة النفاق^(٣) وسمل^(٤) جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل^(٥) الأقلين وهدر فنيق^(٦) المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه^(٧) هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم^(٨) فألفاكم غضابا فوسمتم غير إيلكم ووردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب والكلم^(٩) رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا^(١٠) زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ

(١) الأخص: الأقدام

(٢) ساكنون ناعمون

(٣) عداوته

(٤) أصبح خليقا قديما

(٥) ظهر من لا قيمة لهم

(٦) الفنيق هو الفحل من الابل، وهدر ارتفع صوته

(٧) تشبيهه بالقنفذ الذي يخرج رأسه بعد زوال الخوف

(٨) استفزكم

(٩) الجرح

(١٠) استباقا.

لَمْحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ﴿١﴾، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأني توفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجه لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها^(١) ويسلس قيادها^(٢) ثم أخذتم تورون وقدتها^(٣) وتهيجون جهرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء^(٤) وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء^(٥) ونصبر منكم على مثل حز المدي^(٦) ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابتته».

«أيها المسلمون أغلب على إرثيه؟ يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم

(١) نفرت الدابة جزعت وتباعدت.

(٢) يسهل.

(٣) تشعلون لهبها.

(٤) وحسوا في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٥) الخمر بالفتح: ما وارك من شجر وغيره، والضراء بالفتح: الشجر الملتف بالوادي.

(٦) قطع السكاكين.

كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وقال: فيما اقتصر من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونها مخطومة مرحولة^(١) تلقاك يوم حشر، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا معشر النقيبة وأعضاء الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي والسنة^(٢) عن ظلامي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة^(٣) ولكم طاقة بما أحاول،

(١) كأنها ناقة مجهزة فيها الخطام وعليها الرحل، كناية عن الظلامة التي حصلت

(٢) الغميمة؛ ضعف النصرة، والسنة: أول درجات النوم.

(٣) إهالة: بكسر الهمزة الدسم. وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته..

وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل: استوسع وهنه واستنهر^(١) فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت^(٢) الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة^(٣) عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصرخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤).

«أيها بني قيلة^(٤) أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، وامتددي ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجُنَّة توافيكم الدعوة فلا تجيئون، وتأتاكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكد والتعب،

(١) اتسع.

(٢) قل خيرها.

(٣) داهية.

(٤) بنو قيلة هم الأوس والخزرج.

وناطحتهم الأمم، وكافحتهم البهيم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين فأنى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسا لقوم ﴿نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض^(١) وأبعدتم من هو أحق باليسر والقبض، وخلوتم بالدعة ونجوتهم بالضيق من السعة، فمجبجتم ما وعيتهم، ودسعتهم الذي تسوغتم^(٢) ف ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾. ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة^(٣) الظهر نقبة الخف باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وأنا ابنة نذير ﴿لَكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾^(٤) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

(١) تمايلتم إلى اللين والسعة

(٢) تقيأتهم ما شربتم

(٣) شبهت وضعهم بناقفة فيها مرض جلدي في ظهرها وخفها قد انتقب.

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالموءنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيمًا، وعلى الكافرين عذابا أليما، وعقابا عظيما، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الأخلاء أثر على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأيي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله، وأني أشهد الله وكفى به شهيدا، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك ﷺ؟».

فقلت عليا: سبحان الله ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتحمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا

فصلاً يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وبين ﷺ فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

فقال أبو بكر: «صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود...».

فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتكم، وشر ما منه اغتصبتم لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون، ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

ثم عطفت على قبر النبي ﷺ وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة

لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلهما
 واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
 وكل أهل له قربى ومنزلة
 عند الإله على الأذنين مقرب
 أبدت رجال لنا نجوى صدورهم
 لما مضيت وحالت دونك الترب
 تجهمتنا رجال واستخف بنا
 لما فقدت وكل الأرض مغتصب
 وكنت بدرا ونورا يستضاء به
 عليك ينزل من ذي العزة الكتب
 وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
 فقد فقدت وكل الخير محتجب
 فليت قبلك كان الموت صادفنا
 لما مضيت وحالت دونك الكُثْبُ

ثم انكفأت عليها السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها
 إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار، قالت: لأمر
 المؤمنين عليهم السلام: «يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت
 حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجل^(١) فخانك ريش الأعزل^(٢)
 هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغه ابني! لقد أجهد في خصامي،

(١) قوادم الطير: مقدم ريشه وهي عشرة والأجل: الصقر.

(٢) الأعزل: ما لا يقدر على الطيران من الطيور.

وألقيته ألد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها،
وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة،
وعدت راغمة، أضرت خدك^(١) يوم أضعت خدك! افترست
الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلًا، ولا أغنيت طائلاً^(٢)
ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئتي، ودون ذلتي عذيري الله منه
عاديا ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب!
مات العمدة، ووهن العضد شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربي! اللهم
إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتنكيلا».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ويل لك بل الويل لسانك^(٣)
ثم نهني عن وجدك^(٤) يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيتُ عن
ديني، ولا أخطأت مقدوري^(٥) فإن كنت تريدن البلغة، فرزقك
مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك،
فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله وأمسكت».

◀ (٢) خطابها لنساء المهاجرين والأنصار

قال سويد بن غفلة: لما مرضت فاطمة عليها السلام، المرضة التي
توفيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعُدنها، فقلن

(١) خضعت.

(٢) أي ما فعلت شيئا نافعا.

(٣) مبغضك.

(٤) خففي غضبك وحزنك.

(٥) ما تركت ما دخل تحت قدرتي أي لست قادرا على الانتصاف لك لما أوصاني
به الرسول.

لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله،
وصلت على أبيها، ثم قالت:

«أصبحت والله: عائفة لديناكن، قالية^(١) لرجالكن، لفظتهم
بعد أن عجمتهم^(٢) وسئمتهم بعد أن سبرتهم^(٣) فقبحا لفلول الحد،
واللعب بعد الحد، وقرع الصفات وصدع القناة، وختل الآراء وزلل
الأهواء، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمْ خَالِدُونَ﴾ لا جرم لقد قلدهم ربقتها وحملتهم اوقتها^(٤) وشتت
عليهم غاراتها فجدها، وعقرا وبعدا، للقوم الظالمين.

ويحهم أتى زعزعوها عن رواصي الرسالة، وقواعد
النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين^(٥) بأمور الدنيا
والدين؟! ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾! وما الذي نقموا من أبي
الحسن عليه السلام؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة
وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة
اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم
عليها ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يكل سائره ولا
يمل راكبه، ولأوردتهم منها نميرا، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه

(١) مبغضة

(٢) لفظتهم: رميت بهم وطرحتهم بعد أن عجمتهم: أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم

(٣) مللتهم بعد أن امتحنتهم

(٤) ثقلها

(٥) الفطن الحاذق

ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ألا هلم فاسمع؟! وما عشت أراك الدهر عجباً! وإن تعجب فعجب قولهم!.. ليت شعري إلى أي أسناد استندوا؟ وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟! لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل^(١) فرغما لمعاطس^(٢) قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾. ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريشا تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب^(٣) ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمأنوا للفتنة جاشا، وأبشروا بسيف صارم،

(١) يعني المقاييس مقلوبة فما كان حقه التأخير وأن يكون ذنبا صار في المقدمة وما كان ينبغي أن يكون في العجز والنهية أصبح في الكاهل والشرف.

(٢) أنوف.

(٣) عاقبة.

وسطوة معتد غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين: يدع
 فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرةً لكم! وأنى بكم وقد
 عُميت عليكم ﴿أَنْلَزِمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾؟».

مصحف فاطمة الزهراء

ورد في الخبر الصحيح عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وقد اشتد حزنها على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان جبرائيل يأتي إليها يسليها ويعزيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويذكر لها ما يحدث، فكانت فاطمة تأخذ منه وعلي يكتب، وهذا هو مصحف فاطمة عليها السلام».

هذه الصفحات تتناول موضوع مصحف فاطمة عليها السلام نظراً لأنه من جهة يحاط بشيء من عدم المعرفة؛ فيحتاج إلى توضيح حقيقته لمن يريد استيضاح الحقيقة، ومن جهة أخرى لأن بعض مخالفي المذهب يتصيدون في هذه الجهة - مع علمهم أو مع جهلهم - بقولهم إنه يوجد للشيعة مصحف آخر، فلذلك هم لا يعتمدون على القرآن الكريم كسائر المسلمين.

◀ هل مصحف فاطمة قرآن آخر يعتمد عليه الشيعة؟

من الأخطاء الشائعة: أن معنى كلمة مصحف هو القرآن

الكريم، والحال أن هذا غير صحيح في اللغة العربية. فإذا رجعنا إلى معاجم اللغة ومعاني الكلمات نجد فيها أن معنى المصحف هو عبارة عن أي كتاب بين جلادتين، أي كتاب في بدايته ونهايته تجليد سواء كان ذلك الكتاب يختص بالفقه أو التفسير أو السيرة أو العقائد أو أي شيء آخر فذلك يعتبر مصحفاً.

فلو افترضنا أن لدينا قرآناً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ولكنه غير مجلد فهذا بحسب الاستعمال الحقيقي للكلمة لا يسمى مصحفاً في اللغة العربية؛ لأنه لا يشتمل على دفتين، أما في حال كانت سورة واحدة فقط ووضعت بين جلادتين فيسمى مصحفاً، تاريخ الطبري مثلاً يعتبر مصحفاً إذا كان مجلداً وكذلك الرسالة العملية تعتبر مصحفاً، وهذا ما ينطبق على مصحف فاطمة فهو عبارة عن علوم ضُمت بين جلدتين ولا يعني أنه قرآن فاطمة.

فمن يقول إن مصحف فاطمة هو قرآن خاص وأن شيعتها يعتمدون عليه، فهذا ليس لديه علم باللغة العربية، إلا إذا كان متقصداً فهذا شيء آخر.

◀ منشأ وجود مصحف فاطمة عليها السلام

من خلال الرواية الصحيحة الواردة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي يرويها أبو عبيدة الخذاء عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي تؤكد على أن استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام كانت بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة وسبعين يوماً، حيث أصابها حزن

وغم كبير، وعبرت هي عليها السلام عن ذلك بهذه الأبيات:

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

وهذا يرد ما زعمه بعضهم من حرمة النياحة على الميت، بل نفس فعلها وهي عند الإمامية معصومة وعند باقي المسلمين صحابية وفعلها يكشف عن تشريع ثابت حتى ذكر في مصادر مدرسة الخلفاء كدليل على جواز أن يرثي القريب من يفقده، واستدلوا هناك بأن فاطمة عليها السلام كانت تأتي عند قبر أبيها وتقول هذا الكلام ولم يُنكر عليها أحد - حسب قولهم - باعتبارها صحابية وباقي الصحابة كانوا يسمعون هذا ولم ينكروا عليها، مما يعني أن الرثاء والنياحة بهذا المستوى ليست ممنوعة وليست محرمة.

فكان جبرائيل عليه السلام ينزل عليها ويعزيها في أبيها ويسليها في مصيبتها ويخبرها عما يجري على أبنائها، فكانت فاطمة عليها السلام تمليه على علي عليه السلام وعلي يكتب فهذا هو منشأ مصحف فاطمة.

◀ إشكال البعض في نزول جبريل عليه السلام على فاطمة عليها السلام

كيف يقال بنزول جبرائيل على فاطمة عليها السلام؟ ألا يلزم ذلك أن هناك وحيا جديدا وأنتم تقولون انقطع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

والجواب: تختلف الأسباب التي من أجلها تنزل الملائكة، فبعض الأسباب تجعل نزول الملائكة بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممتنعا، ومثاله: أن يأتي جبرائيل أو أي ملك آخر بعد وفاة رسول

الله ﷺ وحي فيه تشريع وأحكام.

وهناك أسباب أخرى تجعل نزول الملائكة على فاطمة عليها السلام أو على أي أحد غيرها ممن يختار الله له ذلك ممكنا وهنالك نماذج على ذلك:

◀ النموذج الأول: نزول الملائكة على مريم بنت عمران

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

يظهر من الآية أن جبرائيل يخبر مريم عليها السلام بأنها مصطفاة ومطهرة، ولا ريب أن فاطمة بنت محمد عليها السلام هي أفضل من مريم عليها السلام؛ وذلك لما ورد في فضلها من الروايات المنقولة عن رسول الله ﷺ بأنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وليس سيدة نساء قومها فقط كما كانت مريم عليها السلام. فمع إمكان ذلك ووجود الخبر الصحيح به وانتفاء المانع منه نقبل مثل هذا الأمر.

ومثل مريم سارة زوجة نبي الله إبراهيم فقد بشرتها الملائكة وأخبرتها عن مستقبل أيامها وأنها تلد الولد وولد الولد بعد العقم ولما تعجبت من ذلك واستغربته قالوا لها لا تعجبي من أمر الله ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ نَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ

(١) سورة آل عمران آية ٤٢

حَمِيدٌ فَحِيدٌ^(١).

◀ النموذج الثاني: عبّاد بني اسرائيل

إذا كان القرآن الكريم يشهد بنزول الملائكة على مريم وهي دون فاطمة في الشرف والمنزلة والفضيلة^(٢)، وكذلك ما ورد في بعض صحاح مدرسة الخلفاء أن الملائكة كانت تنزل على بعض عبّاد المؤمنين^(٣) على الرغم من أنه ليس لهؤلاء العبّاد صفة استثنائية، فكيف نستبعد نزول الملائكة على فاطمة عليها السلام وقد ورد الخبر عن الصادق عليه السلام بأن جبرائيل كان ينزل عليها؟! وهذا لا نسوقه دليلاً على حصول الحادثة وإنما هو لرفع الاستبعاد وإلزام الخصم الذي ينكر هنا ويسلم هناك.

◀ مضمون مصحف فاطمة

المتحصل من الروايات أن هذا الكتاب المجلد الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام بعد مجيء جبرائيل بأخباره ونقله لهذه الاخبار

(١) هود: ٧١-٧٣

(٢) في روايات متعددة عن النبي ﷺ مفادها ان مريم سيدة نساء عالمها بينما فاطمة سيدة نساء العالمين طراً.

(٣) صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته - طريقه - ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

لفاطمة عليها السلام، كان يحتوي على علم ما هو كائن من الاحداث المستقبلية، ونظرا لأن هذا العلم من العلوم الخاصة، كان من جملة مختصات المعصومين فهو لا يوجد الآن عند أحد من الخلق في هذا الزمان إلا عند صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه.

وذلك هناك مجموعة من العلوم الخاصة توارثها أهل البيت عليهم السلام كعلائم على أن لهم ارتباطاً خاصاً بالله وَجَعَلَ فلديهم علم خاص لا يصل إلى غيرهم، فبقي ذلك عندهم وهو من جملة علامات الإمام وعصمته. على سبيل المثال، لدينا الجامعة، وما أدراك ما الجامعة! فيها الأحكام الفقهية التفصيلية، حتى أرش الخدش المذكور في تلك الجامعة.

إن هذه الأحكام التفصيلية قد لا تستطيع الحصول عليها في القرآن الكريم ولا في أحاديث رسول الله ﷺ، وإنما كان من علم رسول الله ﷺ الذي أورثه للأئمة المعصومين عليهم السلام. وكذلك ما قيل من كتاب الجفر، فيه علم من علوم الأنبياء السابقين، ولذلك فكل من يدعي في هذا الزمان غير الإمام المعصوم أن عنده كتاب الجفر فهو غير صادق.

مثلا قد ورد في الروايات لدينا عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد اصحابه قبل نهاية الدولة الأموية «في سنة مائة وثمانية وعشرين للهجرة يبدأ أمر الزنادقة ووجدت هذا في مصحف فاطمة»، والإمام الصادق عليه السلام عاش في تلك الفترة واستشهد سنة

مائة وثمان وأربعين للهجرة، فكان يحدث أصحابه أنه سيبدأ أمر الزنادقة، أي مع نهاية الدولة الاموية ومع بدايات الحركة العباسية؛ لأن الدولة العباسية تأسست سنة مائة واثنين وثلاثين للهجرة.

في تلك الفترة بدأت حركات الزنادقة، وفي ذلك الوقت كانوا يتحدثون عن نشاط لعبد الله بن المقفع الذي توفي في سنة مائة وخمسين للهجرة حيث بدأ نشاطه التشكيكي من وقت مبكر، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفي عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو من الزنادقة وهكذا غيرهم. بدأت هذه الحركات من سنة مائة وثمانية وعشرين للهجرة، ومصحف فاطمة عليها السلام كان في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة حيث ذكر فيه أنه ستبدأ حركات للزندقة والإلحاد في المجتمع المسلم بعد حوالي قرن من الزمن.

أما فيما يتعلق بالتطورات السياسية، فقد أشير في بعض الروايات إلى ما جاء في مصحف فاطمة عنها، ومن ذلك رواية تقول بأنه: جاء الفضيل بن يسار^(١) إلى الإمام الصادق عليه السلام، فقال له الإمام: «رجعت إلى مصحف فاطمة فما وجدت حكماً ولا ملكاً لهم - يعني أبناء عبد الله بن الحسن - في هذه البلاد - أي بغداد أو المدينة -»، بمعنى إذا كنت تعتقد أن هذه الحركة سيعقبها نصر على العباسيين فهذا لن يحصل.

(١) أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ومن شارك في حركة الحسين ضد المنصور العباسي.

وقد ورد في روايات أن مصحف فاطمة مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، وذلك يعني أن حجمه ثلاثة اضعاف القرآن الكريم، فلو افترضنا أن بحسب الطباعات الموجودة حالياً حوالي ستمائة صفحة في القرآن الكريم، معنى ذلك فإن مصحف فاطمة في حدود الألف وثمانمائة صفحة، وفيه هذه العناوين العامة لا التفاصيل الجزئية.

بناء على ما تقدم؛ فإن ما يذكره بعض الطائفيين من أن الشيعة لهم مصحف خاص بهم - أي مصحف فاطمة - كذب محض أو جهل مشين، الكتاب هذا غير موجود ولا يوجد فيه شيء من القرآن الكريم، ولا يوجد فيه شيء من الأحكام، ولا يوجد عند أحد على الإطلاق، وإنما هو ذخيرة وميراث لأصحابه وهم الأئمة عليهم السلام، وهو من علامات الإمامة، حتى عندما ادّعى بعض الهاشميين الإمامة أخبر بعض ائمتنا أصحابه بأن يطلبوا من المدعي احضار مصحف فاطمة وسلاح رسول الله وسلاح ذي الفقار، فإن فعل ذلك فهو إمام.

إذا كان مصحف فاطمة ليس موجوداً عند المراجع العظام، ولا في الحوزات العلمية، ولا عند المحققين في الدراسات القرآنية، فكيف تقولون بأن هناك قرآناً خاصاً بالشيعة يقرأونه بدلاً عن هذا القرآن الذي هو بيد المسلمين؟ ولكن مما يهون الخطب أن هذه الأكاذيب التي تنشر أحياناً بدافع تبغيض الناس في مذهب أهل البيت عليهم السلام لا تلبث أن تتوضح ويظهر عدم صحتها.

فأنتم ترون أن في كل مجتمعات أتباع أهل البيت عليهم السلام

يلتزمون بالقرآن الذي نزل على نبينا محمد ﷺ، ويتعاملون مع هذا القرآن المعهود ولا يزيدون فيه حرفاً ولا ينقصون منه كلمة، وأنت تلاحظون هذه القنوات الفضائية تبث تلاوة قراء شيعة أهل البيت عليه السلام وختمتهم للقرآن الكريم من المراقدة المقدسة والمشاهد المشرفة حتى يتبين لعامة المسلمين كذب هؤلاء الطائفيين الذين يريدون تشويه الصورة الحقيقية، فهذا هو القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام، بل كان مجموعاً أيام رسول الله ﷺ، وهذا يحتاج لبحث خاص؛ لأن الفكرة الشائعة أن جمع القرآن كان في عهد الخليفة الثالث لا يُسلم بها أغلب المحققين ولهم أدلتهم على ذلك وهي أدلة متينة وقوية.

◀ أثر مصحف فاطمة على أهل البيت عليه السلام؟

وبحسب ما جاء في الرواية التي مرت، فإن الغرض من ذلك النزول الجبرئيلي والحديث الذي يأتي به هو تسلية فاطمة عليها السلام، وذلك بالكشف عن حوادث المستقبل وأنه برغم الآلام سيكون من نصيب شريعة النبي ﷺ وعترته وذريته، وأن هذه الآلام والأحزان ستنتهي عندما يظهر قائم آل محمد وهو ابنها محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه.

عبادة فاطمة الزهراء

روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن ابنتي فاطمة إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر الكواكب إلى أهل الأرض».

تتناول هذه الصفحات بعض الجوانب من عبادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، أقول بعض الجوانب باعتبار أننا لا نحيط ولا غيرنا بكل ما كانت عليه من العبادة والتوجه إلى الله وَجَّهَ، فإن قسماً كبيراً وواسعاً من حياتها لم يدونه التاريخ ولم ينقله، أضف إلى ذلك أن الحالة العبادية في أكثرها هي حالة خفية، تهجدها في الليل بكاؤها توسلها وتعلق قلبها بالله وَجَّهَ هذه ليست من الأمور الظاهرة غالباً ولذلك حتى لو أريد تدوين هذه الأمور فإنه يكون من الصعب. نعم كُشف لنا شذرات من هنا وهناك وهي تعكس جانباً مما وراء هذه الشذرات والعناوين، نتحدث عن هذا لكي ننظر إلى صفحة مشرقة قابلة للاقتداء من حياة هذه السيدة الجليلة والصديقة الطاهرة.

هل يتيسر للإنسان أن يجمع بين صفات العبادة والعلم بشكل متكامل.

وعندما نتناول الجانب العبادي في حياة سيدتنا فاطمة، ينبغي أن نلتفت إلى أنه أحد جوانب الكمال في شخصيتها، وليس الجانب الوحيد. ذلك أن من الممكن أن تجد عبدا قد اعتزل الناس فهو متفرغ للصلاة والمناجاة والتهجد، لكنه لا يوجد له جهات كمال آخر. أو تجد عالما محققا قد انقطع للتحقيق والعلم والكتابة والتأليف لكن عبادته ليست في الدرجة العالية، وهكذا..

إنما الكمال كل الكمال هو أننا أمام امرأة هي زوجة وفي أعلى درجات حسن التبعل لزوجها حتى قال فيها: «ولقد كنت أنظر إليها فتنبج عن قلبي الهموم»، وهي أم لأربعة أولاد قد أنجبتهم بشكل متتال تقريبا بحيث كان بين بعضهم والآخر مقدار الطهر فقط كما هو المعروف! وهؤلاء يحتاجون في تربيتهم إلى عناية خاصة، وهي فوق ذلك كانت في أول العمر فقد أنجبت أول أبنائها وهي بحدود الحادية عشر من العمر! وزوجها كان في كثير من الأوقات تحتضنه جبهات القتال وميادين الحرب والتي كان قسم منها بعيدا عن المدينة المنورة، ويحتاج أن يبقى أياما بعيدا عن زوجته لأجل ذلك.

وكانت إلى ذلك تعيش في شدة وصعوبة، وبالذات في أوائل زواجها حتى نقل أنها كانت تقول: «لم يكن عندنا إلا جلد كبش ننام عليه في الليل وفي النهار نبسطه للطعام»، هذه الحالة تسبب

ضغطاً على الرجل وعلى المرأة ومع ذلك - في جانب التبعل والحياة الزوجية - تدير الأمر بهذه الطريقة.

وقد سألته كنوع من الاعتذار - ربما قد بدر منها شيء - في أثناء وصيتها له: «ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك مذعشرتني، قال: معاذ الله أنت أتقى لله وأبر من أن أوبخك بمخالفتي».

إضافة إلى ذلك كانت النساء يأتين الزهراء عليها السلام ويسألنها عن أمور دينهن، فذات مرة جاءت امرأة تسأل، وكل ما تجيب الزهراء مسألته أعادت السؤال كأنها لم تفهم حتى بلغت مراراً - بعضهم قال سبع مرات - فقالت المرأة: كلفتك في هذا. فقالت الزهراء عليها السلام: «لا، كلما أعدت عليّ زاد لي الثواب والأجر».

فكانت عليها السلام تجمع الجانب الزوجي والعلمي والسياسي والعبادي وهذا ما يدل على مقدار العظمة والكمال لدى الزهراء عليها السلام.

◀ الصحيفة الفاطمية:

الدعاء هو صلة بين العبد وربّه، وحديث العبد إلى ربّه، ومناجاة واتصال، وإذا جاء الدعاء من معصوم فإنه يحمل معاني كثيرة، ويزيد المعرفة بالدين والأخلاق وبالله وَجَّهَ.

ولذلك كانت الأدعية أحد مصادر المعرفة الدينية، بل إن بعض العلماء كانوا يستدلون ببعض ما ورد في الأدعية في بحوثهم الفقهية.

فمن باب المثال يستشهد بعض علمائنا بإحدى فقرات دعاء الندبة المنسوب إلى المعصومين عليهم السلام في مسألة فقهية دقيقة جداً في بحث المعاملات حول الشروط، وأنه هل يشمل الشرط الشروط الابتدائية أو لابد أن يكون الشرط تابعاً لأحد العقود؟ وذلك من خلال التأمل في فقرة «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية فشرطوا لك ذلك»^(١) الواردة في ذلك الدعاء.

إذن الدعاء بحد ذاته ليس مجرد أن أقول (يا الله اعف عني)، وهذا ما يميز أدعية المعصومين عن أدعية غيرهم.

وهناك من جمع أدعية الصديقة الزهراء عليها السلام في كتاب بعنوان الصحيفة الفاطمية محاولاً أن يتتبع ما هو موجود من أدعية للزهراء عليها السلام، وحبذا لو قام بعض المؤمنين بطباعة الصحيفة الفاطمية وتوزيعها على الناس حباً بالزهراء ولإظهار شيء من فضلها، ونشر علومها عليها السلام. فإننا نجد مثلاً أن الصحيفة السجادية منتشرة بين المؤمنين والله الحمد، ويتنفعون بها، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للصحيفة الفاطمية.

(١) الأنصاري؛ الشيخ مرتضى: كتاب المكاسب، ج ٥، الشيخ الأنصاري، ص ٢١: لكن لا يبعد منع صدق الشرط في الالتزامات الابتدائية، بل المتبادر عرفاً هو الإلزام التابع، كما يشهد به موارد استعمال هذا اللفظ حتى في مثل قوله عليه السلام في دعاء التوبة: «ولك يا رب شرطي أن لا أعود في مكروهك، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك»، وقوله عليه السلام في أول دعاء الندبة: «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا» كما لا يخفى على من تأملها.

تحتوي هذه الصحيفة الفاطمية أدعية الأيام الخاصة بالصديقة الزهراء عليها السلام وأدعية في طلب الحوائج، وهناك أدعية في المناجاة والتضرع إلى الله ويعزى، وهناك دعاء طويل ومفصل في كيفية الصلاة على النبي محمد وآله، لأن أمر تعظيم النبي وآله وإعلاء منزلته واحترام ذكره، يخالف ما سلكه الطواغيت والمنحرفون في تاريخ الإسلام من أنهم أرادوا القضاء على ذكر النبي وآله.

فقد قال أحدهم: وهذا ابن أبي كبشة^(١) - يقصد النبي وآله - يصرخ به في كل يوم خمس مرات فكأن القائل يصعب عليه أن يذكر أسم النبي وآله، ويصعب عليه أن يوصف بالرسالة والنبوة في الأذان!.

وشبيه بهذا ما قاله الحجاج الثقفي حين خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله وآله بالمدينة، فقال: «تبا لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد

(١) قيل إن أحد أجداد النبي من جهة أمه رفض عبادة الأصنام وما كانت عليه قریش فنعته بالتمرد عليها، ولما جاء النبي وآله بدعوته من الله، أعادوا ذكر أبي كبشة، وكأنها على نفس المسار وشتان! وقد ذكر هذه التسمية عن النبي وآله أبو سفيان عندما كان في مجلس هرقل الروم كما جاء في صحيح البخاري برقم ٢٩٧٨ «أن هرقل.. دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ وآله، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ، فَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ..» يعني أن دولة النبي أصبحت قوية! ونفس التسمية أعادها ابنه معاوية بالنص الذي قلناه في المتن كما نقله الزبير بن بكار في الموفقيات..

الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله»^(١)!

بل إلى يومنا هذا لا تزال بقايا الآثار الأموية (والزيرية)، من تعمد فصل آل النبي عنه في الصلاة عليه وعليه مع وجود أحاديث تنهى عن الصلاة البتراء، تجري في هذا التيار.

ولذلك التزم شيعة أهل البيت عليهم السلام بالصلاة الكاملة على النبي مقرونا به عترته وذريته، وهذا لا ينقص من قدر النبي ولا شأنه ومنزلته. وفي هذا الإطار تعلمنا السيدة الزهراء عليها السلام في دعائها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتعدد بمناسبة ذلك أدوار النبي وأفضاله على الأمة وتبالغ في الدعاء له برفع المنزلة، فكان من دعائها في الصلاة عليه ما يلي:

«اللهم صلّ على محمد كما هديتنا به وصلّ على محمد كما رحمتنا به وصلّ على محمد كما عززتنا به وصلّ على محمد كما فضلتنا به وصلّ على محمد كما شرفتنا به وصلّ على محمد كما بصرتنا به وصلّ على محمد كما أنقذتنا به من شفا حفرة من النار، اللهم بيض وجهه وأعل كعبه وأفلج حجته وأتم نوره وثقل ميزانه وعظم برهانه وافسح له حتى يرضى وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجعله أفضل النبيين والمرسلين عندك منزلة ووسيلة واقصص بنا أثره واسقنا بكأسه وأوردنا حوضه واحشرنا في زمرة وتوفنا على ملته واسلك بنا سبيله واستعملنا بستته غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين».

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٥ / ٢٤٢.

◀ الزهراء وقيام الليل

أول من وصف عبادة الزهراء عليها السلام وأثنى عليها في ذلك هو خالقها سبحانه، فقد ورد في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله «أن الله وَجَّكَ يقول لملائكته: ياملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار»^(١).

وأما وصف رسول الله صلى الله عليه وآله لها ولعبادتها، فقد قال: «أما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي رuchi التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»^(٢).

ويكفي ونلاحظ انتقال فاطمة من بيت أبيها إلى بيت أمير المؤمنين وأي مستوى رuchi وعبادي كانت تفكر فيه، فقد نقلوا أنها عليها السلام بعد زواجها وكانت بين العاشرة والحادية عشر من العمر، فلما زفت إلى دارها، رآها أمير المؤمنين عليه السلام تبكي فسألها عن ذلك فقالت له: إن دخولها في فراشها ذكرها بدخولها في قبرها، فاقترحت عليه أن يحيا الليلة تلك بالعبادة!.

وبحسب ما نقله المرحوم السيد المرعشي في شرح إحقاق

(١) الشيخ الصدوق: الأمالي، ص ١٧٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

الحق ٢٣ / ٤٩٣ في قصة زفاف فاطمة: «فلما دخل الليل ودخل على فاطمة رآها تبكي، فقال: ما يبكيك؟ أما ترضي أن أكون لك بعلا وتكوني لي أهلا. قالت: بلى، ولكنني تفكرت في حالي وأمري عند ذهاب عمري ونزولي في قبري، فشبهت دخولي في فراشي بمنزلي كدخولي إلى لحدي وقبري، فأنشدك الله أن قمت إلى الصلاة فنعبد الله تعالى هذه الليلة، فكانا يقطعان الليل والنهار بالصلاة حتى مضت عليهما ثلاثة أيام، حتى باهى الله بهما الملائكة المقربين وجعلهما شفيعا في العصاة والمذنبين».

نقول هذا ليتأمل فيه الأزواج والزوجات ممن (يحيون) ليلة الزفاف إلى الفجر في الغناء المحرم والمظاهر التي لا ترضي الله، ثم يقولون هي ليلة العمر! ومن عجب أن هذه الليلة التي كان ينبغي أن تكون عنوان حياتهما في طاعة الله حيث الزواج هو اعلان الطاعة ورفض قضاء الشهوة بغير ما يرضي الله، فإذا بها تتحول إلى إعلان المعصية، والتمرد على أوامر الله!!.

ولأجل ذلك كان من المستحب للزوجين في ليلة الزفاف أن يصليا ركعتين ويدعوا ربهما تعالى أن يرزقهما الود والسعادة والذرية الصالحة.

إن انتقالات الإنسان الحقيقية في هذه الحياة هي ثلاثة؛ انتقال من بطن أمه إلى الدنيا، ومن بيت عائلته إلى بيت الزوجية، ومن الدنيا إلى قبره.

◀ الزهراء قدوة أبنائها في التهجد:

فقد روي عن الإمام الحسن أنه قال: «رأيت أُمِّي فاطمة قد قامت ليلتها فلم تزل راکعة وساجدة حتى طلع الفجر، وسمعتها تدعو لكل الناس فلما انفتلت، قلت لها يا أُمّاه: رأيتك قد دعوت لسائر الناس ولم تدعي لنفسك! فقالت: يا بني، بلى، الجار قبل الدار».

وروي عن أهل البيت عليهم السلام أن الإنسان إذا دعا لأخيه المؤمن بظاهر الغيب رد عليه أضعاف ما دعا به لصاحبه.

عن علم فاطمة الزهراء

ورد في الخبر المعتبر عن سيدنا ومولانا أبي عبدالله الصادق سلام الله عليه أنه قال: «إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلوات الله وآله خمسة وسبعين يوماً فدخلها من ذلك همٌ عظيمٌ وحزنٌ شديدٌ على أبيها فكان جبرئيل عليه السلام ينزل عليها يحسن عزائها ويطيب نفسها ويخبرها عن مكان أبيها ومقامه ويخبرها عما يجري على ولدها وكان عليٌّ يكتب ذلك فسمي هذا مصحف فاطمة عليها السلام»^(١).

من هذا الحديث الذي نقل بطريق معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام نطلق للحديث عن بعض مظاهر علم فاطمة الزهراء عليها السلام.

لا يمكن لنا بطبيعة الحال ان نحيط بأطراف العلم الفاطمي لسعته وشموله وتعدد مناحيه فإنها المعصومة عليها السلام بل هي الحجة على أبنائها.. كما ورد في حديث عن المعصومين عليهم السلام «نحن حجج

(١) الكليني، الكافي (مُشكَّل) ١ / ٢٤١: مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ حَبُوبٍ عَنْ ابْنِ رِثَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ.

الله على الخلق وأمنا فاطمة عليها السلام حجة علينا^(١). فإذا كانت حجة على الحجج فيكفي هذا منزلة لمعرفة مقدار سمو علمها.

لكن بمقدار ما يتيسر له وعاوننا وبمقدار وما نتعقله بأفكارنا نحاول ان نسلط بعض الضوء على جوانب من هذا العلم الفاطمي.

وفي هذا دعوة مهمة لكلا الطرفين من الرجال والنساء من اتباع فاطمة الزهراء عليها السلام للإقتداء بها عليها السلام والتأسي بطريقتها والإحاطة بقدر الإمكان بمكانة العلم والمعرفة لدى الزهراء عليها السلام.

وذلك لأنك عندما تكون ولياً لأعلم خلق الله وَعَلَيْكُمْ فينبغي ان تتناسب في علمك معهم. لا يليق بمن يقتدي بأعلم الخلق ان يكون جاهلاً.. ولا يليق به ان يزهد في العلم والمعرفة، سواء كان العلم الديني والمعرفة الإسلامية او المعرفة الدنيوية، والاول أولى لما يترتب عليه من مسؤوليات دينية.

◀ الله تعالى هو المعلم الأول لفاطمة الزهراء عليها السلام؟! ▶

تارة نتحدث عن تعليم الله وَعَلَيْكُمْ لها.. وهذا مفاد الحديث المعبر الوارد في مصحف فاطمة عليها السلام فإن معلمها الأول هو ربها سبحانه، حيث كان ينزل عليها جبرئيل ويخبرها الأخبار المختلفة مما يأتي عند الحديث عن مصحف فاطمة.

(١) المسعودي، الشيخ محمد فاضل، الأسرار الفاطمية ص ١٧: ذكر أنه ورد عن الإمام العسكري عليه السلام بينما ذكر المرجع الديني السيد محمد صادق الروحاني في موقعه أنه عن الإمام الصادق عليه السلام.

فإنها عليها السلام في فترة خمسة وسبعين يومًا تلقت من العلوم والمعارف من الله وَعَلَّمَكَ عبر جبرئيل عليه السلام ما يعادل ثلاث مرات من حجم القرآن الكريم...

وهذا يعني أنه إذا كان القرآن الكريم حوالي ستمائة صفحة مطبوعة وفيه ما فيه من العلوم، فإنها قد تلقت من العلوم بالإضافة إلى ما كانت تعرفه من علوم القرآن، ثلاثة أضعاف حجمه فيما سيسمى فيما بعد بمصحف فاطمة وهو ليس آيات ولا أحكامًا وإنما معارف آخر.

ولا غرابة في ذلك... فقد خاطبت الملائكة مريم عليها السلام ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ وفاطمة سيدة نساء العالمين قاطبة أفضل من مريم، لأن مريم اصطفت على نساء عالمها بينما فاطمة سيدة نساء العالمين جميعا. وخاطبت الملائكة سارة مبشرة لها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وعندما تعجبت رفعوا عنها العجب بأن أمر الله لا تحده حدود طبيعية. وأن هذا هو من رحمة الله تعالى بأهل ذلك البيت!.

وأخرى عن المعلم الثاني لفاطمة عليها السلام وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقد كان يخصها كعلي بالعلوم. وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديثه عن قربته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. حيث يشير عليه السلام إلى أن كان إذا دخل علي على النبي في بعض منازل أخلاه وأقام النساء حتى المقربات منهن كأم سلمة! ولكنه إذا جاء لعلي عليه السلام في منزله لم يخل المجلس من فاطمة ولا من الحسنين.

ولذلك فمن أعجب العجب بعد هذا أن نجد السيوطي^(١) يقول إن مروياتها في كتب الأحاديث ثمانية عشر والمتفق عليه واحد!! وأعجب من هذا روايته في ذلك (المسند!!) بما خالف فيه مشهور المؤرخين من غير الإمامية، وإجماع محدثي الإمامية ومؤرخيهم أن الذي صلى على فاطمة هو أبو بكر وأن علياً قدمه في ذلك!! وفي هذا المسند بالرغم من أن السيوطي قد أورد فيه ٢٨٤ رواية إلا أن المروي عن فاطمة مما ينطبق عليه عنوان المسند بشكل دقيق هو ٢٤ رواية فقط!.

◀ خُطْبُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

وبعد ذلك نقول إن من تجليات علم فاطمة الزهراء (عليها السلام)، خطبتها في المسجد وقد مر طرف من الكلام في خصائصها وميزاتها وعموم مواضيعها وطرق استدلالها فيها.

كما كان لها خطبة أخرى في نساء المهاجرين والأنصار وهي وإن كانت أقصر من خطبتها في المسجد إلا أنها أعادت فيها خلاصة لما ذكرت هناك مما يرتبط بأمر خلاف الخلافة على أمير المؤمنين (عليه السلام) وكونه أحق وأولى منهم بالقيادة، وأيضا عتابها الشديد لأزواجهن، ولا ريب أنهن قد بلغن أزواجهن بموقفها. فعن ابن عباس، قال: دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله ﷺ يعدهن في علتها، فقلن لها: السلام عليك يا بنت رسول

(١) السيوطي، جلال الدين: مسند فاطمة الزهراء، مقدمة الكتاب.

الله، كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد إذ عجمتهم، وسئمتهم بعد إذ سبرتهم، فقبحا لأفون الرأي وخطل القول وخور القناة، و﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، ولا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم عارها، فجدعا ورغما للقوم الظالمين.

«ويجهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيين بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام?! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته^(١) بحتفه وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لا عتلقه، ثم لسا ربهم سيرا سجحا، والله لا يكلم خشاشه، ولا يتنعع راكبه، ولأوردهم منهلا رويا فضفاضا، تطفح ضفته، لأصدرهم بطانا قد خثر بهم الري غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردع سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

فهلهم فاسمع، فما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب بعد الحادث، فما بالهم بأي سند استندوا، أم بأية عروة تمسكوا؟ ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ و﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

(١) الفقرة نقلها الطبرسي في كتابه الاحتجاج وهي أكثر استقامة مما نقله في الأمالي.

استبدلوا الذنابي بالقوادم، والحرون بالقاحم، والعجز بالكاهل، فتعسا لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَقَمْنِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟.

لقت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا وذعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا بعد ذلك عن أنفسكم نفسا، ثم اطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم وقد عميت عليكم الأنباء ﴿أَنْزَلْنَاهُ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾.

ونعيد إلى الذكر ما سبق قوله من الميزات الموجودة في خطبتها المعروفة في المسجد من اقتباساتها القرآنية فهي هنا حاضرة، والنسيج هو نفس النسيج والأسلوب هو الأسلوب. لكن الإضافة فيها هو تنبؤ الزهراء عليها السلام بمستقبل الأمة ورؤيتها للأزمات التي ستقع فيها والمشاكل التي ستورط فيها. وباختصار شديد سنشير إلى نقاط في خطبتها هذه:

(١) في جوابها على سؤال كيف أصبحت من علتك؟ يظهر أن توقيت الزيارة كان بعد إجهاض الزهراء جنينها، وهذا أحد القرائن على حصول تلك الحادثة. فإنه لم تكن هناك علة أخرى في فاطمة! وجوابها بدل أن يكون التشكي من الألم البدني أو النزيف

كان في اتجاه أوسع يتناول حال المسلمين على أثر الانقلاب على أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت أصبحت عائفة (زاهدة) في دنياكن، قالية (مبغضة) لرجالكن، لا لجهة شخصية وإنما لكون مواقفهم مواقف خذولة، وآراءهم آراء فاسدة.

(٢) تتساءل تساءل العارف بالجواب، بعد أن تقرر أنهم زحزحوا القيادة عنه.. لماذا؟ وماذا نقموا منه؟ وما الذي عابوه فيه؟ فتقول إن نفس نقاط قوته وتميزه هي التي عابوها فيه، نقموا منه نكير سيفه في المعارك وقلة مبالاته بحتفه بينما هم لا يستطيعون مجاراته في ذلك، ثم تسترسل في ذكر صفات ذلك الشخص الخبير بأمور الدنيا والدين والذي قامت عليه قواعد الرسالة.. ثم تضرب مثالا مما كان منه ومنهم من أنه لو أمر رسول الله ﷺ بتحمل قضية من القضايا لتكافوا عنها وابتعدوا ولكنه يأخذها بأمر رسول الله وخير والخذلق وغيرهما شواهد، ولو جعل زمام القيادة إليه لसार بالأمة سيرا هادئا مطمئنا على بصيرة، لا يتعزع الراكب فيه ولا تجرح الدابة من خلاله حتى يوصله إلى المنهل العذب الذي يرويه في الوقت الذي لا يشبع هو منه إلا بمقدار ما يواصل المسير!.

(٣) ويزداد تعجبها حين تقارن بينه وبين المستولين على موقع القيادة فتقول إنهم آخروا من كان ينبغي أن يتقدمهم وقدموا من كان ينبغي أن يتأخر! هل رأيت طيرا يطير بينما قوادم ريشه في الخلف وذناباه في المقدمة؟.

ويترتب على ذلك أن الناس لا يدركون ضخامة المشكلة ووخامة العلة التي ابتليت بها الأمة، لكن ما هي إلا سنوات حتى تستفيق هذه الأمة على أن ما كانوا يظنونونه لبنا سائغا مريا عادسًا ممقرا مبيدا، وأن السيف بدأ يحصد الرقاب مثلما أن السارقين يحصدون تعب الناس ولا يعطونهم سوى قوت من لا يموت! «وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيكم زهيدا، وجمعكم حصيدا» لكن ماذا تستطيع الزهراء أن تصنع أكثر من النصح والتحذير؟ ﴿أَنْزِلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾؟.

◀ مسند الزهراء (عليها السلام):

المسند في تعبير أهل الحديث ما كان الحديث فيه ينتهي إلى راو محمد كابن عباس مثلا، فيجمع المؤلف الأحاديث التي تنتهي إلى هذا الراوي ثم لرسول الله، وعلى هذا الاساس صنف المؤلفون كتبهم فهو هنا مثلا لا يأتي بحديث يرويه أبو سعيد الخدري حتى لو كان يتصل بموضوع الحديث الآخر، وإنما يعتمد على الحديث المنتهي باسم فلان من الرواة.

وعندما يقال مسند فاطمة، يقصد بذلك الأحاديث التي روتها فاطمة (عليها السلام)، عن رسول الله (ﷺ)، أو هي قالتها بنفسها كما هو رأي الإمامية حيث يرون حجية قولها هي كقول النبي (ﷺ) لا بما هي راوية فقط خلافا للمدرسة الأخرى.

وقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى أنه قد صنف الحافظ

السيوطي من علماء مدرسة الخلفاء (توفي سنة ٩١١ هـ) كتابا باسم مسند فاطمة وأورد فيه (٢٨٠) حديثاً. ولكن لاحظ عليه بعض العلماء أنه ليس كل الأحاديث الموجودة فيه قد روتها فاطمة عليها السلام وإنما كان قد يضع أي حديث فيه اسم فاطمة في هذا الكتاب.. فإذا رأى حديثاً فيه حب النبي لفاطمة عليها السلام فإنه يضعه في هذا الكتاب، وهذا مخالف لاصطلاح المسند الذي عرّفناه آنفاً.

كما يلاحظ عليه أنه أغفل ما يعد أهم أقوالها وأحاديثها مضمونها وأسلوبها وهو خطبتها اللتان خطبتها؛ في المسجد والأخرى أمام نساء المهاجرين والأنصار وقد مر الحديث فيهما سابقاً، ولعل موقف السيوطي العقدي منعه من إيراد هاتين الخطبتين وإلا فقد كانتا مشهورتين قبل زمانه.

وأما عند الشيعة فقد كتب العلامة السيد حسين التويسركاني كتاباً بعنوان مسند فاطمة الزهراء عليها السلام في نحو ٤٥٠ صفحة أورد فيه ٢٦٠ حديثاً مما روته السيدة الزهراء أو ورد قولها وكلامها فيه أو كان يخصها بنحو من الأنحاء^(١). كما كتب العلامة الشيخ عزيز الله عطاردي كتاباً بنفس العنوان اشتمل على عرض لحياة السيدة الزهراء عليها السلام وفضائلها ومناقبها وما جرى عليها بعد وفاة الرسول

(١) جاء في محتوياته عناوين مثل: فضائل الزهراء: في أنها سيدة النساء وأنها في درجة النبي في الجنة وفي دعاء النبي لها وزهدها وخشيتها من الله وكذلك في زواجها وما روته عن أبيها ومن ذلك حديث الثقلين، وفي بيانها للأحكام الشرعية، وفي حججها وأحاديث حول أمها خديجة وزوجها أمير المؤمنين وأبنائها وأختها رقية.

الأكرم عليه السلام وفي فصله الثاني أورد الروايات الواردة عن فاطمة الزهراء عليها السلام حول الأحكام والسنن. كما عرض في فصله الثالث: إلى الذين رووا عن الزهراء عليها السلام مع شرح بسيط لهم.

وسنعرض لبعض تلك الروايات التي نقلت عنها عليها السلام:

◀ باب العقائد:

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه أثناء شرح الخطبة الفدكية التي خطبتها في المسجد وكيف تحدثت عن معرفة الله تعالى وصفات النبي وجهاده فقد روي عنها حديث الثقلين الذي تدور عليه رحي المناقشات العقائدية وإثبات حقانية مذهب أهل البيت ولزوم اتباع سنتهم كاتباع القرآن حيث هما العاصمان من الضلال..

◀ حديث الثقلين:

عن فاطمة الزهراء قالت: سمعت أبي عليه السلام في مرضه الذي قبض فيه يقول، وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب ربي ﷻ وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فقال: «هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيها»^(١).

وكان النص على الأئمة المعصومين مكان في حديث فاطمة عليها السلام.

(١) نقله التويسركاني في مسند الزهراء، عن ينابيع المودة لذوي القربى، ج ١، القندوزي، ص ١٢٤.

فقد نقلت عن أبيها رسول الله ﷺ : «أن الأئمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل» قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

وحديث اللوح عن جابر بن عبد الله الأنصاري عنها عليها السلام مشهور ومعروف، وقد نقله إمام عن إمام؛ فعن أبي عبد الله (جعفر بن محمد الصادق) عليه السلام، قَالَ: «قَالَ أَبِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَمَتَى يَخْفُ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُو بِكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهَا؟ فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: أَيَّ الْأَوْقَاتِ أَحْبَبْتَهُ، فَحَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللُّوحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللُّوحِ مَكْتُوبٌ. فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَبَّتْهَا بَوْلَادَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحًا أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمْرِدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَابًا أَبْيَضَ شَبَهَ لَوْنَ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمِّي وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا اللُّوحُ؟ فَقَالَتْ: هَذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فِيهِ أَبِي وَاسْمُ بَعْلِي وَاسْمُ ابْنِي وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي، وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُبَشِّرَنِي بِذَلِكَ.

قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْطَنِيهِ أُمُّكَ فَاطِمَةُ عليها السلام، فَقَرَأْتُهُ، وَاسْتَنْسَخْتُهُ. فَقَالَ أَبِي: فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَمَشَى مَعَهُ أَبِي إِلَى مَنْزِلِ جَابِرٍ، فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ، انْظُرْ

فِي كِتَابِكَ لِأَقْرَأَ عَلَيْكَ، فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسخِهِ، فَقَرَأَهُ أَبِي، فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفًا، فَقَالَ جَابِرٌ: فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبًا..^(١)، ونقل تمام الحديث وفيه أسماء المعصومين عليهم السلام.

◀ في الفقه والتشريع:

عَنْ زُرَّارَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَضَاءِ الْحَائِضِ الصَّلَاةَ، ثُمَّ تَقْضِي الصَّيَامَ؟.

قَالَ: «لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ الصَّلَاةَ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ عليها السلام، وَكَانَتْ تَأْمُرُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنَاتِ»^(٢).

وهذه الرواية مما يستدل به بالإضافة إلى المسألة الفرعية وهي قضاء الحائض الصوم دون الصلاة، يستدل به في النقض على أصحاب منهج القياس وتحكيم العقل في غير مجاله كالأمور العبادية، فإنه لو نظرنا بحسب القياسات العادية لكان يجب أن تقضي الصلاة فإن الصلاة عمود الدين وأكثر أهمية من الصوم في منظومة التشريع لكنها تقضي الصوم (الذي فرض أنه أقل أهمية) ولا تقضي الصلاة (التي فرضت أنها أهم من الصوم).

◀ في الأخلاق والتربية الروحية

نقل الطبراني بسنده عن عبد الله بن مسعود فقال: جاء رجل إلى

(١) الكليني، الكافي (دار الحديث) ٢/ ٦٨٢

(٢) الكليني، الكافي (دار الحديث) ٥/ ٢٨٥

فاطمة فقال: يا بنت رسول الله هل ترك رسول الله ﷺ عندك شيئا تطرفينه؟ فقالت: يا جارية هات تلك الجريدة! فطلبتها فلم تجدها. فقالت: ويحك اطلبيها فإنها تعدل عندي حسنا وحسنا! فطلبتها فإذا هي قد قمتها (أي كنستها) في قيامتها! فإذا فيها قال النبي محمد ﷺ:

- ◀ ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه.
- ◀ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.
- ◀ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.
- ◀ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت.
- ◀ إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ويبغض الفاحش البذي السؤال الملحف.
- ◀ إن الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والفحش من البذاء والبذاء في النار^(١).

وفي هذا الحديث ما يدل على القيمة العالية التي تراها فاطمة الزهراء عليها السلام لأحاديث أبيها رسول الله ﷺ إلى حد أنها (تعدل حسنا وحسنا)! وتشير أيضا إلى أن الأحاديث الأخلاقية لا ينبغي التعامل معها على أنها أمور مستحبة فقط وإنما هي قبل ذلك منهاج حياة وطريقة عيش يقررها الدين للإنسان. بدءا من العلاقة الآمنة مع الجار، وإكرام الضيف إلى السلوك الشخصي بحيث يضبط كلامه بضابط (فليقل خيرا أو ليسمت)!

(١) نقله التويسركاني في مسند فاطمة، والطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ١٩٦.

ويقيناً لو أن كل إنسان التزم بمثل هذه التوصية وضبط بها كلماته ومناقشاته في المجتمع لاستراح المجتمع من كثير من النزاعات والمشاكل الاجتماعية ولتوفر الكثير من وقت الناس فيما هو النافع والمفيد.

وفي مجال التربية الروحية لها أدعية^(١) وأحاديث؛ منها ما نقلته عن أبيها رسول الله فقالت: «دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ وإني قد افترشت الفراش وأردت أن أنام، فقال: يا فاطمة، لا تنامي حتى تعملي أربعة أشياء: حتى تحتمي القرآن، وتجعلي الأنبياء شفعاك، وتجعلي المؤمنين راضين عنك، وتعملي حجة وعمرة، ودخل في الصلاة، فتوقفت على فراشي حتى أتم الصلاة.

فقلت: يا رسول الله، أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إذا قرأت قلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثلاث مرّات فكأنك قد ختمت القرآن، وإذا صلّيت عليّ وعلى الأنبياء من قبلي فقد صرنا لك شفعا يوم القيامة، وإذا استغفرت للمؤمنين، فكلّهم راضون عنك، وإذا قلت: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فقد حججت واعتمرت»^(٢).

(١) جمعها السيد محمد باقر الموحّد الابطحي في كتاب بعنوان الصحيفة الفاطمية الجامعة، كما جمع بعض الأفاضل بعض أدعيّتها في كتاب صغير بعنوان صحيفة فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٢) الزيدي، عباس الإسماعيلي، ينابيع الحكمة ٥ / ١٩١ ونقله في مسند الزهراء عن خلاصة الأذكار.

كلمة شكر

للإخوة الفضلاء الذين تعاونوا في كتابة وتدوين أصل هذه المحاضرات جزاهم الله خير الجزاء:

باسم النور، وأحمد العرب، ونزار الناصر، وأحمد الحسين،
وياسر العرب، ورضا الرشيد، وعاصم السلطان وأبي محمد العباد
، وعبد الأمير أبي علي، وأخيرا المخرج البارع أبي حيدر .

أسأل الله أن يكرمهم وإيانا بشفاعة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

كما أشكر الأخوات الفاضلات اللاتي ساهمن في تدوين
القسم المضاف للطبعة الثالثة:

انتصار الرشيد، وزهراء العوى، ونور المجتبى، وندى
القروص، وغدير الغزيوي، وفاطمة الخويلدي، وهديل الزبيدي،
وأفراح البراهيم، وليل الشافعي، وسلمى بوخمسين، وطالبة العلم
من قم.

المصادر بعد القرآن الكريم

حيث أن أكثر المصادر التي تم اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، فسيتم الإشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والمطبعة كما جاءت على تلك المواقع، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت -الموقع الإلكتروني- <https://ablibrary.net/#/>. وبعض كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق تراث تطبيق app.turath.io وهناك نسخ كتب تم تنزيلها في صفحات أو مواقع مخصصة لهذا الغرض على الانترنت، سيشار إليها.. ويكتب كاملاً. ولا يخفى أن قسماً من معلومات هذه الطبعات قد لا تكون موجودة بالكامل.

١. الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء - بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٥م

٢. الإشبيلي؛ عبد الحق بن عبد الرحمن: الجمع بين الصحيحين، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

٣. الألباني؛ محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٤. الألباني؛ محمد ناصر الدين: ضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
٥. الأميني النجفي؛ عبد الحسين أحمد: الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م
٦. الأميني؛ محمد هادي: أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه، دار الغدير للمطبوعات
٧. الأنصاري؛ الشيخ مرتضى: كتاب المكاسب، لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤١٥
٨. البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
٩. البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية - قم ١٣٩٩ هـ
١٠. الترمذي؛ محمد بن عيسى: الجامع الكبير - سنن الترمذي،

تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت
١٩٩٨م

١١. البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي: السنن الصغير، ت عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

١٢. التميمي: محمد بن حبان بن أحمد: صحيح ابن حبان تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

١٣. ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١٤. ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي: مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ت د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

١٥. ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

١٦. ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي: الموضوعات، ت عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

١٧. الحر العاملي؛ الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى
تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني
الشيرازي، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان

١٨. ابن حمدون؛ محمد بن الحسن بن محمد: التذكرة الحمدونية، دار
صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ

١٩. الحميدي؛ أبو عبد الله بن أبي نصر: الجمع بين الصحيحين
البخاري ومسلم، ت. د. علي حسين البواب، دار ابن حزم -
بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٢٠. الحميري؛ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق:
مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

٢١. الخوئي؛ اسماعيل الأنصاري الزنجاني: الموسوعة الكبرى عن
فاطمة الزهراء عليها السلام، منشورات دليل ما، قم إيران، ١٤٢٨ هـ
٢٢. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء،
تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ/
١٩٨٥

٢٣. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: ميزان الاعتدال
في نقد الرجال، ت. علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة
والنشر، بيروت، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

٢٤.الراجحي؛ عبد العزيز بن عبد الله: شرح الاقتصاد في الاعتقاد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http: //www.islamweb.net

٢٥.الروحاني؛ السيد محمد صادق: السيدة الزهراء بين الفضائل والظلمات (أجوبة استفتاءات)، امين الله، قم، ايران ١٣٩١

٢٦.الزيلعي؛ عبد الله بن يوسف بن محمد: تخریج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسیر الكشف للزمخشري، ت عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ١٤١٤ هـ

٢٧.سبط ابن العجمي؛ إبراهيم بن محمد الطرابلسي: الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، ت صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية - بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٢٨.آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن علي، دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٢١

٢٩.آل سيف؛ فوزي: من قصة الديانات والرسل، دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٢١

٣٠.السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع (الجامع الكبير) تحقيق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة

٣١.السيوطي؛ جلال الدين: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني

٣٢. الصنعاني؛ محمد بن إسماعيل بن صلاح: التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، ت. د. مُحَمَّدُ إِسْحَاقُ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

٣٣. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأُمَالِي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم

٣٤. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم ايران

٣٥. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان

٣٦. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٣٧٩ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع منشورات المكتبة الحيدرية، النجف

٣٧. الصدوق؛ محمد علي بن بن بابويه: التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم

٣٨. الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي الشامي؛ المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة

٣٩. الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج، ت السيد محمد باقر
الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف،
١٣٨٦ - ١٩٦٦ م

٤٠. الطبري، محمد بن جرير (الإمامي) دلائل الإمامة، مركز
الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم

٤١. الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ
الرسل والملوك، دار التراث - بيروت ١٣٨٧

٤٢. الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: المنتخب من ذيل المذيل،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت

٤٣. الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي
القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار
هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

٤٤. الطحاوي؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة: شرح مشكل الآثار،
ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

٤٥. الطوسي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن: الأمل، دار الثقافة
للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق مؤسسة البعثة - قم ١٤١٤

٤٦. العسقلاني، ابن حجر: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من
أطراف العشرة، ت زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٤٧. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

٤٨. عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الرضا، المؤتمر العالمي
للإمام الرضا عليه السلام ١٤٠٦ هـ

٤٩. القمي؛ الشيخ عباس: الكنى والألقاب، مكتبة الصدر -
طهران

٥٠. القندوزي؛ الشيخ سليمان بن ابراهيم: ينابيع المودة لذوي
القربى، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني دار الأسوة
للطباعة والنشر ١٤١٦

٥١. المازندراني؛ محمد بن علي بن شهر آشوب: مناقب آل أبي
طالب، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٦

٥٢. المباركفوري؛ صفى الرحمن: الرحيق المختوم، دار العصماء -
دمشق ١٤٢٧

٥٣. المتقي الهندي؛ علي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن
الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا،
مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٥٤. المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء -
بيروت - لبنان ١٤٠٣ - ١٩٨٣

٥٥. المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل

الرسول، ت السيد هاشم الرّسولي، دار الكتب الإسلامية
طهران، ١٤٠٤

٥٦. المحجوب؛ ياسين الخليفة الطيب: إجلاء الحقيقة في سيرة
عائشة الصّديقة، مؤسسة الدرر السنية، طهران - السعودية،
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

٥٧. المزني؛ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل: السنن المأثورة للشافعي،
ت د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٦
٥٨. المزني؛ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: تهذيب الكمال في
أسماء الرجال، ت د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة -
بيروت، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

٥٩. المسعودي؛ الشيخ محمد فاضل: الأسرار الفاطمية، مؤسسة
الزائر في الروضة المقدسة للطباعة والنشر، قم ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م
٦٠. المشغري العاملي؛ يوسف بن حاتم الشامي: الدرر النظيم،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم إيران

٦١. ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن محمد: مناقب أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: تركي بن عبد الله الوادعي،
دار الآثار - صنعاء ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٢. الموسوي؛ السيد عبد الحسين شرف الدين: أبوهريرة، مؤسسة
أنصار بيان للطباعة والنشر، قم إيران

٦٣. الموسوي؛ علي بن الحسين: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق د. صبحي الصالح

٦٤. الميلاني؛ السيد علي الحسيني: محاضرات في الاعتقادات، مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران ١٤٢١

٦٥. النسائي؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ت أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا - الكويت، ١٤٠٦

٦٦. النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١

٦٧. الهلالي الكوفي؛ سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ت محمد باقر انصاري، نشر الهادي - قم

٦٨. الهيثمي؛ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٦٩. أبو يعلى؛ أحمد بن علي بن المثنى الموصلي: المعجم، ت إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، ١٤٠٧

٧٠. اليزدي؛ عباس الإسماعيلي: ينابيع الحكمة، مسجد جهمكران - قم ١٤٢٨ هـ

فهرس

مقدمة الطبعة الثالثة.....	٥
مقدمة.....	٧
الزهاء ما قبل الميلاد إلى الاستشهاد.....	٩
الزهاء للإمام عليّ: اشتملت شملة الجنين.....	٤٩
عدم دفع الإمام الهجوم ... ألا يعد جناً؟.....	٥٩
مناقب الزهاء وتنكر الاتجاه الأموي.....	٦٩
◀ الاتجاه الأموي المتنكر لفصائل المعصومين:.....	٧٤
أسانيد خطبة فاطمة الزهاء.....	٨٣
◀ حقيقة نسبة الخطبة للزهاء.....	٨٥
◀ الأولى: هل البرهان العقلي يحتاج إلى سند لإثباته؟.....	٨٦
◀ الثانية: استفاضة الخطبة تغني عن تتبع سندها.....	٩١
◀ الثالثة: متن الخطبة يصح سندها.....	٩٣

- ◀ رابعاً: هل القضايا التاريخية كالقضايا الفقهية تحتاج لسند متصل لاثباتها؟ ٩٦
- ◀ ورود الخطب في الكتب اللغوية والتاريخية ٩٨
- الخطبة الفدكية ميزاتها ومواضيعها ١٠١
- ◀ الخطبة بين الخطاب العقلي والعاطفي ١٠٣
- ◀ المنهج المنطقي لإحداث التغيير في المجتمع ١٠٥
- ◀ جمع الزهراء في خطبتها بين تحليل القضية وتحمل المسؤولية .. ١٠٧
- ◀ مجمل مواضيع الخطبة ١٠٩
- ◀ بداية خطبة الزهراء بالحمد والثناء ١٠٩
- ◀ تعريف الزهراء لله تعالى وتنزيهه عن الرؤية ١١٠
- ◀ تعريف الزهراء للنبي ١١٣
- ◀ وصف الزهراء لحالة الأمم قبل بعثة النبي ١١٣
- ◀ حديثها عن القرآن الكريم: ١١٤
- ◀ حديث الزهراء عن التشريع وفلسفته ١١٥
- ◀ أعلموا أني فاطمة ١١٦
- ◀ حديثها عن جهاد علي بين يدي رسول الله ١١٧
- ◀ احتجاجها على الخليفة الأول ١١٧
- ◀ استنهاض المهاجرين والأنصار للنصرة ١١٨
- الاقتباس القرآني في خطبة فاطمة الزهراء ١٢١
- ◀ سلامة القرآن الكريم من التحريف ١٢١
- ◀ ظواهر القرآن الكريم حجة على الإنسان المسلم ١٢٣

- ◀ بلاغة الزهراء في طريقة الاقتباس من القرآن الكريم: ١٢٦
- ◀ ثلاثة عشر اقتباساً بديعاً للزهراء من القرآن الكريم: ... ١٢٨
- ◀ الاقتباس الأول ١٣١
- ◀ الاقتباس الثاني ١٣٢
- ◀ الاقتباس الثالث ١٣٣
- ◀ الاقتباس الرابع ١٣٤
- ◀ الاقتباس الخامس ١٣٤
- ◀ الاقتباس السادس والسابع ١٣٥
- ◀ الاقتباس الثامن ١٣٧
- ◀ الاقتباس التاسع ١٣٨
- ◀ الاقتباس العاشر إلى الثالث عشر ١٣٨
- التوحيد في خطبة فاطمة الزهراء ١٤١
- ◀ الابتداء بالحمد ميزة الخطاب الإسلامي ١٤٢
- ◀ التعريف بالله تعالى: أشهد أن لا إله إلا الله ١٤٥
- ◀ استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة ١٤٨
- ◀ ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ١٥١
- النبى محمد كما تصفه الزهراء في الخطبة الفدكية ١٥٣
- ◀ متى تم الاصطفاء الإلهي لرسول؟ ١٥٤
- ◀ أقسام العالم: عالم الواقع وعالم التقدير ١٥٤
- ◀ عالم الواقع ١٥٤
- ◀ عالم التقدير: ١٥٥

- ◀ اصطفاء رسول الله كان في عالم التقدير: ١٥٥
- ◀ الديانات المنتشرة في الجزيرة العربية ١٥٧
- ◀ بزوغ فجر رسول الله في عالم الواقع ١٥٩
- ◀ معاناة النبي في تبليغ الرسالة: ١٦١
- مقاصد التشريع الإسلامي في خطبة الزهراء ١٦٣
- ◀ هل التعبير بالايان هو الصحيح أو العقيدة؟ ١٦٥
- مجتمع المدينة بعد النبي في الخطبة الفدكية ١٧٣
- ◀ الفئة الأولى: فئة أهل البيت ١٧٤
- ◀ الفئة الثانية: فئة التيار القرشي ١٧٤
- ◀ الفئة الثالثة: فئة الأنصار ١٧٥
- ◀ موقف النبي وأهل البيت من الأنصار ١٧٧
- فدك: قضية الزهراء التاريخ والدلالات ١٨٥
- ◀ أولاً: فدك جغرافياً وتاريخياً ١٨٦
- ◀ ثانياً: فقه قضية فدك، وكيفية تعامل الخلافة معها ١٩١
- ◀ ثالثاً وأخيراً: فدك.. رمز الحق المغصوب ١٩٧
- نص خطبتي فاطمة الزهراء ١٩٩
- ◀ (١) خطبتها في المسجد (المشهورة بالخطبة الفدكية) ١٩٩
- ◀ (٢) خطابها لنساء المهاجرين والأنصار ٢١٢
- مصحف فاطمة الزهراء ٢١٧
- ◀ هل مصحف فاطمة قرآن آخر يعتمد عليه الشيعة؟ .. ٢١٧

- ◀ منشأ وجود مصحف فاطمة ٢١٨
- ◀ إشكال البعض في نزول جبريل على فاطمة ٢١٩
- ◀ النموذج الأول: نزول الملائكة على مريم بنت عمران ... ٢٢٠
- ◀ النموذج الثاني: عبّاد بني اسرائيل ٢٢١
- ◀ مضمون مصحف فاطمة ٢٢١
- ◀ أثر مصحف فاطمة على أهل البيت ؟ ٢٢٥
- عبادة فاطمة الزهراء ٢٢٧
- ◀ الصحيفة الفاطمية ٢٢٩
- ◀ الزهراء وقيام الليل ٢٣٣
- ◀ الزهراء قدوة أبنائها في التهجد ٢٣٥
- عن علم فاطمة الزهراء ٢٣٧
- ◀ الله تعالى هو المعلم الأول لفاطمة الزهراء ؟! ٢٣٨
- ◀ خُطَب السيدة الزهراء ٢٤٠
- ◀ مسند الزهراء ٢٤٤
- ◀ باب العقائد: ٢٤٦
- ◀ حديث الثقلين ٢٤٦
- ◀ في الفقه والتشريع ٢٤٨
- ◀ في الأخلاق والتربية الروحية ٢٤٨
- كلمة شكر ٢٥١
- المصادر بعد القرآن الكريم ٢٥٣

قنوات التواصل مع الشيخ

الايمل

fawzialsaif@gmail.com

الموقع الالكتروني

www.al-saif.net

قناة اليوتيوب

<https://m.youtube.com/user/Fawzialsaif>

تطبيق آيفون

<http://bit.ly/alsaiapp>

تطبيق أندرويد

<http://bit.ly/1zPHwFh>

قناة التلغرام

<http://bit.ly/1M8Lzhk>

المجموعة الصوتية الكاملة على دروبكس

<https://goo.gl/VMmT7X>

روابط المقاطع القصيرة

goo.gl/XkTvmj

قناة الساوند كلاود

<https://m.soundcloud.com/fawzialsaif>

تطبيق الكتب اندرويد:

<https://play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books>

ايفون وايباد:

https://appsto.re/us/_ptClb.i

الموقع الرديف

<https://al-saif.app>

الانستغرام

https://instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195m0v23vh9mx

قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون:

<https://apple.co/31oqGiO>

الشيخ فاضل زوراني

تجمع خطبة الزهراء عليها السلام بين الجانب العقلي عند الاستدلال على مباحث التوحيد والجانب العاطفي عند استنهاض الانصار واستثارتهم ، كما تجمع بين وصف ما حصل بعد وفاة النبي وتحليل أسبابه ، وأيضاً بين الخطاب الموجه لرأس الدولة والآخر المخاطب به عموم الناس . يلحظ القارئ للخطبة انها بمقدار ما كانت تحلل القضايا المذكورة فيها بعمق من الناحية النظرية كانت تحمّل المخاطبين مسؤوليتهم تجاه تلك القضايا . وهذا الكتاب يسلط الضوء على جوانب مهمة في هذه الخطبة ومن خلال ذلك يضيء أحداث فترة هي اكثر فترات التاريخ الاسلامي تأثيراً على واقع المسلمين .

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٢٨٧١٧٩ / ٠٣ - ٥٤١٢١١ / ٠١

تلفاكس: ٥٥٢٨٤٧ / ٠١ - E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com

